الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس

سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

أطروحة

مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الفلسفة

تخصص:ابستيمولوجيا التنمية والعلوم الاجتماعية

الموسومة

التنمية البشرية في ضوء الفكر الغربي المعاصر

ادغار موران أنموذجا

إعداد الطالب: صلعة محمد

إشراف الدكتور: حلوش مصطفى

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الدرجة	جامعة	الصفة
01	مخلوف سيد أحمد	أستاذ	رئيسا	جامعة سيدي بلعباس
02	.حلوش مصطفى	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	جامعة سيدي بلعباس
03	مغربي زين العابدين	أستاذ	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
04	صديقي عبد النور	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
05	عمارة الناصر	أستاذ	مناقشا	جامعة مستغانم
06	دليل محمد بوزيان	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة تلمسان

السنة الجامعية:2021/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

والحمد لله على ما من به من النعم علينا، من قبل ومن بعد:

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل حلوش مصطفى ، المشرف على هذا العمل، على حرصه الشديد في متابعته للعمل من بدايته إلى نهايته. فقد كان نعم الموجه والمرشد، بنبل أخلاقه وحصافة تفكيره.

الشكر موصول أيضا إلى جميع أساتذة الفلسفة، بقسم العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة جيلالي اليابس بسيدي بلعباس.

خالص الشكر والامتنان الى أستاذي وصديقي الفاضل محمد بن سعيد، أستاذ التعليم العالي بالمركز الجامعي نور البشير البيض، الذي رافقني بتوجيهاته، ونصائحه المهمة. وأيضا للأستاذ احمد كعبوش من المركز نفسه.

الإهداء

إلى روح والدي الحاج محمود رحمه الله وطيب ثراه.

الى والدتي الكريمة خديجة حفظها الله ورعاها

إلى أختي العزيزة مخطارية

إلى أخي العزيز الحبيب

إلى أخي العزيز الزبير

إلى أخي العزيز عبد الحق

إلى أخي العزيز نبيل

إلى رفيدة – أبو جهاد - لطفي

حفضهما الله ورعاهم جميعا

إلى كل من علمني حرفا، وغرس في محبة المعرفة.

مـــقـــدمـــــــــة

تعتبر الفلسفة من أهم أشكال معرفة الإنسان بالعالم، إنها تجسيد لذلك النزوع البشري للبحث الدائب، فهي سؤال مفتوح على الحياة، يتجدد طرحه باستمرار ليطلع به الانسان على حقيقة أبعاده الفردية والاجتماعية والكونية. في الفلسفة إذن، انعكاس لنظرة الانسان إلى العالم الطبيعي والاجتماعي، وإلى مكانته المحورية فيه. ولما كان المجتمع هو حاصل جمع الأفراد، يكون من الطبيعي، بل ومن المنطقي أيضا، أن ترتبط الفلسفة بحياة المجتمع، وترصد مسار تحولاته. حقا إن الفلسفة خلاصة عصرها. وتنوع تلك التحولات بفعل تنوع التساؤلات، هو مصدر ذلك التنوع في المواقف والأفكار والقناعات، وهو ما يكرس تنوع الأنساق والبنيات، والنماذج والممارسات في هذا الحقل المعرفي الواسع عبر تاريخه الطويل.

في عصرنا، يشكل **سؤال التنمية** من المشكلات الكبرى التي تفرض وجودها في عديد مجالات الحياة، إنه سؤال يتحدى، بيد أن الإنسان مافتئ يتصدى. والمفهوم مثل الكائن الحي، ينمو ويتطور، وهو ذو قابلية لأن يحمل دلالات ومضامين متباينة ومتعددة ومتنوعة، بل وقد يظل عصيا عن الفهم العميق، والتحديد الدقيق بحكم هذه الطبيعة. وهذا الحكم ينطبق على مفهوم"**التنمية**"، الذي هو إشكال في حد ذاته، فقد قورب من منظورات متعددة اقتصادية وسياسية واجتماعية، انتهت إلى تعدد الفهوم والنتائج، فعمقت حرقة سؤال الاستنهاض الشامل للمجتمع في أبعاده، ومجالاته المتعددة.

هذه الوضعية- الإشكال لمفهوم "**التنمية**"، تفسر تعدد النماذج المعرفية والمقاربات النظرية لمشاريع التنمية، التي قدمها واقترحها أهل الاختصاص من مفكرين وخبراء، لاسيما على الصعيد الاقتصادي، فلقد صار التراكم الكثير للدراسات، دليلا على ذلك القصور النظري لمقاربة فاعلة وناجعة، أنبأت عن خطورة إقصاء وتجاهل للأبعاد المجتمعية الأخرى الاجتماعية والثقافية والتاريخية والجغرافية، كما وكشفت عن فداحة التكلفة الاجتماعية والبيئية لتطبيقات نماذج التنمية السائدة.

ومفهوم"**التنمية البشرية**"- بلغة أهل المنطق الصوري- هو"نوع" يندرج ضمن "جنس"، وهو ليس استثناء، من حيث تعدد مدلولاته، فقد كان محل استقطاب الفلاسفة والعلماء منذ قدم العصور. إن الإنسان ولد مجبولا على الارتقاء بنفسه، وعلى اكتشاف

الحياة التي تحيط به، باحثا على تحقيق ذاته بغية الكشف عن الكيفية التي يمكن من خلالها الرفع من قيمته وشأنه، وتغيير أوضاع مجتمعه إلى الأحسن. لذلك تعددت مقاربات المفكرين والفلاسفة القدامى وتصوراتهم، استنادا إلى تنوع وتباين المثل العليا التي يتصورنها الكفيلة بالرفع من مكانة الانسان. ورغم أنهم لم يستخدموا مصطلح "**التنمية**" بالشكل المتداول في مرحلتنا المعاصرة، إلا أنهم عبروا عنها بمفاهيم واصطلاحات مجاورة، من قبيل "التقدم" و"التطور"، و"الإحياء" و"التغير"، "الفضيلة"، و"السعي في الأرض"، "التزكية"، "الابتغاء من فضل الله" "تحصيل السعادة"، "الإصلاح"، "التجديد"، "الحضارة"،" الإعمار"، وغيره.....

ولفهم السياق الذي تأطرت من خلاله "الرؤية التنموية" عبر العصور، يمكننا العودة إلى التراث الفكري الذي عالج إشكالية التنمية من جانبها الإنساني، انطلاقا من الفكر الفلسفي اليوناني، حيث يؤثر عن سقراط Socrate(470 ق.م– 399 ق.م) تأكيده على أهمية "الحوار" كمنهج في المعرفة(جدلية التهكم والتوليد)، بواسطته يحقق الانسان السعادة والرقي الفكري والعقلي. فلقد كان شعار معبد دلفي "أعرف نفسك بنفسك" حكمة الحكم التي تبناها، مرورا بالفكر الهلنستي - والروماني- الذي تميز بصبغته العملية، لا التأملية لمعالجة قضايا المجتمع وتنميته، حيث توجه بالنظر الشامل في الإصلاح مع التأكيد على ضرورة التوافق والانسجام مع نواميس الطبيعة، كما نادت بذلك كل من الرواقية والأبيقورية، وحتى الأفلاطونية المحدثة.

وبعد ظهور المسيحية وانتشارها، استطاع الفكر المسيحي أن يشكل انعطافا تاريخيا، ويكون بمثابة مؤشر على التحولات الاجتماعية، المتسمة بالصراع الطبقي حيث مثلت المسيحية، الروح المحركة لنظام اجتماعي وسياسي جديد، يرفض الفروق الطبقية، ويعبر عن تطلعات الجماهير الراغبة في الإنعتاق والحرية والمساواة.(العمل على تحطيم الفكرة اليهودية القائلة بأن اليهود هم شعب الله المختار).

ولما جاء الإسلام، جسد القيم الانسانية السامية انطلاقا من الإيمان بالله، وبنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. هذه القيم التي تسمو بالإنسان، وترتقي بقدراته، وتضيء له السبل، وتوجه عقله، وتحرره من نزعته الذاتية، وأنانيته، وتغرس فيه قيم الإخلاص،

وطلب العلم والعدل، والصدق، والأمانة، والصبر، وحسن المعاملة والإيثار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرحمة، والرفق، والحلم، والعفو، وقيم لتكافل، والتضامن والتضحية والشورى وغيرها...، وهي كلها مؤشرات لفعل "التنمية" الذي به تتحقق إنسانيته. لذلك يمثل القرآن الكريم، رؤية كونية سماوية تحقق تنمية بشرية مستديمة صالحة لكل الأمكنة والأزمنة. لقد قدم الفكر الاسلامي نماذج تنموية تميزت باتساقها النظري والعملي منها على سبيل المثال لا الحصر، اسهامات عالم الاجتماع العربي الشهير عبد الرحمن ابن خلدون (1332م-1406م)، حيث احتلت مسألة "التنمية" حيزا مهما في "المقدمة".

في العصر الحديث والمعاصر، قاد النموذجان الغربيان، الرأسمالي والاشتراكي في القرن التاسع عشر، المجتمع الأوروبي والغربي عموما، معارك علمية وأيديولوجية وسياسية، ساهمت في إحداث تغير بنيوي وتاريخي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فكانت عجلة التنمية تسير في اتجاه حقق الكثير من الانتصارات من جهة، لكنه أدى إلى الكثير من الإنكسارات في القيم من جهة أخرى. ومع نهاية الحرب العالمية الثانية في منتصف القرن الماضي، وجد العالم نفسه يعيش تفاوتا طبيعيا -دون نكران بعض الاصطناع -بين دول نامية (متقدمة) ودول سائرة في طريق النمو، ودول متخلفة (الشمال والجنوب). ولقد استقر النظر إلى مشكلات التنمية بادئ الأمر على أنها متعلقة بالمشكلات التكنولوجية والاقتصادية البحتة، ثم سرعان ما تغيرت الرؤى، لتطال التنمية إشكالات الوسط الاجتماعي والثقافي، والتغيرات المتعلقة بهما.

والواقع، أن التنمية البشرية في عالمنا المعاصر، تمثل إحدى الانشغالات الكبرى التي تنتظر التحقق والتجسيد، حيث تستهدف إحداث تغييرات بنائية وظيفية في المجتمع، سعيا إلى توفير أكبر قسط من الرفاهية للإنسان. ولما كان هذا "الانشغال الكبير"، عبارة عن عملية تغيير موجهة ومعقدة وشاملة، تقصد جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية والثقافية والأيديولوجية، الخ....فقد استأثر باهتمام الفلاسفة والمفكرين والعلماء والباحثين، على اعتبار أن الإنسان كان، وسيكون، وسيظل، جوهر كل "تنمية" ممكنة في

هذا الوجود، ولأنه كائن مركب في ذاته، وفي حاجاته المرتبطة بكيانه البيولوجي، فلا معنى لهذه التنمية، إن لم تكن تتجه نحو تمكينه من تحصيل واستكمال إنسانيته.

ضمن هذا السياق، يندرج موضوع هذه الأطروحة الموسومة بـ"**التنمية البشرية في ضوء الفكر الغربي المعاصر، إدغار موران نموذجا**"، التي نحاول من خلالها قراءة إسهامات هذا الفيلسوف والعالم الاجتماعي المعاصر المهموم بقضايا الحضارة الإنسانية، على مستوى كافة مناحي الحياة. ففي أعماله وكتاباته، تشريح دقيق لمظاهر أزمة المجتمع الغربي المعاصر، حيث خاض ـ ولا يزال ـ معركة نقدية صارمة، تحارب بلا هوادة تلك "**الاختزالية الفجة**" التي انتجها الفكر الحداثي، وكذا تلك"**التبسيطية المقيتة**" التي تسعى إلى إذابة الإنسانية، بحيث يتم الفصل بين الذات والموضوع، بين الانسان ومكوناته. مقترحا بديلا يراه ناجعا، هو بمثابة مشروع فكري إصلاحي مبني على رؤية ايبيستيمولوجية ترتكز على قاعدة أساسية هي "**التعقيد**" بدل التبسيط، و"**المركب**" بدل البسيط، بهدف انقاذ الانسان والإنسانية من السقوط في مستنقع "الواقع المزيف"أو الارتماء في أحضان"الهاوية" كما يصفها.

هي رحلة اذن من "**براديغم كلاسيكي اختزالي**"، إلى آخر مناقض له تماما، يقوم على التركيب والتعقيد. وما يهنا نحن في هذه الرحلة، هو رؤية صاحبنا إلى مفهوم "التنمية البشرية " وكيفية تفعيلها، ومدى نجاعتها في مجتمع بديل، يرفض الرؤية الأحادية المبتذلة للإنسان من جهة، والطرح الناقص الذي يختزل التنمية في بعد واحد، هو البعد الاقتصادي، وتقصي أبعادا استراتيجة أخرى، من جهة ثانية. إن التنمية سيرورة معقدة وشاملة، ذات أبعاد متعددة، كفيلة بتحقيق العيش الكريم للإنسان المستقبلي، وليس الإنسان الحالي الذي يعيش "الاختناق" رغم انجازات العولمة.

- **المنهجية المتبعة:**

سيكون هذا العمل المتواضع عبارة دراسة "تحليلية نقدية" تحاول، الكشف عن المفاهيم الآليات والتصورات والمواقف التي يترصع بها المتن الفلسفي لإدغار موران،الذي نعتبره إسهاما فلسفيا متميزا ينطلق من واقع الأشياء، لأنه يستشعر ثقلها،

وخطورة مآلاتها، إسهام فيه معالجة للقضايا الكبرى والمشكلات المستعصية، تنم عن احترافية فلسفية عالية، وعن تحكم في منهجية علمية فيها ضبط ودقة.

- **الإشكالية العامة:**

وسط" تضاريس" هذه الفلسفة المتميزة، سنرافق صاحبها مستعرضين مواقفه وأفكاره في حقل "إبيستيمولوجيا التنمية البشرية"، لذلك فإن الإشكالية المركزية التي نحاول معالجتها في هذه المذكرة، تتمحور حول التساؤل التالي:**إذا كانت"التنمية البشرية" مبدئيا، عملية معقدة، فما حقيقتها في المشروع الفكري الابيستيمولوجي عند إدغار موران الذي ينفر من التبسيط، وينتصر إلى "براديغم" يتأسس على التعقيد والتركيب؟ وما القيمة العملية لهذا التحديد في راهن ومستقبل الحضارة الغربية المعاصرة، ومصير الإنسانية جمعاء؟.**

إن الخوض في هذا الموضوع يفرض علينا الإشارة إلى مجال التخصص، وهو هنا يضم أكثر من حقل معرفي، أي أن مجال الاشتغال عبارة عن مركب يحتوي على ميادين معرفية متنوعة:**الفلسفة والابيستيمولوجيا،والعلوم الإنسانية والاجتماعية.**

- **الهيكل العام للبحث:**

يحتوي هذا البحث من حيث بنيته الاستدلالية، على مقدمة ومدخل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة، بحيث يتفرع كل فصل إلى أكثر من مبحث. هذا العمل خضع في مجمل مراحل إنجازه إلى محطات رئيسية، تضمنت معارف يمكن توصيف عرضها في عمومها، من خلال الخطة العملية الآتية:

- مقدمة: وقد تم من خلالها تحديد دوافع اختيار الموضوع وأبعاده المنهجية المتبعة، والإشكالية العامة التي يتمحور حولها البحث، بالإضافة إلى الهيكل العام للبحث والإشارة إلى دراسات سابقة ذات صلة به، واستعراض الأهداف المراد بلوغها، وكذا الصعوبات التي اعترضت مساره، والآفاق التي يتطلع إليها.
- **مدخل تمهيدي**: وهو بمثابة مدخل نظري يعرض لمسألتين أساسيتين: الأولى تتعلق الأولى بالمجال الإيتمولوجي والمعرفي لمفهومي التنمية والتنمية البشرية، والثانية بالسياق التاريخي والخلفيات الفكرية لإشكالية التنمية البشرية في المجتمع الغربي المعاصر.

- **الفصل الأول:** يعرض إلى أزمة الحضارة الغربية في تحليلات إدغار موران، حيث حاولنا تدقيق النظر في تلك القراءة العميقة لتجاعيد المشهد المأزوم، والوقوف على الروح النقدية التي يصدر عنها ذلك التشخيص المتفرد، الذي طال الكثير من المجالات والأصعدة في مرحلتي الحداثة وما بعد الحداثة، التي عايشهما الواقع الغربي الحديث و المعاصر. تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين رئيسيين هما:

= **المبحث الأول**: سيتوبلازما الثقافة الغربية المعاصرة: نقد الأسس والآليات.

= **المبحث الثاني**: الخطاب الإبيستيمولوجي الجديد: المعالم والخصوصيات.

- **الفصل الثاني:** وقد اتخذنا له عنوانا هو : " **إبستيمية التعقيد والفكر المركب في مدونة إدغار موران الفكرية:أنموذجا التنمية والتنمية البشرية**". وهو فصل يعرض إلى واسطة العقد في هذا العمل المتواضع، حيث يمثل مدخلا لفلسفة إدغار موران الاجتماعية، فبعد تلك المعارك النقدية لواقع الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة، يواصل مفكرنا هذه المسيرة ليحط الرحال عند مفاهيم وقضايا يراها إستراتيجية في كل خطاب علمي أو فكري، حول مسائل الإقلاع الناجع والخلاص "المرتقب" للوعي الغربي. وتبعا لهذا، فإن مبحثي هذا الفصل هما:

= **المبحث الأول:** إشكالية التنمية في النظامين الرأسمالي والاشتراكي**:** مسار إخفاق محتوم**.**

= **المبحث الثاني**: الرؤية الإصلاحية في منظومة التربية والتعليم: البديل الواعد.

- **الفصل الثالث:** هو فصل تم تخصيصه للحديث عن" **المشروع الإصلاحي للحياة البشرية عند إدغار موران: بيان من أجل"سياسة حضارية" كوكبية واعية"** . ينقسم هذا الفصل إلى مباحث ثلاثة لتحقيق المراد منه، وهي:

= **المبحث الأول**: ضرورة الإصلاح السياسي وأثره.

= **المبحث الثاني**: الحاجة إلى الإصلاح القيمي والإيتيقي.

= **المبحث الثالث**: مقاربات إدغار موران في الميزان : مراجعة نقدية

- **الخاتمة:** وهي كعادة كل خاتمة عمل، تتمثل في جملة من الاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال هذا البحث المتواضع، أمام حجم موضوعه الذي يحتاج إلى تراكم وإحاطة بقضايا الإنسان والنهضة والإصلاح، والتقدم في الفكر الغربي الحديث والمعاصر.

- **الدراسات السابقة:**

حاولت الحصول على دراسات تخدم الموضوع، واستعنت بدراسات ذات صلة الموضوع به في بعض جوانبه، ومن أهم الدراسات التي تحصلت عليها:

*ـــــ دواد خليفة: ابستمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التعقيد والفكر المركب لدى إدغار موران: أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم الفلسفة 2015-2016 جامعة وهران 02. تناول فيها الباحث من خلال أبوابها وفصولها الخطاب العلمي الذي قدمه إدغار موران، والذي عبر عن شكل جديد من الإبستيمولوجيا يختلف في جوهره عن النموذج الكلاسيكي، كما بين أن هذا التحول الابستمولوجي يأتي في ظل التطور العلمي المعاصر، والذي سوف ينعكس على كل التطورات المعرفية، وبالتالي فهو يمثل تعبير على التطور الذي تعرفها المعرفة العلمية، ليستنتج أن هذه الابستمولوجيا، وإن تخصصت في نقد الخطاب العلمي التقليدي، إلا أنها بناءة، فهي لا ترفضه بل إن من صفات خطابها، مسايرة كل تطور علمي.

*ـــ باسل البستاني: جدلية نهج التنمية البشرية، منابع التكوين وموانع التمكين: من منشورات مركز الدراسات الوحدة العربية، قدم الباحث دراسة تحليلية في تسعة فصول، يستعرض من خلالها ظروف نشأة نهج التنمية البشرية، وظروف البيئة الدولية التي كانت حافزا لولادة هذا النهج، كما قدم أهم الطروحات والبرامج التي ساهمت في دمج البعد الاجتماعي في البعد الاقتصادي، إضافة الى رصد أهم الاستراتيجيات الدولية للتنمية التي فشلت في تحقيق العدالة، وتوزيع الثروات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، كما قدم الكاتب مقاربة نقدية بين نهج التنمية البشرية كمحصلة لفكر سياسي غربي، وبين رصيد التراث العربي الاسلامي القائم على التكافل الاجتماعي المستند على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الذي بدا له منبعا حقيقيا وجوهريا لنهج التنمية البشرية، لينهي بحثه بخاتمة تشاؤمية في ظل عولمة متوحشة، لا مكان فيها للقيم الانسانية الرفيعة.

*ـــ نصر محمد عارف: نظريات التنمية السياسية المعاصرة، دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي: أطروحة ماجستير، جامعة القاهرة، منشورة من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا. بالـــ و. م الأمريكية.مكونة من ثلاثة فصول، يقدم فيها الباحث دراسة نقدية تقويمية للخطاب التنموي الغربي، حيث تطرق فيها إلى موضوع التنمية بوصفه تخصصا مميزا للعلوم الاجتماعية في الفكر المعاصر، يعتمد فيه على إحداث تغيير في البنية الإحتماعية من خلال إحداث تحول في البنية الإقتصادية والثقافية، كما يعتبر الاهتمام بالدور السياسي وتطوره، مدخلا جوهريا ومؤشرا للتحول الحضاري، إلا أن في نقده لهذا المشروع الذي حاول تعميم تجربته على الواقع العربي الإسلامي أثبت فشله،فاستحضر نماذج من تراث الفكر الإسلامي يراها جديرة بالإحياء في مرحلتنا المعاصرة، وهو الأمر الذي أنتهى إليه الباحث، بتقديم طرح نهضوي بديل عن المشروع الغربي التغريبي.

- **الأهداف:**

في هذا العمل، نحاول التعرف على المشروع الفكري، وإبراز فلسفة إدغار موران الاجتماعية التي ظلت بعيدة عن اهتمامات الباحثين الأكاديميين الجزائريين، بالمقارنة مع دول الجوار. إننا نطمح أن يكون عملنا، لبنة في بناء صرح ثقافي في حياتنا الجامعية الجزائرية، من أجل الاهتمام بالمسائل ذات الصلة بقضايا الإنسان والتنمية في بلادنا والتي تحتاج إلى البحث عن البدائل والحلول. كما يأتي هذا العمل نتيجة اهتمام خاص، بما يعرفه واقعنا المعاصر من أحداثٍ،على المستوى الفكري والسياسي ومآسي اقتصادية واجتماعية التي تعاني منها الشعوب على اختلافها، لا سيما في أوطننا العربية والإسلامية حيث صار الحق في الحياة الآمنة مهددا في كل لحظةٍ من طرف الأقوياء، الذين يفرضون منطقهم وسياستهم على الضعفاء، والحق أن أفكار إدغار موران الإصلاحية، تمثل مناسبة لمساءلتها بغية الاستفادة منها، واستثمارها و تطويرها.....فقد رأينا أنه من الواجب أن نثير آراءه في هذا المجالات، فهو فيلسوف وعالم اجتماع وسياسي يهتم بالشؤون الإنسانية المعاصرة.

- **الصعوبات:**

أثناء انجاز هذا العمل، واجهتني صعوبة العثور على بعض المراجع التي يتطلبها سير البحث، وتضاعفت الصعوبة ـ في بعض الأحيان ــ حينما لا يتوفر الوقت حتى للإطلاع على مراجع هامة في البحث. والحق أنني لم نعثر طيلة المدة التي أستغرقها البحث، على دراسات فلسفية متخصصة في مجال ابيستمولوجيا التنمية البشرية، أو موضوع فلسفة التنمية عموما، أو دراسات خاصة باللغة العربية، بالمقارنة مع ما كتب عن موضوع التنمية في مجالات أخرى. علاوة على ندرة مؤلفات إدغار موران في المكتبات الجزائرية، خاصة منها المترجمة إلى اللغة العربية. أما في ما يخص الأبحاث التي تناولت فكر إدغار موران، وخاصة من الجانب الدرس التنموي، فلم نجد لها أثر في المجال الأكاديمي، وهنا نستثني بعض الأطروحات لرسائل الدكتوراه تختص ببراديغم التعقيد المعرفي.

من جانب آخر، يكشف استعراض أهداف البحث المعلنة، وخطة تحقيق ذلك، ضخامة الشعور بالمسؤولية، وصعوبة المهمة خصوصا في ظل صعوبات كثيرة ومتنوعة يعانيها الباحث والمثقف في الجزائر. بالإضافة إلى صعوبات ذات صبغة شخصية، لعل أهمها: وظيفتي كإطار إداري في مديرية النقل بمدينة البيض، ومقر إقامتي الدائمة بها، والتي تبعد عن جامعة الجيلالي اليابس بولاية سيدي بلعباس، وكل جامعات الغرب خصوصا، وجامعت الوطن عموما، بمسافات تتعدى ثلاثمائة كيلومتر فما فوق، مما يصعب التنقل للاستفادة من الفعاليات العلمية المختلفة، ومن الاتصال بأساتذة ومختصين في مجال التخصص للأخذ عنهم والتعرف على المستجدات عندهم، بالإضافة إلى التوثيق، حيث أن "مكتبات" ولايتي تعاني الفقر المدقع، ويكاد الكتاب المتعلق بالفلسفة، وبالفكر في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية يكون منعدما تماما. وإن حدث وأقيم معرض للكتاب مثلا في منطقتي، فلا نجد سوى عناوين تخص الكتاب الديني، أو تلك المتعلقة بعالم الأطفال، والطبخ، والرياضة....

مدخل تمهيدي: تحديدات مفاهيمية

- استهلال:

تحتل قضايا التنمية في معناها الواسع، مكانة مركزية في الفكر الغربي المعاصر على وجه التحديد. ولقد أثارت الإشكالات العميقة المتعلقة بها على المستوى التنظيري والمفاهيمي جدلا واضحا، كرس التباين والاختلاف في الفهم والتأويل. فالتنمية فضاء عمومي تلتقي فيه وتتفاعل مختلف الجوانب المتعلقة بالحياة الإنسانية(اجتماعية، اقتصادية، سياسية، ثقافية، الخ...). ولذلك فمن الطبيعي أن تكون من بين اهتمامات العلوم المختلفة، ويكون التناول على حسب كل حقل علمي، فدلالة التنمية في مجال العلوم الاقتصادية مثلا، تختلف عن نظيرتها في العلوم الاجتماعية، والسياسية، وهكذا...

والواقع أن تشعب مجالات التنمية، كان وراء عدم اتفاق الدارسين والمشتغلين في صياغة تعريف موحد، وهو أمر موضوعي يعكس قوة المفهوم وتنوع حمولته المعرفية من قطاع إلى آخر. لكن مع ذلك يظل ذا صبغة وأبعاد أيديولوجية وسياسية، وهو ما كشف عنه الفكر الحداثي وحتى ما بعد الحداثي، فلقد بينت العلوم الاجتماعية في القرن الماضي في بلاد الغرب إن مفهوم التنمية صار يئن تحت وطأة القرار السياسي والإيديولوجي، مما جعله عرضة للضبابية والغموض، والتحريف.

نستطيع القول أن التنمية لم تعد مسألة اقتصادية وحسب، بل أضحت إنسانية أيضا. فالحديث عن التنمية في رأينا هو الحديث عن الإنسان، عن الرؤية الاختزالية الضيقة أو التحيز الأيديولوجي الضار. إن الفكر التنموي فشل في بلوغ غاياته لأنه لم يتخلص من قبضة "المادية"التي طغت على"الإنسانية"، وهو ما جعل المشهد الحضاري الإنساني، سواء في بلاد الغرب أو في غيرها يزداد قتامة.

سنفصل في هذه الأفكار، ونقترب أكثر من المفهومين الاستراتيجيين في بحثنا: التنمية، والتنمية البشرية، ونعرض لبعض المفاهيم المتعالقة معهما، لنستعرض بعد ذلك ــ باقتضاب ــ رحلتهما وترحلهما في "ابستيميا" الفكر الغربي المعاصر، في فترتي الحداثة وما بعد الحداثة.

أولا: التنمية، والتنمية البشرية: المقاصد والدلالات.

1ــ في تعريف معنى التنمية:

لا يتفق الكثير من الباحثين والأكاديميين والمهتمين بموضوع التنمية، على تعريف واحد خاص به بالمقارنة مع العديد المصطلحات المشابهة له، سواء من حيث التقارب اللغوي كمصطلح "النمو"،أو من حيث التشابه في المدلول كمصطلح التحديث أو التطور أو غيرها من المصطلحات المتقاربة لهذا المصطلح. إن التنمية مفهوم معنوي لعملية دينامية موجهة خصوصا إلى الإنسان، باعتباره العنصر البشري الذي يساهم في عملية تنمية المجتمع، كما تهدف من ناحية أخرى إلى تحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للإنسان بوصفه وسيلة التنمية وغايتها.

إن التنمية مفهوم مركزي يتمحور حول الإنسان والمجتمع، وهو نقيض التخلف (La retardation)، وهو ذو صلة بكلمة النمو (Growth) التي يشير بعدها اللغوي إلى النماء، نما المال نموا، أي زاد وكثر[1]. ويستخدم اصطلاح التنمية عادة في المستويات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، ولعل أول من استعمل هذا المصطلح هو "**بوجين ستيلى**" حين اقترح خطة تنمية العالم سنة 1889م.بينما ينسب الكثير من السياسيين مصطلح التنميـــة كمفهوم مستقل إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية "هاري ترومان"الذي أشار في خطاب تنصيبه عام 1949 بأنه يجب علينا البدء في برنامج جديد وجريء، لجعل فوائد تقدمنا العلمي والصناعي متاحا لتحسين ونمو المناطق المتخلفة.

لقد أمست مقولة التنمية محورا مشتركا لمختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية وتطبيقاتها وقد عرف إعلان الحق في التنمية الذي أقرته الأمم المتحدة في العام 1990 عملية التنمية بأنها عملية متكاملة ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية، تهدف إلى تحقيق التغير نحو ما هو أفضل لرفاهية البشرية.

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، المجلد 15، ص341

تعد التنمية بأنواعها عملية سيرورة مستمرة وتشمل جميع الأبعاد الإنسانية، وعملية مطردة تهدف إلى تبديل الأبنية الاجتماعية وتعديل الأدوار والمراكز وتحريك الإمكانيات المتعددة الجوانب بعد رصدها وتوجيهها نحو تحقيق هدف التغيير وفق المعطيات الفكرية والقيمية لخدمة للإنسان. كما عرفت التنمية من خلال استعمال مصطلح تنمية المجتمعات المحلية community development وكان ذلك لأول مرة في مؤتمر "أشردج"Ashridge" للنمو الاجتماعي في بريطانيا عام 1954، بهدف معالجة مشكلات الإدارة في المستعمرات الانكليزية أي التوصل إلى أفضل السبل لحكم المستعمرات دون مقاومة واستغلال تلك البلدان بصورة أفضل[1]. وبمعنى آخر ، تعرف التنمية على أنها التربية التي تستهدف تحسين المستوى المعيشي للمجتمع المحلي من خلال مشاركة ايجابية شعبية واسعة النطاق.

من جهة أخرى، يرجع الكثير من الدارسين أن أول استخدام لمفهوم التنمية، جاء توافقا مع نضج وتبلور مصطلح "العالم الثالث"، الذي يشمل البلدان النامية في آسيا وأفريقيا بشكل خاص،حيث حظيت باهتمام كبير من قبل هذه البلدان بعد استقلالها، واتخاذها شعارا لها لأجل معالجة والقضاء على تخلفها الاقتصادي، والاجتماعي ويأتي اهتمام هذه البلدان بمفهوم التنمية تزامنا مع الاهتمام الدولي بالتنمية، وذلك عندما تبنت منظمة الأمم المتحدة الإستراتيجية الدولية للتنمية وإعلان عقد الستينيات من القرن العشرين كعقد للأمم المتحدة من أجل التنمية[2]، ونتيجة الاهتمام الواسع بمفهوم التنمية، من قبل الباحثين والمفكرين، والهيئات الدولية وصناع القرار، وبالمقابل جعل موضوع التنمية من أهم مميزات العالم المعاصر، والأهم من ذلك دفع البعض إلى تسمية القرن العشرين بعصر التنمية.

والتنمية هي العمليات المقصودة التي تسعى إلى إحداث النمو ضمن خطط مدروسة، وفي فترات زمنية محددة، وتخضع للإرادة البشرية، وهي التي بإمكانها إخراج المجتمع من حالة الركود والتخلف إلى حالة الحركة والتقدم، كما أنها تتطلب مشروعا سياسيا تسير نحوه إلى الأفضل.

---

[1]- حيدر إبراهيم علي، إستراتيجية التنمية الريفية في دول الخليج العربي، حالة دولة الأمارات العربية المتحدة، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 44 ،جامعة الكويت،1985،صفحة 80.

[2]- مصطفى حسن علي، نقد مفاهيم المنظمات الدولية للتنمية والنظام الاقتصادي الدولي الجديد، مجلة دراسات عربية، العدد 6، دار الطليعة للطباعة ، بيروت ،1983، صفحة 11

وتعرف التنمية كذلك بأنها: "عملية مجتمعية تراكمية تتم في إطار نسيج من الروابط بالغ التعقيد، بسبب تفاعل متبادل بين العديد من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية، والإنسان هدفها النهائي ووسيلتها الرئيسية ".

وعرفت أيضا بأنها: "عملية تعبئة وتنظيم جهود أفراد المجتمع وجماعته، وتوجيهها للعمل المشترك مع الهيئات الحكومية بأساليب ديمقراطية لحل مشاكل المجتمع، ورفع مستوى أبنائه اجتماعيا واقتصاديا وصحيا وثقافيا، ومقابلة احتياجاتهم بالانتفاع الكامل لكافة الموارد الطبيعية والبشرية والفنية والمالية المتاحة. التنمية الحقيقية هي التنمية المتكاملة المستقلة التي تتسق والوضعية البنائية والثقافية والتاريخية للمجتمع، ولكن هذا لا يعني الانغلاق والجمود الفكري، بل يعني التواصل الحضاري الفعال والتفاعل مع سائر النماذج الثقافية بشرط أن توظف كل صور التقدم التكنولوجي التي أحرزتها هذه الثقافات لخدمة ثقافتنا وفي ذات الوقت نظل محافظين على قيمنا الثقافية التي تحكم علاقتنا الاجتماعية وتشكل أنماط سلوكنا[1].

ويمكن النظر إلى موضوعة التنمية من زاويتين:

ــ الأولى: التنمية بوصفها "عملية"، على اعتبار أن التغيرات المتتابعة الناجمة عنها تؤدي إلى ردود أفعال في كافة الأنساق وبالتالي في الوظائف المرتبطة بها، وكذلك لأنها مجموعة من الخطوات المتتالية والمتداخلة المؤدية إلى تحقيق غايات محددّة[2].

ــ الثانية: فتنظر إلى التنمية بوصفها "أداة" وهذا يرجع إلى اعتبار أن التنمية ليست هدفا في حد ذاتها ولكنها وسيلة لتحقيق الأهداف التي تحقق طموحات المجتمع وربما يعكس هذا مفهوم " القدرة و التمكن" بالنسبة للفرد وللمجتمع.

ويتطلب نجاح التنمية وجود أعداد وفيرة من الكفاءات الإدارية والتنظيمية، وتوسيع الجهاز الحكومي، وإعادة تنظيمه وتدعيمه بهذه الكفاءات؛ لمقابلة احتياجات عملية التنمية، كما يتطلب إعادة التفكير في تحديث وإدخال أفكار جديدة داخل بعض التنظيمات والمؤسسات

[1] - كمال التابعي، تغريب العالم الثالث دراسة نقدية في علم اجتماع التنمية،(د.ط)، (د.ت)،ص7.

[2]- طلعت مصطفى السروجي، التنمية الاجتماعية المثال والواقع، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي، جامعة حلوان، 2001، ص15

الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والبيئية التي تعمل على إشباع الحاجات الأساسية والثانوية.

والتنمية تنقسم إلى:

ـــ **التنمية الاقتصادية**: هي عملية تستخدم فيها الدولة الموارد المتاحة لتحقيق معدل سريع للتوسع الاقتصادي، يؤدي بالضرورة إلى زيادة مطردة في دخلها القومي، لكن لن يحدث هذا إلا إذا تم التغلب على المعوقات الاقتصادية وتوفر رأس المال والخبرة الفنية والتكنولوجية.

ـــ التنمية الاجتماعية:*هي الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من المتغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع، وذلك بزيادة قدرة أفراده على استغلال الطاقات المتاحة إلى أقصى حد، لتحقيق قدر من الحرية والرفاهية للأفراد بأسرع من معدل للنمو الطبيعي[1]، فالرؤية الرأسمالية تعرف التنمية الاجتماعية بأنها إشباع الحاجات الاجتماعية الأساسية للإنسان عن طريق إصدار تشريعات ووضع برامج الاجتماعية التي تقوم بتنفيذها الهيئات الحكومية، أما الرؤية الاشتراكية فلا ترى في التنمية الاجتماعية مجرد برامج للرعاية الاجتماعية تتحقق عن طريق التشريعات الحكومية بل هي عملية تغير اجتماعي موجه لإحداث تغير راديكالي في مكونات البناء الاجتماعي الذي يتم عن طريق ثورة حتمية.[2]

ـــ **التنمية السياسية**: هي دراسة التنظيم الرسمي للحكومة والإدارة المركزية والمحلية، ودراسة المشكلات التطبيقية في التنظيم والإجراءات؛ بغية تحقيق التكامل بين القضايا الوصفية والتقويمية.

ـــ **التنمية الثقافية**: هي التغيير الذي يحدث في الجوانب المادية وغير المادية للثقافة، بما فيها العلوم والفنون والفلسفة والتكنولوجيا والأذواق، بالإضافة إلى التغيير الذي يحدث على مستوى بنيان المجتمع ووظائفه.

---

[1]- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان، ط2، سنة 1997، ص 384

2- عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، مكتبة وهبة، ط02، القاهرة، 1988، ص94

*- تتفق أراء المفكرين والعلماء والمهتمين بالتنمية الاجتماعية في وضع نماذج واتجاهات تتفق ومسار مراحل التنمية بقصد الوصول إلى تنمية و تقدم المجتمع بما يتفق مع الإيديولوجيا السائدة، إلا أننا نجد الاختلاف في تحديد التسمية النموذج بين من يسميه الاتجاه و من يطلق اسم النموذج ، لكن نجد التسمية المفضلة تتمثل في مصطلح "النموذج" وأهم النماذج المعروفة نجد، النموذج المحلي، النموذج السلوكي، النموذج البنائي، النموذج المثالي، النموذج التحليل والتخطيط. أنظر كتاب التنمية الاجتماعية المثال والواقع لمصطفى طلعت السروجي.

ـــ **التنمية البيئية:**(المستدامة): هي التي تلبي احتياجات الحاضر دون أن تعرض للخطر قدرة الأجيال التي من شأنها أن تقودنا إلى ممارسة النوع الصحيح من النمو الاقتصادي القائم على التنوع الحيوي والتحكم في الأنشطة الضارة بالبيئة، وتجديد المواد القابلة للتجديد وحماية البيئة الطبيعية.

ـــ وللتنمية أهداف: فهي تساهم في إحداث سلسلة من المتغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لتحقيق النمو الاجتماعي، وذلك بزيادة قدرة وتمكين أفراده على استغلال الطاقة المتاحة واختيار البدائل لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية بأسرع وتيرة لتحقيق معدل النمو باستمرار، وكذا تحسين حياة البشر، من خلال رفع إشباع الحاجات الأساسية للفرد وتحقيق ذاته الإنسانية، وتحسين فرص العدالة الاقتصادية والاجتماعية وفرص المشاركة في العمليات السياسية. وتهيئة سيطرة الإنسان على بيئته وإمكانيته وطاقاته لبناء حاضره ومستقبله من واقع الشعور بمسؤولية الانتماء الاجتماعي، والقدرة على المنافسة في عالم يحكمه منطق الصراع. وكذلك تأمين زيادة مستمرة في متوسط دخل الفرد عبر فترة ممتدة من الزمن، وإنشاء التنظيم السياسي الممثل لمصالح القوى صاحبة المصلحة الحقيقية في التنمية، وإيجاد أعداد وفيرة من الكفاءات الإدارية والتنظيمية، وإجراء تغييرات في القيم والعادات وخلق مؤسسات وتنظيمات جديدة. كما تهدف التنمية إلى إقامة مجتمع يتمتع بأعلى مستويات المعيشة الطيبة، من خلال الزيادة في الإنتاج إلى أقصى حد ممكن، وتحقيق الكفاية لكل واحد سواء بجهوده الخاصة أو العامة وتحقيق الوفرة الاقتصادية إلى جانب الرفاهية الاجتماعية.

ـــ إن التنمية هي عملية وليست حالة، وهي تتصف بالاستمرارية، وتعبر عن احتياجات المجتمع المتزايدة، إنها عملية مجتمعية تساهم فيها كل الفئات والقطاعات والجماعات في المجتمع. كما أنها ليست عملية عشوائية، بل محددة الغايات والأهداف، حيث أنها موجهة بموجب إدارة للتنمية، تعنى بالغايات المجتمعية وتلتزم بتحقيقها[1].

[1]ـ كمال التابعي، تغريب العالم الثالث، دراسة نقدية في علم اجتماع التنمية، (ب.ط)،(ب، ت)، ص7.

- مفهوم فلسفة التنمية:

يقصد بفلسفة التنمية تلك الأفكار والمقاصد، والنظرة التي ينطلق منها العمل التنموي ويحكم عليها بالنجاح أو الفشل على محاور وأغراض الفعل التنموي، إن فلسفة التنمية هي تلك والتصورات والمناهج والوسائل التي يعتقدها ويتبعها بوعي كامل أو منقوص، مخططو التنمية والتي يستخرجها فلاسفة التنمية من ظاهر ومخزون المعرفة[1].

إن تناول موضوع التنمية الذي تشعب في كل العلوم الاجتماعية من علم الاقتصاد إلى علم الإجتماع والعلوم السياسية والأنثروبولوجيا وعلوم التربية، تجعل من المفهوم قاسما مشتركا بين هذه العلوم. فتناول هذا الموضوع، يستلزم تجديد المنطلقات الفلسفية التي ارتكز عليها هذا الحقل العلمي لتبيان موضوعاته وأفكاره، لننتقل إلى نقده وتقويمه.[2]

إن فلسفة التنمية من المنظور الغربي المعاصر لا تعني الإتباع والمحاكاة، إنما تختص بالأفكار الأساسية والافتراضات المركزة في عمليات التنمية التي يخطط لها على نطاق الإنسان والطبيعة وغيرها، مما يعتبر مجالا للنماء والكثرة، والتغيير إلى أوضاع أحسن، والتقدم في درجات سلم الرخاء، وتحسين ظروف الحياة[3].

إن مهمة الفيلسوف هي أن يتأمل أعمال مخططي ومنفذي التنمية، ودراستها ونقدها ابستومولوجيا فإذا كان محور التنمية هو الإنسان، وتحقيق الرفاه لهذا الإنسان في وسط مجتمع معين، فإن موضوع فلسفة التنمية هو اختيار أحسن البدائل التي تنسجم مع بيئته المحلية والثقافية. والسبق الجوهري للفيلسوف، يتجسد في النقد والتقويم والتقييم، انطلاقا من رؤية كلية أكثر عمقا وتشخيصا.

---

[1] - إبراهيم أحمد عمر، فلسفة التنمية، رؤية الإسلامية، مرجع سابق، ص 19.

[2] - المرجع نفسه، ص 19.

[3] - المرجع نفسه، ص 18.

-الفرق بين مفهوم التنمية وبعض المفاهيم المجاورة لها:

- **التنمية ومصطلح النمو**: يشير اصطلاح "النمو" إلى عملية الزيادة الثابتة و المستمرة، التي تحدث في جانب معيّن من جوانب الحياة، أما التنمية فهي عبارة عن تحقيق زيادة سريعة تراكمية ودائمة خلال فترة من الزمن. والنمو يحدث في الغالب عن طريق التطور البطيء والتحول التدريجي، أمّا التنمية والتخلف إلى حالة التقدم والنمو.

- **التنمية والتغير:** إن التغير لا يؤدي بالضرورة إلى التقدم والارتقاء، فقد يتغير الشيء إلى السالب، بينما هدف التنمية هو التغير نحو الأفضل بوتيرة متصاعدة ومتقدمة.

- **التنمية والتطور**: إن التطور مفهوم يعتمد بالأساس على التصور الذي يفترض أن كل المجتمعات، تمر بمراحل محددّة ثابتة في مسلك يندرج من أبسط الأشكال إلى أعقدها.

- **التنمية والتحديث**: التحديث في عموم معناه، هو جلب المقتنيات المادية، وأدوات الحياة العصرية مثل التجهيزات التكنولوجية والمعدات الآلية، والسلع الاستهلاكية، الخ... وإن اختلفت تعريفاته باختلاف ميادين العلوم، فتحديده في علم النفس، ليس كنظيره في علم الاقتصاد.

والتنمية كنشاط واع، شديدة الارتباط بمفهوم الإنسانية"Humanité"،الذي يدل على ما اختص به الإنسان من الصفات العليا. إن الإنسانية هي ذلك المعنى الكلي المجرد، الدال على ما تتقوم به ماهية الإنسان. وهذا المعنى الكلي يدل أيضا، على الخصائص المشتركة بين جميع الناس كالحياة والحيوانية، كما يطلق على مجموعة الأفراد الجنس البشري الذين أسهموا في تنمية الصفات الإنسانية إسهاما فعليا، كما يقصد به الوجود الأعظم[1].إنها كذلك، مجموعة المزايا التي يشترك فيها الناس كافة، أو جملة السمات المكونة للتباين النوعي، الخاص بالجنس البشري في مقابل الأجناس القريبة.[2]

---

[1]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، الجزء الأول، بيروت لبنان، سنة 1982، ص 158-169

[2]- أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، تعريب خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، المجلد الأول A-G ط2، بيروت، 2001، ص570

2ـــ في دلالة مصطلح "التنمية البشرية":(Human Development).

يرتبط مفهوم التنمية في هذا السياق، بتنمية الإنسان كهدف ووسيلة، أو تنمية قدرات الإنسان على تلبية حاجاته المادية والمعنوية والاجتماعية، وبإحداث تغيرات في البيئة القانونية والمؤسسية التي يعيش في كنفها البشر، وذلك من أجل توسيع خيارات الإنسان وبالتالي توسيع فضاء حريته. وعرف معجم "مفاهيم التنمية"، التنمية البشرية بأنها:"عملية توسيع خيارات الناس كي يعيشوا الحياة التي يطمحون إليها، ويمكن تمييز أربعة أبعاد لهذه التنمية: العدالة الاجتماعية، تكافؤ الفرص، الاستدامة، التمكين والمشاركة"[1]. والتنمية البشرية عمل هادف لتنمية الوعي الفكري لأفراد المجتمع، وامتلاك المهارات المهنية وتطويرها، وتأمين فرص التمتع، واكتساب المعارف العلمية على أنواعها، بما يخدم تطور المجتمع، ويزيد من رفاهيته.

يعود ظهور مفهوم التنمية البشرية إلى بداية مطلع التسعينيات من القرن الماضي، ويعد البرنامج الإنمائي المقدم من طرف الأمم المتحدة، نقطة تحول مهمة في الفكر التنموي، من حيث معالجة التنمية من الجانب الإنساني، وهو غير مفهوم تنمية الموارد البشرية الذي تطور حتى نهاية عقد الثمانينات من القرن الماضي، حيث كان يعتمد أسلوب القياس الكمي ضمن مؤشرات توقع الحياة عند الميلاد، ومعدل أمية البالغين، ونصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي،...إن التنمية البشرية لا تنتهي عند تكوين القدرات البشرية وفق المؤشرات السابقة، بل تمتد مؤشراتها أبعد من ذلك، ولهذا جاء تركيز المفهوم الجديد للتنمية البشرية لكي يكون أكثر شمولا واتساعا من حيث التوجهات والأهداف[2].

ويمكننا رصد التحولات التي انبثق عنها هذا النهج، من خلال المحاور التالية:

أ- نهج التنمية البشرية:

شكلت التطورات على مستوى الدولي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، الدور الحاسم في بلورة وبداية تشكيل تصور جديد للأطر الفكرية لمفهوم التنمية، تعطي للجانب الإنساني

---

[1]- معجم مفاهيم التنمية، لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا – الأسكوا، مؤسسات الإمام الصدر، بيروت، لبنان،2004 ص38

[2]- أحمد جميل حمودي، عرض كتاب التنمية حرية لـ إمارتيا سن رؤية شاملة للتنمية، الحوار المتمدن، العدد2322 ،متاح على الموقع الالكتروني التالي:http// www. Alhewar. Orq/ debat/ show2018/07/03

اعتبارا هاما. بحيث مهدت في مطلع التسعينيات من القرن الفائت لولادة نهج التنمية البشرية، رغم تباين المصالح بين أكبر الأيديولوجيات التي عرفها النظام العالمي، إلا أن هذا لم يمنع من إيجاد تطلعات مشتركة، كانت لها تأثيرات بالغة في طبيعة واتجاه المسارات على الصعيد العلاقات الدولية بكل أبعادها، الاقتصادية، والسياسية، وبالأخص على طبيعة واتجاه الأطر الفكرية والنظرية، وبالتحديد في جانبها الاقتصادي والاجتماعي.

ب- نهج التنمية البشرية: مسار تحولات جديدة.

انبثق نهج التنمية البشرية ليكون بديلا لواقع النظام الاقتصادي والاجتماعي الدولي القائم، فعمل على زعزعة أسسه في كل المواقع، لأنه يعطي الأولوية للبعد الاجتماعي والبشري في كل برامجه ومشاريعه، فلقد أبانت "الاستراتيجيات الدولية السابقة" للتنمية عن فشلها الذر يع بسبب سيطرة الأنظمة الرأسمالية في تحقيق العدالة، وتحقيق التوازن، وتوزيع الثروات المستندة إلى فلسفة النظام الاقتصادي الدولي القائم وفق نظريات النمو التقليدية[1].

هذه "الثورة" الإصلاحية البديلة على مستوى الرؤيا والأسس، يمكن الوقوف عليها من خلال ما يلي:

1- **التحولات الهيكلية:** وهي مجمل التحولات الجذرية والعميقة التي حصلت في البناء الاقتصادي والاجتماعي عبر مسيرة معظم الاقتصاديات العالمية،حيث كان لها الأثر البالغ في صياغة جديدة لمفهوم التنمية، هذه التحولات فرضتها تطورات الأحداث، ومختلف التطورات السياسية والاقتصادية والأمنية على صعيد العالمي، وسط سيطرة فترة الحرب الباردة.

2- **الأطر التنظيمية:** وتمثلت في الأنظمة: الرأسمالي، الاشتراكي، بالإضافة إلى الأنظمة النامية التي ميزت الاختلاف الواقعي والموضوعي بحكم معطيات ومقتضيات، منها الطبيعة الخاصة بها، والقدرات الذاتية والتوجهات السياسية و الاقتصادية و العسكرية.

3- **المؤسسات العالمية:** أفرز النظام الدولي الجديد بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة منظومات دولية مهمتها حفظ النظام الدولي من النزاعات، ومراعاة التوازن

[1]- باسل البستاني، جدلية نهج التنمية البشرية منابع التكوين و موانع التمكين، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2009، ص52.

بين القوى العالمية. ومن أهم هذه المؤسسات والهيئات: منظمة الأمم المتحدة، صندوق النقد الدولي، البنك الدولي، ومنظمة التجارة الدولية.

4- التمويل الدولي: يتمثل في التدفقات المالية بين الدول الغنية والدول النامية، خاصة في مجال المديونية و الاستثمار.

5- سقوط النظام الاشتراكي: مثل انهيار النظام الاشتراكي تحولا عميقا وجذريا في طبيعة الصراع الدولي، فهو أهم حدث في النصف الثاني من القرن العشرين(بريسترويكا ميخائيل غورباتشيف، وسقوط جدار برلين 1989). هذا الوضع مكن النظام الرأسمالي من مراجعة بعض مرتكزاته وتوجهاته، فراح يعمل على زيادة تعظيم موارده المادية و المالية و البشرية دون صراع، ليبلغ بهذا الانفراد أقصى تطوره و يزداد هيمنة واستحواذا على مقدرات غالبية دول العالم، ليكرس بذلك أحادية قطبية بكل أبعادها ومضامينها، وفي المقابل، أدى هذا الحال إلى تهاوي البديل لدى غالبية الأمم، في اختيار نموذجها في التطور الحضاري وتشكلها الاقتصادي، مما زاد في اتساع الفجوة بين العالمين المتطور اقتصاديا والمتحكم سياسيا (المتبوع)، و العالم الضعيف المتخلف(التابع).

لاشك أن هذه المسارات و التحولات هيآت الظروف الملائمة لإحداث تغيير حاسم في التوجه الفكري المتعلق بواقع التنمية الدولي، بعد إن اختل واتسم باللاإنسانية، وتعاظم سيطرة النظام الرأسمالي خاصة في حلته الجديدة الذي تريد عولمة العالم من خلال فرض ثقافة ومنطق السوق، وإعادة إحياء أشكال الاستعمار القديم، مثل ما حدث في العراق(الغزو الأمريكي الأول 1990،والثاني2002)، وما يحدث حتى يومنا هذا للحصول على الموارد الأولية، أو فرض عقوبات أو إشعال حروب لتمرير أجندات دولية تخدم مصالح "الكبار"الأقوياء، وهو ما زاد من تفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، بعد أن أفرغ علم الاقتصاد من محتواه الانساني[1]،إن هذه التحولات التي حملت معها معاناة الغالبية المقهورة من سكان المعمورة، كانت دافعا لإعادة صياغة توجه الفكر التنموي، ليأخذ في الحسبان، المعطى البشري الإنساني، في قضايا النمو والتنمية.

[1]- باسل البستاني، جدلية نهج التنمية البشرية منابع التكوين و موانع التمكين، مرجع سابق، ص 43

ج نظرية النمو الجديدة:

إن إخفاق نظريات النمو التقليدية التي تقوم على الفكرة المركزية التي تنظر إلى التنمية على أنها مجرد نمو اقتصادي ("الادخار، التراكم ، الأسعار، الإنتاجية ، التوازن، معدل النمو)، والمعبر عنه بمعدلات الزيادة في الناتج المحلي، والدخل الفردي دون إعطاء أولوية لنمط توزيع العادل للدخل في تحسين ظروف البشرية،مما عرضها الى انتقادات واسعة، بعدما جعلت من الإنسان وسيلة وآلة إنتاجية للسلع، لتفتح المجال لظهور نظريات بديلة تعلي من الشأن الإنساني، وتؤكد توجهها شطر التنمية البشرية كغاية، وتثبت أن الإنسان يمثل القوة الدافعة والحقيقية لأي تقدم اقتصادي، وتبرهن أن الرأس المال البشري يمثل ركيزة أساسية في أي عملية إنتاجية، لأنه مرتبط بسلوك الإنسان المسؤول عن تراكم عوامل الإنتاج والتقنية، هذه النظريات الجديدة ستتخذ طريقين لتحقيق فاعليتها، وإثبات دور العامل البشري في تحقيق النمو الاقتصادي، هما:

1- نظرية رأس المال البشري أو نظرية تنمية الموارد البشرية،

2- نظرية البحث والتطوير[1].

فالنظرية الموارد البشرية، ساهمت في البرهنة على دور التعليم و الارتقاء به، وبيان مدى مساهمته في إعلاء قدرات وإبداعات الإنسان، في تحصيل تحسين عوامل الإنتاج، أما نظرية البحث والتطوير كان دورها في إبراز الآثار الايجابية التي يحدثها الإبداع و الابتكار من خلال المشاريع البحثية في المجال العلمي لينعكس على تحسين الإنتاجية.

هذه الرؤية الجديدة في التعامل مع المورد البشري مثلت تحولا نوعيا في الرؤية والتحليل، فرض تحولا في السياسة المطلوبة منها ضرورة توفير الظروف الملائمة لتحقيق احتياجات التنمية الاقتصادية و الاجتماعية، وكان أهمها إدخال اعتبارات حيوية جديدة في طريقة تثمين الجوانب التعليمية و الصحية، والتدريب المهني و الاستثمار في البحوث لمواكبة التقدم العلمي، لتعزيز فاعلية رأس المال البشري[2].

[1]- باسل البستاني، جدلية نهج التنمية البشرية منابع التكوين و موانع التمكين، مرجع سابق، ص 46

[2]- المرجع نفسه ص 46، 47

- ظهور فكرة الاستدامة[1] في استراتيجية منظمة الحماية الدولية التي أفرزها الاتحاد الدولي للطبيعة عام 1980، حيث أكدت في أول تقرير على التحذيرات من تدمير البيئة، التي لم تعد حكرا على الدول الصناعية، وتدق ناقوس الخطر. فتم تبني هذه الوثيقة من طرف اللجنة الدولية للبيئة في سنة 1987.

- صدور تقرير برندتلاند (Brundtland)[2]، الذي يحمل شعار "مستقبلنا المشترك" يقر بوجوب تعايش العالم الصناعي والعالم النامي لأن المصير الأرضي مشترك لتحمل التنمية على إثر هذا الشعار الشهير اسم "التنمية المستديمة" تضمن حاجيات الجيل الحاضر ، دون المساس بقدرات الأجيال القادمة على تلبية حاجياتها.

- برنامج الأمم المتحدة للبيئة[3]، الذي تبنى نفس المواقف السابقة، بخصوص مراعاة البيئة المشتركة ويحتل مكانة محورية في تقرير التنمية البشرية سنة 1990 من قبل البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، بالإضافة إلى حركات ومنظمات دولية التي رافقت هذا التطور النظري، ساهمت في نقد المنظومة الفكرية لنظريات النمو،وكشفت عن العديد من الجوانب السلبية في بناءها،وأعادت بلورة تصورات من شأنها تصحيح الأخطاء التي وقعت فيها هذه النظريات، سواء التقليدية أو المعاصرة، ونذكر منها:

أ– نادي روما(Club of Rome)[4]، الذي يؤطره مفكرون من مختلف التخصصات، والذي يسعى إلى تمكين التطور الانساني المستقبلي في ظل ظروف بيئية ملائمة، كانت لقراراته صدى عالميا نظرا للقضايا الحيوية التي طرحها.

---

[1]- باسل البستاني، جدلية نهج التنمية البشرية منابع التكوين و موانع التمكين، مرجع سابق، ص 47.

[2]- المرجع نفسه، ص48.

***تقرير لجنة برندتلاند:** هو الميلاد الحقيقي لمفهوم التنمية المستدامة، رغم أن جذور هذا المفهوم ترجع إلى ما قبل هذا التاريخ، وقد عرف تقرير برندتلاند التنمية المستدامة، بأنها الجهود التي تبذل لتلبية احتياجات الأجيال القادمة دون المساس أو الأضرار بمساعي أجيال المستقبل في قدرتها على تلبية احتياجاتها.هذا ويمثل مفهوم التنمية المستدامة تطويرا للمفاهيم المتعلقة بالتنمية، فالناظر إلى مفهوم التنمية وما لحقه من إضافات، يتأكد من أن مفهوم التنمية المستدامة هو تتويجا له حيث يعتبر محاولة لتجاوز الثغرات التي وقعت فيها المفاهيم السابقة، لأن مفهوم التنمية بشهادة الكثير من المفكرين والفلاسفة ولد ناقصا، وغير محدد المجال بشكل واضح،لأنه كان يعبر عن عملية مادية بحتة، أي تأسس على البنيات الاقتصادية والتكنولوجية، مع إغفال الجوانب الاجتماعية بمضامينها الثقافية والأخلاقية .نظر كتاب باسل البستاني، جدلية نهج التنمية البشرية، ص 42.

[3]- باسل البستاني، جدلية نهج التنمية البشرية، منابع التكوين و موانع التمكين، مرجع سابق، ص 49
باسل البستاني، جدلية نهج التنمية البشرية، منابع التكوين و موانع التمكين، مرجع سابق، ص 50.

ب– اللجنة الدولية لإعادة صياغة النظام الاقتصادي الدولي الجديد[1]، وهو يهدف إلى جعل مسارات التنمية أكثر توازنا، لتحقيق العدل الانساني في توزيع المداخيل، وعمل على تعميق الحوار بين دول الشمال ودول الجنوب.

ج– نهج الرفاهية[2]، الذي تبناه البنك الدولي الذي يهدف إلى النظر إلى القيمة الإنسانية في التنمية كهدف، مما يتطلب دعم الدولة، وأساسه التوجه من القناعة إلى الرفاهية، اعتمادا على تحسين الدخل.

د– تقرير ويلي برانت(W.Brandt Rapport)[3]، الذي يستهدف التحذير من تعميق الفجوة بين الأغنياء و الفقراء، و المخاطر التي يخلفها اتفاق التسلح في إهدار الموارد المالية المحدودة.

ه– حركة السلام الأخضر[4]، التي اهتمت بقضايا البيئة وحمايتها، وأصبح لها دورا فاعلا في إدراك المخاطر التي تحدق بالموارد الطبيعية على مستوى عالمي.

و– نهج الحاجات البشرية[5]، وهو يمثل التوجهات التي تعبر عن قضايا التوزيع العادل للدخل، وتهتم بالفئات الأقل دخلا، وإعطاء الخدمات العامة دورا مركزيا لتخفيف من حدة الفقر، وتوفير المتطلبات الدنيا للاستهلاك العائلي وضمان جودتها.

إن مساهمة المفكرين في العلوم الاجتماعية على وجه التحديد، تمثل جهاز رقابة يترصد صناع القرار من السياسيين والاقتصاديين الأقوياء، أملا في تغيير الأسس النظرية للنمو وإحداث تغيير في طبيعة الفكر السائد، لتبني مقاربة تأخذ في اعتبارها الترابط العضوي للجانبين الاقتصادي والاجتماعي، وأهمية كل منهما للآخر. ورغم أن هذه المساهمات والانتقادات لم تكتسب الزخم الكافي، نظرا لإطارها النظري الذي لم يرق إلى مستوى النظرية العلمية، إلا أن الفضل يعود لها في إحداث تغيرات حاسمة ومهمة على أرض الواقع في إقناع الشركاء في طبيعة التفكير السائد، فمن أهم آثارها صياغة وإدخال مفهوم التنمية البشرية في صلب نظرية النمو الاقتصادي المعاصر، وتحويل أولويات الجانب الاقتصادي المتعلقة بالإنتاج ليشمل جانب التوزيع العادل والاستدامة، وعمل على اعتماد آليات شبكات

[1]- - باسل البستاني، جدلية نهج التنمية البشرية منابع التكوين و موانع التمكين، مرجع سابق، ص 50
[2]- المرجع نفسه، ص، 50
[3] - المرجع نفسه، ص،51
[4] - المرجع نفسه، ص،51
[5]- المرجع نفسه، ص،51

التأمين الاجتماعي والصناديق التحويلات الاجتماعية، وتصنيف موضوع المرأة في صميم التحليل التنموي.

لقد ساهمت هذه الحركات واللجان الحكومية وغير الحكومية، بالإضافة الى العلماء والمفكرين في علم الاجتماع والاقتصاد في تثبيت البعد البشري، وإعطائه اهتماما متزايدا على مستوى النظري والعملي. الأمر الذي مكن من طرح البديل المتمثل في ولادة نهج التنمية البشرية، فكان صدور أول تقرير دولي للتنمية البشرية عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة عام1990، وهو بمثابة الوثيقة الرسمية للنهج. ودعوة صريحة للترويج له. فقد ركز على أن الهدف النهائي لتحقيق التنمية البشرية، إنما هو توسيع للخيارات و تمكين للقدرات للبشرية، وهذه الخيارات تتحدد من الناحية الواقعية بمحددات اقتصادية واجتماعية، وثقافية وسياسية وبيئية، وبالتالي تصبح التنمية البشرية توجها إنسانيا للتنمية الشاملة والمتكاملة والمستدامة، حتى يشعر الإنسان بأنه فاعل أساسي في عملية التنمية، وليس مجرد مستفيد من ثمار ها، ومن دون مشاركة حقيقية وفاعلة.

وتجدر الإشارة أيضا، إلى أن مصطلح "التنمية البشرية" لا يزال قيد الإثراء بحكم مرونته، وهو ما يجعل إيجاد تعريف دقيق (جامع مانع) له، أمرا متعذرا. لكن هذه الصعوبة لا تمنع من التأكيد الدائم والمستمر بأن التنمية البشرية، تظل تتمحور حول تطوير القدرات البشرية، حتى يتمكن الإنسان سد حاجياته المادية والمعنوية والاجتماعية والعقلية والثقافية، وتعمل على توسيع قدرات الإنسان لبلوغ الأقصى ما يمكن بلوغه من احتياجاته. ذلك أن الإنسان هو الفاعل الأول والأخير في هذا الكون المسخر له، فالغاية من الاستخلاف هي عمارة الكون وبنائه وإصلاحه.

ثانيا- إشكالية التنمية البشرية في النسق المعرفي لمرحلتي الحداثة ما بعد الحداثة:

بزغت إرهاصات الحداثة من أسوار علم الفلك، حيث عملت نظرية كوبرنيك Copernicus(1473-1543)على"إزاحة" الأرض من مركز الكون[1]. لقد أربكت هذه

[1]- إصدارات العوادي، إعداد إيهاب كمال، إيمانويل كانط سيرته وفلسفته، الحرية للنشر والتوزيع، د ب ن، د س ن، ص112

الانطلاقة الواعدة، مفهوم الحقيقة المطلق الذي سيطر على الإنسان. لقد كانت هذه الثورة ـ "الكوبرنيكية"، دلالة ابستيمولوجية على سلطة العقل وأثره البالغ في بناء المعارف الفلسفية والعلمية، كما كشفت عن طبيعة مصدر المعرفة، فالحقيقة ليست معرفة حسية منفردة بل تستلزم إعمال العقل.

من الواضح ان تدشين خطاب الحداثة، كان بتمجيد العقل واعتباره أسمى وأشرف وأنبل "الموجودات"، فلا شيء في الكون يفوق عظمته وقيمته، وهكذا أسقطت الأقنعة، وانهارت كل المعتقدات، التي تقوم على وجود مراتب مختلفة للإنسان، هذا الإنسان الذي مزقته التفرقة بين الرجل والمرأة، وبين العبد والسيد، والمتحضر والبربري....وبالمثل ساهمت السياسة في إضافة أهم دعامة للفكر الحديث، وهي أن الإنسان كائن مفكر وحر. بهذا التوجه كان رجال الفكر الأوروبي الحديث، يسعون إلى تحقيق الرقي الإنساني والاجتماعي بعقلانية غايتها التطلع إلى المستقبل[1] ·يحدوهم الأمل في أن يكون هذا المستقبل أفضل من الماضي"الهمجي". وفي ظل هذا المخاض الفكري، انبثقت فكرة التقدم وهي فكرة التي سيتولد عنها عصر جديد عرف بعصر الأنوار الذي يعبر عنه الفيلسوف إيمانويل كانط E Kant (1724 - 1804) بأنه "خروج الإنسان من حالة القصور الذاتي الذي يعد هو بذاته مسؤولا عنه"[2]، فالحداثة إذا حركة انفصال مع التراث والماضي، لكنها لا تنبذه ولا ترفضه، وإنما تحتويه وتدمجه في عهده الجديد. إنه انفصال وقطيعة، وفي الوقت ذاته تراكم واتصال واستمرارية وتراكم من جهة أخرى.

إن مفهوم الحداثة يرتبط بلا شك، بمرحلة تاريخية متميزة، هي مرحلة الانتقال من منظومة قيمية تصورية وأخلاقية واجتماعية، رافقت ما يسمى بالعصور الوسطى، مثلها في الغالب الطابع الإقطاعي، لتنتقل إلى مجتمع ذي طابع حديث يقوم على مجموعة من القيم، لعل في مقدمتها مفهوم المساواة، والحرية الفردية في المشاركة السياسية، والرقابة على الحكم، وإسناد السلطة ؟إلى الشعب، وما رافق هذه القيم من ممارسات مكنت الإنسان من تحقيق

[1]- صدارات العوادي، إعداد إيهاب كمال، إيمانويل كانط سيرته وفلسفته، مرجع سابق، ص 113

ذاته على مستوى الاجتماعي، وعلى مستوى المؤسسات السياسية والثقافية والاقتصادية، وهذا ما جعل موضوع الحداثة يحتل موقعا فكريا بارزا في عالمنا المعاصر.

إننا نعتبر أن الحداثة مرحلة، بلغتها المجتمعات الغربية عبر مسارها التاريخي، تعبر عن ظهور مجتمع حديث يتميز بالعقلانية والتفتح وسيطرة التقنية، كما تعبر - كونيا- على ظهور البرجوازية داخل المجتمع الغربي الحديث، في إطار ما يسمى بالنهضة الأوروبية، الأمر الذي جعل المجتمع الأوروبي الحديث، يركز على جدلية التغيير والتحول[1]، وهذا هو ما يعمل علي تحقيقه "نهج التنمية البشرية" المعاصر.

أما التوصيف الاجتماعي المعاصر للحداثة فقد صاغه،"آلان تورين" في خلاصة كالآتي: "إن المجتمع الحديث يتأسس على مبدأين، النشاط العقلي والاعتراف بالحقوق العامة لكل الأفراد، لأن الحداثة المكتملة لا يمكنها أن تكون إلا نقيضا للنموذج الطائفي"[2]، وفي رده عن علاقة الحداثة بطريقة التحديث الغربي. يرى"آلان تورين" أن النموذج الإجتماعي الغربي هو نموذج مستمد من مبادئ الحداثة، لأنه ينتظم حول فكرة مجتمع يصنع ذاته، إنه حركة تحول ذاتي، بما يعرف بنهج القدرة والتمكين المبدأين الأساسين الذين يراهن عليهم مشروع التنمية البشرية داخل المجتمعات الغربية، وبعبارة أوضح، إنه يؤمن باستعمال العقل ويعتمد على الفكر في تحقيق تنمية شاملة، ويحترم الحقيقة القابلة للإثبات، والنقل والتطبيق، لذا كان همه لا أن يحسن درجة كماله، بل حظوظ الحياة والعمل ويلبي حاجات أعضاء المجتمع كافة ففكرة الحداثة في شكلها أكثر طموحا، هي التأكيد على أن الإنسان هو ما يفعله بذاته، وتتاح أمامه كل الخيارات[3].

إننا نعتبر أن الحداثة هي حقبة زمنية متجددة عملت على تغيير وضع الانسانية في قلب كل المجلات ابتداء من الدين والمنهج العلمي والطبيعة والعلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية عموما، حاملة معها مشروع لتخليص الإنسان من "الموروث"غير النافع

---

[1]- أمال علاوشيش وآخرون، مقال ضمن كتاب جماعي سؤال الحداثة والتنوير – بين الفكر الغربي والفكر العربي، إشراف وتقديم خديجة زتيلي، منشورات الاختلاف، ط 1 ،الجزائر ،2013 ، ص 144 .

[2]- آلان تورين، براديغما الجديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، المنظمة العربية للنشر، بيروت،2011، ص134.

[3]- ألان تورين، نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة ، (د. ط)،1997.

للماضي. حيث استطاع الإنسان التخلص من الكثير من "الأوهام"، وتحرر من قيود الكنسية والإقطاعية، وراح يعتنق التفسير العقلي لمختلف الظواهر في الكون.

لقد شكلت "النظرية السلوكية" أهم نسق معرفي صيغت به العلوم الاجتماعية فيما بعد الحرب العالمية الثانية، ومثلت محتواه الأساسي، بتبنيها قيم كونية في العلم والمنهج للوصول إلى الحقيقة، سعيا لتحقيق مقولات الحداثة، وأسسها المعرفية على المستوى العلمي أولا، ثم تحقيقها على الواقع الإجتماعي بعد ذلك. هذا التوجه جعل من هذه القيم، ترسم ملامح المرحلة السلوكية التي اتخذت من التنمية، الموضوع الأساسي في نسقها الفكري. ويمثلها كل من "جبرائيل ألموند "Gabriel.A.Almond(1911-2002)، و"صموئيل هنتنجتون "[1] اللذين تبنًا في أعمالهما خطابا تنمويا من أهم مبادئه، اللحاق بالركب الحضاري، وإتباع نمط واحد للتطور سواء في النظام الاشتراكي أو النظام الرأسمالي، وتتأسس هذه المبادئ حول أربع قيم طبعت فكر العصر الحديث، وجعلت من الغرب رائدا في مجال التنمية بمختلف مجلاتها وهي:

- العلمنة.
- التصنيع.
- التحضر.
- الديمقراطية.

هذه القيم يجب تبنيها وتطبيقها على مستوى عالمي، بواسطة مؤسسات وسياسات حتى تتحقق التنمية المنشودة.

لكن هذه المواقف والدعوات لم تشفع للحداثة، الوفاء بوعدها الذي قطعه روادها. فالأزمة التي مر بها الغرب خلال القرن العشرين، بينت بطلان ما كانت تبشر به، من تقدم وتنمية، يقول "وليام إنج William Inge"(1913-1973) "لقد كان الأيمان بالتقدم هو القوة المحركة للغرب طوال ما يقارب المائة والخمسين عاما، لقد انتهى الغرب إلى إدراك عبثية ذلك

[1]– ريتشارد هيجوت، نظرية التنمية السياسية، ترجمة حمدي عبد الرحمان ومحمد عبد الحميد، المركز العربي للدراسات السياسية، ط01، الأردن 2001 ، ص186

الأيمان وعقمه"[1]. ويصف "روجي جارودي Roger.Garoudy"(1913-2012) المشهد الحداثي قائلا:"لقد تهاوت أوهام كثيرة، وهم رخاء الرأسمالية الذي لا حدود له وهم الديمقراطية التي كان يتصورها الناس على أنها جمهورية الذوات الواعية، وتصوروا وجودها يسمو على صالح الأفراد والجماعات"[2].

اشتهر المفكر الفرنسي "جان فرنسوا ليوتار"Jean Francois Lyotard(1924-1998) بنقده للحداثة،من خلال كتابيه "حالة ما بعد الحداثة" "و"الوضع ما بعد الحداثي"حيث يصف الفكر الحداثي بـ"السرديات الكبرى" كنمط من الخطابات التي تتمركز حول افتراضاتها المسبقة، ولا تسمح بالتعددية والاختلاف، حتى مع تنوع السياقات الاجتماعية والثقافية، فضلا عن إنكارها لإمكانية أما في مجال العلوم الحديثة والتكنولوجيا والحاسوب، فقد سعت هذه العلوم إلى اختصار الإنسان إلى مجموعة من الأفكار، ومن ثم تغذية نظام الحاسوب بتلك الأفكار، ليقوم بما يقوم به الإنسان، ولكن بكفاءة أعلى بكثير، وهذه العملية ستؤدي في النهاية إلى خلق جسد بدون فكر، أو بدون رأس، إن إقصاء الفكر عن الجسد وتحميله في الحاسوب هو حالة من نزع الانسانية عن الفكر، أي لا يعود الفكر مرتبطا بقضايا مثل الهوية والذات، والدوافع النفسية، والاجتماعية والطبيعية، وبذلك لا يعود هناك أي مقاومة للنظام وتختفي "السرديات الصغرى"، وإمكانيات الاختلاف، لأنها ترتبط بالهوية والفردية، وبالتالي لن يكون هناك "حدث".

يرفض ليوتار "السرديات الكبرى"، كالماركسية والليبرالية، ويؤمن بفلسفة الفعل التي تكون مرحلية ومؤقتة وراهنة، تخلوا من البعد التنظيري الشمولي، الذي تميزت به هذه السرديات، يضيف ليوتار أننا نعيش في حقبة تمر فيها النصوص السردية الرئيسية المشرعة بأزمة، وتشهد ترجعا، إذ تزعم هذه الفلسفات الكبرى التي ترى أن تاريخ تقدمي، وأن المعرفة ستحررنا، وأن وحدة خفية تجمع بين أشكال المعرفة[3]. ويلاحظ أن "السرديات

[1]- سامي محمد نصار، قضايا التربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة ،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007، ص19

[2]- روجي جارودي، نظرات حول الإنسان، ترجمة يحي هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،1983، ص17

[3]- كريستوفر باتلر، ما بعد الحداثة، ترجمة نفين رؤوف، مراجعة،عبد المولى أحمد، مؤسسة هنداوي للتعليم، ط1، مصر، 2016، ص1.

الكبرى"، بما تحتويه من مبادئ مؤسسة ودستورية، مازالت إلى حد كبير مصدر قلق مستمر ،تبررها الخلافات الدائرة حاليا في الولايات المتحدة حول حرية التعبير والحق في الإجهاض، وحق المواطنين الأمريكيين في حمل السلاح، ومثال بسيط على الإدعات الكبرى لسردية الماركسية، هو إيمانها بالدور المتميز والحتمي للطبقة البروليتارية[1]، وعلى هذا الصعيد، يدعو ليوتار، إلى التخلي النهائي عن كافة التصورات السابقة التي تؤدي إلى الانغلاق العقائدي ورفض الآخر[2].

وفي إطار البحث الإنساني عن مخارج حضارية جديدة لانتشاله من وحل الحداثة، يمكننا القول بحسب تعبير فوكو" لقد اختتمت الحداثة وعودها واستنفذتها حتى الآخر،لتمهد بذلك لانبثاق عهد ما بعد الحداثة"[3]، وبالمثل يحكم مارتن هيدغرHeidegger Martin(1889-1976)على المشروع الحداثي وخطابه الفلسفي بالانغلاق والتناهي، ويعلن عن نهاية الحداثة، مطالبا بالتفكير فيما بعد الحداثة.[4]

وعبرت "النظرية النقدية" ابتداء من "ماكس هوركهايمر"Max Horkheimer(1895-1973) و"ثيودور أدورنو"،Theodor Adorno(1903-1966) و"هربرت ماركيوز"، Herbert Marcuse (1898-1979)و"يورغن هابرماس"، و"أكسل هونيث"،Axel Honneth(1949-الآن)...، عن "متطلبات" العصر الجديد، من خلال التصدي بالأسلوب النقدي، إذ تصر هذه الفلسفة على أن التفكير يجب أن يستجيب للمشكلات الجديدة، والاحتمالات البديلة للتحرر التي تنبثق عن تغير الظروف التاريخية. إضافة إلى أن النظرية النقدية اتسمت بتعدد تخصصاتها وخاصيتها التجريبية، لأنها تعايش الواقع في جوهره على نحو فريد إضافة إلى أنها متشككة ـ وعلى نحو عميق ـ في المزاعم المطلقة. كما اهتمت دائما بتشخيص آلام العقل الغربي والإنساني عموما وكشف التأويل المضلل الأيديولوجي للأنظمة، وممارسة تأويلا مضادا لإنقاذ المجتمع الغربي والإنساني عموما، فبقدر ما انصب اهتمامها على نقد

[1]- -كريستوفر باتلر، ما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 20

[2] - Jean-Francois Lyotard ;LipidinalEconomy;Cotinuum.Great Britain;2004 ,PP 42-43

[3]- ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت،1990، ص19

[4] عبد الرزاق بلعقروز، تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2009 ص 191 – 192

العقل الأنواري وعلى كل نزوع شمولي، وعلى الاتجاه الوضعي، وعلى النسق الهيجيلي، والماركسي، والليبيرالي البرجوازي[1]، بقدر ما كان سؤال الفرد يشغل أغلب فلاسفتها، بمعنى أن الفكر النقدي يعبر عن أزمة الفرد والمجتمع من كل جانب بكل ما يستتبع ذلك من قيم ثقافية جديدة، أفرزتها الحداثة ووفرتها توجهات النظام الليبيرالي، كما اهتمت في المرحلة الثانية ببناء النظرية الاجتماعية القائمة على تأسيس حركة تنوير، وصياغة عقلانية جديدة، تسترشد بالمنجزات العصرية للعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، وعلوم اللغة، وعلم النفس التربوي التطوري، بهدف تحقيق حلم الخلاص، والحرية والعدل الذي راود فلاسفة التنوير[2].

- هذه الانتقادات و"التكسيرات" للبنيات والأنساق، والتشكيك في قدرة منجزات الفكر المعاصر حتى هذه اللحظة، هي البوابة التي سيدخل منها الفكر الانساني إلى آفاق أرحب ، هي ما يصطلح عليه، بمرحلة "ما بعد الحداثة". ففي هذه الفترة، رصد حي ومباشر لمختلف التحولات التي ظهرت في الغرب، بداية من النصف الثاني للقرن العشرين من تاريخ الإنسان الغربي بالتحديد. وبتعبير أخر، يمكن اعتبار ما بعد الحداثة روح وانبثاق للحضارة الجديدة والثقافة المنسجمة معها، وبغض النظر عن العلاقة بين الحضارة والثقافة باعتبارهما وجهين لحقيقة واحدة.

تمثل مرحلة ما بعد الحداثة احتجاجا وصرخة رفض عميقة لما وصلت إليه الحداثة في مختلف نواحي النظم الاجتماعية، بعدما ثبت فشل مشروعها التنموي الذي وعدت به شعوبها، وفي هذا السياق، يرفض أنصار ما بعد الحداثة مفاهيم الحداثة مثل: العقل، والذات، والعقلانية، والمنطق، والحقيقة،...والى غاية كتابة هذه السطور.

- سنتعرف على "حال قضيتنا "التنمية البشرية" في هذا الفضاء الإبستيمي الجديد من خلال أطروحات فلاسفة وباحثين عايشوا هذه المرحلة النوعية- بل إن بعضهم لا يزال يمارس العطاء الفكري والعلمي، والى غاية كتابة هذه السطور- بالاعتماد على بعض المقارنات

[1]- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، إفريقيا الشرق، بيروت، ط2، 1998، ص34

[2]- عصام عبد الله، رهان الحداثة وما بعد الحداثة، الدار السعودية المصرية، ط1، القاهرة، 2008 ص08

بين بعض المفاهيم المرتبطة بإشكالية التنمية البشرية، والتي نعتبرها إشكالية ما بعد حداثية في الصميم:

- لقد وضعت مرحلة الحداثة موضع الشك والتساؤل، مسألة الالتزام الغربي بالتنمية والتقدم الذي وعدت به الانسانية، كما شككت مرحلة ما بعد الحداثة في النظم السياسية التي عززت هذا المعتقد، وكثيرا ما يحيل أنصار ما بعد الحداثة إلى مشروع التنوير الذي يعني، الإيديولوجية الإنسانية الليبيرالية التي هيمنت على الثقافة الغربية منذ القرن الثامن عشر، ساعية الى تبني تحقيق مشروع التنمية للبشرية في أوروبا وبلاد الغرب عموما، وتحريرها من الفقر والقهر، الذي عانت منه البشرية، وتحقيق الرفاه الاجتماعي. ويرى أنصار الفكر ما بعد الحداثي، أن المشروع الحداثي رغم أنه كان جديرا بالثناء نظرا لما حققه للبشرية، إلا أنه تحول إلى قمع و تسلط على البشرية، وفرض عليها مجموعة معينة من أنماط التفكير[1].

إن ظهور ما بعد الحداثة، كان نتيجة التغيرات التي برزت في الحياة البشرية، اجتماعيا وثقافيا وسياسيا،... والتي أفضت في النهاية إلى تحول جذري في البنية الثقافية للمجتمع، وعلى الرغم من خصوصيتها الغربية، إلا أنها امتدت إلى مجتمعات أخرى لم تتشبع حتى بقيم الحداثة، لكنها تظل تمثل مرحلة هامة من تاريخ المجتمع الغربي المعاصر[2].

مع نهاية الصراع الإيديولوجي بين مدرستي الحداثة، كان من البديهي، تجاوز نظريات التنمية التي نشأت في ظل هذا الصراع، إذ أن التنمية في مرحلة ما بعد الحداثة، ستأخذ شكلا مغايرا في موضوعاتها ومكوناتها... وينبغي القول أن التحولات التي شهدها العالم بعد الحرب الباردة برهنت على أن التغير في التنمية، لم يكن تغيرا في محددات ومكونات النظرية التنموية الحداثية، ولكنه كان انقلابا عليها في حد ذاتها، أي داخل المجال الحيوي للحقل المعرفي للتنمية .

---

[1]- مقدمة كتاب جماعي: دليل ما بعد الحداثة، ما بعد الحداثة تاريخها وسياقها الثقافي، تحرير ستيوارت سيم، ترجمة وجيه سمعان عبد المسيح، ج1 ،المركز القومي للترجمة ، القاهرة ،2011 ص07.

[2] - إيهاب حسن، سؤال ما بعد الحداثة، ترجمة بدر الدين مصطفى أحمد، موقع الالكتروني مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية المغرب، 2016، ص03 www.mominoun.com

وكما تمت الإشارة إليه، ظهرت مذاهب فكرية معاصرة رافضة للحداثة[1]، تركز جهدها النقدي والمنهجي في زعزعة المسلمات المعرفية والأساليب التقنية والمنهجية، مثلما مر بنا مع المدرسة السلوكية، ونموذجها التنموي الذي كان يقوم على التصورات التالية: في ما يلي:

- شمولية النظريات العلمية وتعميمها عبر الثقافات والأزمنة والأماكن.
- التمركز حول الذات الغربية.
- الاعتقاد في المنهج الواحد الصحيح القادر على فهم العالم، والوصول الى الحقيقة الأخيرة في العلم والمعرفة.

لقد انطلقت ما بعد الحداثة كحركة إصلاح للمشروع الحداثي، محاولة تجاوز النهايات الحتمية، فجددت التأكيد على الاستقلال الفردي، وإذا اعتبرنا أن الحداثة قد تجاوزت الدين، وتحولت إلى الدولة، فإن ما بعد الحداثة قد تجاوزت الدين والدولة معا، واتجهت إلى الفرد، ومن ثم دعت إلى إعادة التفكير في مقاربات التنمية بهدف تجاوز التوجه التنموي الذي كان سائدا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وطيلة الحرب الباردة بين المعسكرين[2] .

إن فشل العديد من التجارب التنموية، داخل هذه الدول، أدى إلى الفشل في الطرح الخطأ لمسألة التنمية، لأنها لم تعد مسألة اقتصادية، بل إنسانية وتحوي أبعادها المختلفة، ومن ثم تم إعطاءها بعدا وعمقا ثقافيا مهما، لذلك أصبحت ما بعد الحداثة عنوانا للجدل في التسعينيات ما بين أكاديمي التنمية في مواجهة تعمق الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، بشكل يعكس تزايد الشك اتجاه المشاريع الرأسمالية والاشتراكية المهيمنة على تطبيق نهج التنمية، لذلك رأى الكثير من المفكرين التنمويين أن المشاريع التنموية التي طبقت بعد الحرب العالمية الثانية،لا تصلح للمستهدفين منها، فالخطاب التنموي الغربي أنتج المزيد من الحرمان والاحتلال الثقافي لدول العالم الثالث، بحيث أضحت التنمية وسيلة لسيطرة على الشعوب، الأمر الذي جعل هذه البرامج تمارس بوسائل الهيمنة وتعادل هيمنة الاستعمار[3].

---

[1]- - إيهاب حسن، سؤال ما بعد الحداثة، ترجمة بدر الدين مصطفى أحمد، موقع الالكتروني مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية المغرب، 2016، ص189.

[2]- المرجع نفسه، ص 189.

[3]- الشرقاوي، باكينام.، إشكالية الثقافة و التنمية في الاتجاهات الفكرية الغربية. الأمة و أزمة الثقافة و التنمية : المجلد الأول. دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، مصر :.، ص ص. 101-152

في هذا السياق جاءت ما بعد التنموية لتعلن إفلاس مفهوم التنمية وعدم صلاحية استخدامه خاصة وأن تطبيق التنمية قد ضر أكثر مما نفع، من هنا دعت إلى البحث عن بدائل، وهي رؤية لا تعارض مشاريع التنموية بل تعارض المفهوم والنظريات التي ارتكز عليها في حد ذاته، لذلك دعت إلى ترك كافة هذه النظريات والبحث عن رؤى بديلة من أجل تحسين حياة الشعوب كافة[1]، لذلك فالمدرسة التي تبنت التوجه الما بعد تنموية ترفض التنمية النابعة من الخطاب الغربي لأنها تمثل نوعا من الإمبريالية الثقافية تتجاهل التنوع التاريخي والثقافي للمجتمعات وبالإضافة إلى تعدد وتداخل خطابات التنموية الغربية[2].

وترى أن الحاجة إلى خطاب تنموي محلي حتى يتحقق الرفاه البشري، وهنا نجد أن مفهوم التنمية بدأ يأخذ بعدا إنسانيا خاصة بعد تبني الأمم المتحدة من خلال برامجها وهيئاتها المختلفة الرؤية الجديدة للتنمية، بحيث أصبحت التنمية منصفة وعادلة ومستديمة وطفت على البرامج أهداف تنموية مثل التنمية الاجتماعية، والعدالة والمواطنة والديمقراطية وحماية البيئة وإدماج قيم مثل المساواة والمشاركة والتضامن، والحريات السياسية والبعد الثقافي المحلي. لننظر في بعض النماذج الفكرية المعبرة عن هذه الطروحات الجديدة :

أ- برتراند رسل: التربية طريق النجاة

يرى الفيلسوف الانجليزي المعاصر "برتراند راسل" Bertrand Russell (1872- 1970)- من خلال فلسفته التي تعتمد منهج التحليل-، ضرورة تهيئة الأسباب لتمكين الإنسان من التربية المعتمدة على التدريب، لتحقيق نمو متوازن في العملية التربوية.إنه يميز بين التربية نفسها، لأنها تختلف باختلاف الغايات، فهناك تربية لتهذيب الخلق، وتربية لتحصيل المعرفة يعتمد عليها في بناء الإنسان من خلال الأهداف والمناهج[3]. تبتدئ هذه العملية منذ السنة الأولى للمرحلة الابتدائية إلى نهاية المرحلة الجامعية .تربية تراعى فيها الأهداف، ومدى

https://search.emarefa.net/detail/BIM-700155

[1]- -الشرقاوي، باكينام.، إشكالية الثقافة و التنمية في االتجاهات الفكرية الغربية. أألمة و أزمة الثقافة و التنمية مرجع سابق ص 102 ص152

[2]- المرجع نفسه، ص 153

[3]- هشام محمد الشمري، فلسفي التربية عند برتراند راسل، مجلة كلية الآداب، العدد 102، بغداد،ب س ن، ص651-652

قبولها وتوافقها مع أهداف المجتمع، ومدى قابليتها للتحقق، لأنها عملية مشتركة بين الأسر، والمؤسسات التعليمية.

وإذا كانت أهداف التربية تختلف من عصر إلى آخر، فغايتها واحدة وثابتة، تتمثل في تكوين شخصية الفرد وصناعة سلوكه، وأسمى أهدافها تحقيق تنمية عقلية واجتماعية وأخلاقية.

استنادا إلى هذا الطرح، نستطيع الحكم بأن الإنسان بشخصيته الحالية هو انعكاس للأنماط التربوية السائدة، وعليه يعرف راسل التربية على أنها عملية تنشئة وتفاعل اجتماعي شامل تتأثر بحدود الزمان والمكان، وتختلف باختلاف نمط الحياة السائدة في المجتمع، وأن ما تسعى إليه هو صقل قدرات الفرد المواطن، ويشير راسل إلى أن التربية التي ينشدها المرء لأولاده، لابد أن تتوقف على المثل العليا للخلق الإنساني، وعلى الدور الذي يرجو أن يكون لأطفاله في المجتمع إذا كبروا، وأن المؤمن بالسلم لن يبتغي لأولاده التربية نفسها التي يستجديها المؤمن بالحرب، ويجد أن الخلاف أعمق وأشد من هذا، يصفه بأنه خلاف بين من يتخذ التربية وسيلة لتلقين عقائد محددة معينة بالذات، ومن يرى أن التربية يجب أن تغرس في المتعلم القدرة والتمكين على الاستقلال في الحكم[1].

خاطب راسل الضمير الانساني بقوله:"إنكم تملكون بفضل المعرفة، قوى لم يسبق للإنسان أن امتلكها، وفي مقدوركم أن تحسنوا استغلال هذه القوى أو تسيئوا استخدامها. وسيكون لكم ذلك إذا تحققتم من أن الجنس البشري أسرة واحدة"[2]. ولقد شكلت التربية الفكرية في فلسفته تلك النظرة الشاملة إلى مجموعة الأهداف والمبادئ الفكرية التي تتعمق بها التربية، من أجل فهم طبيعة الفرد وطبيعة المجتمع، والعلاقة الجدلية بينهم وتدرس طبيعة المعرفة وطبيعة القيم وتسعى إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية كيف نربي؟ ومن أجل ماذا نربي؟

يعلق راسل آمالا كبيرة على الاكتشافات الحديثة في علم النفس، بمعنى أن خلق الإنسان يتكون ويتحدد بالتربية المبكرة إلى حد كبير بكثير. يقسم التربية إلى مجالين:

- تربية لتهذيب الخلق.
- تربية لتحصيل المعرفة.

[1]- هيثم حسين، كتاب في التربية برتراند راسل، مجلة الجديد،العدد34، نوفمبر/تشرين الثاني، ب ب ن،2017،ص153

[2] Russel- Ma Conception du monde, traduit de l'Anglais par Louis Evrard- Edition Gallimard, Paris, 1962.P.147

وفي جوهر معالجته للفكر التربوي، يقف راسل على فكرة في غاية الأهمية، حين يعبر عن إمكانية تحسين الحياة البشرية وتعميم العدالة الاجتماعية من خلال التربية، ومن الممكن بالتنظيم والعلم، إيواء سكان العالم كلهم وإطعامهم، ومن الممكن مكافحة المرض وجعل السقم المزمن نادرا جدا، وغير ذلك من الممكنات.

ب- أمارتيان سين: من "نهج القدرات" إلى وضع مؤشرات للتنمية البشرية:

يعرف عالم الاقتصاد، المفكر والباحث الهندي، المقيم في الولايات المتحدة الأمريكية أمارتيان سينAmartyan Sen(1933-)،"نهج القدرات" بأنه: " قدرة الأشخاص على أن يعيشوا حياتهم، التي لهم دليل في اختيارها وتقديرها"[1]. وإذا كانت نظرية "الخيار الإجتماعي"هي قلب نظرية أمارتيان سين، فإن "نهج القدرات" يعتبر قلب أعماله وأشهر إبداعاته. هذا ما جعل الفلاسفة والعلماء يتبنون آراءه، وذلك من خلال الشرح والنقد، في مجلات متعددة وتحويلها إلى حقول معرفية أخرى[2].

لمصطلح أو مفهوم "نهج القدرات"، سلطة معرفية محورية في كتابات "سين". فلقد انطلق من تأكيده على ضرورة إعادة النظر في نظرية "العدالة"، و"نهج القدرات" يرتكز على قيمة العدالة، التي تعتبر غير ذات معنى إذا انعدمت قيمة "الحرية". تعود صياغة هذا المفهوم، إلى نقد سين لإحدى أهم النظريات التي عرفها الفكر السياسي المعاصر، وهي نظرية "العدالة " للفيلسوف الأمريكي المعاصر جون روالز" John Rawls" (1921-2002)، التي اعتمدت على مقاربة "توزيع السلع الأساسية" والتي اعتبرها سين غير كافية في بيان مقتضيات تحقيق العدالة[3]. تبنى أمارتيان سين، نظرية "الخيار الإجتماعي "ويعتبرها البديل عن العدالة الاجتماعية وتنظيم المجتمع.

تعتبر نظريته في العدالة، الأساس الفكري للتنمية البشرية كآخر مقاربة بعد مقاربتي "التخطيط المركزي" و"التغيير الهيكلي" التي اعتمدها النظامان الرأسمالي والاشتراكي من قبل،.وضع "مؤشرات" للتنمية البشرية تبنتها منظمة الإنماء التابعة للأمم المتحدة،

---

[1]- تحسين حمة سعيد شمس الدين، نظرية أمارتيان سين في العدالة ونتائج تطبيقها على العدالة الانتقالية، مجلة جامعة التنمية البشرية، العدد4، ص192

[2]- المرجع نفسه، ص 192.

[3]-المرجع نفسه، ص ص 208 -209

واعتبرتها دليلا ومنهجا لقياس مدى تلبية الاحتياجات الأساسية للفرد والمجتمع، كما استخدم مقياسا لتحديد مراتب الدول من حيث درجة التنمية. ويتكون هذا الدليل من ثلاث مكونات أولية أساسية وهي: الصحة، والتعليم والدخل. ويقاس التقدم في هذه المجلات بالمؤشرات التالية: توقع الحياة عند الميلاد، معدل القراءة والكتابة بين البالغين، المعدل المركب لنسب القيد في مراحل التعليم، ومتوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، وهذه المؤشرات يتم من حين إلى آخر، تعزيزها بمؤشرات أخرى حتى يتحقق "الرفاه الإنساني".

ويرادف سين بين الحرية الفردية والتنظيم المجتمعي كأساس للتقدم الإنساني، وتتحقق التنمية بالنسبة له عندما نزيل القيود على الحرية، حيث أن المؤسسات المجتمعية تلعب دورا جوهريا في ضمان أو تحديد حرية الأفراد، منظورا إليهم كفاعلين نشطين،وليس كمتلقين سلبيين للمنافع[1]، وتتمثل هذه المؤسسات الفاعلة في هذه المهمة التحفيزية، في الأسواق الحرة، والإدارة الحكومية، والمجالس التشريعية، والأحزاب السياسية، والقضاء، والمنظمات غير الحكومية، ووسائل الإعلام، تتكاتف من أجل الإسهام في تعزيز الحريات الفردية، وصيانتها. كما يميز إمارتيان سين بين خمسة أنواع من الحريات الوسائلية، وهي:

- الحريات السياسية.
- التسهيلات الاقتصادية.
- الفرص الاجتماعية.
- ضمانات الشفافية.
- الأمن الحمائي.

إن هذه الحريات حين تنسجم وتتكامل فيما بينها، تؤدي إلى تمكين الناس من اكتساب القدرات البشرية، وتوظيفها في تحقيق الحياة التي يريدونها. وما يأخذه "سين" بالاعتبار، إذ الحرية الحقيقية للفرد هي ما استطاع تحقيقه، وهذا ما جعله يتخلى عن الكثير من الأصول الاجتماعية باعتبارها معيارا للتقويم[2]. فالهدف لا يكمن في ما توفر من مواد متاحة للشخص كي يحقق هدفه، وإنما في الحرية التي يمتلكها التي بفضلها تتاح له بدائل الاختيار بين أنماط

[1] - مراد دياني، حرية- مساواة- اندماج اجتماعي نظرية العدالة في النموذج الليبرالي المستدام، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط01، بيروت،2014، ص 103

[2]- مراد دياني، حرية- مساواة- اندماج اجتماعي نظرية العدالة في النموذج الليبرالي المستدام، مرجع سابق، ص103

العيش المختلفة، لذلك يضع الحرية والمساواة في نفس المستوى[1].فينبغي توسيع الحريات وتسويتها بين الجميع بغية تنمية القدرات لتحقيق الذات على مستوى الأفراد، ومن ثم تنعكس على التنمية الجماعية وتحقق الرفاه الاجتماعي المطلوب.

ج- مؤشرات أخرى مهمة في تعزيز فعالية الفكر التنموي:

1- هناك اتفاق في الفكر الغربي المعاصر على أن مبدأ "المساواة"، هو الأساس والجوهر لمفهوم "الحرية" في مختلف ميادينها. وفي مقاربة وجيزة لموقع مفهوم الحرية في مدونة الحداثة الغربية يظهر لنا أن هذا المفهوم، يحتل موقع متميزا في الفكر الغربي الحديث والمعاصر، وأن المفاهيم المعيارية التي تمثل أساس مؤشرات التنمية البشرية لا تكاد تضاهيه، بل نجد أن جل المؤشرات الأخرى تستمد شرعيتها ومصداقيتها بالإشارة إليه. وتعتقد الفيلسوفة الألمانية المعاصرة "حنا أرندت"Hannah Arendt (1906- 1975)، أنه لا مناص من التفكير في الحرية،لا كمفهوم مجرد، بل ممارسة وتفكير فيها، بوصفها قضية. وتخص هنا المجال السياسي الذي تؤكد فيه على تجاوز المنظور الفلسفي، وذلك من خلال تبني مفاهيم ترتبط بالفعل، والممارسة والنقاش، والحوار، بدل مقولات الإرادة والاختيار والسببية[2].

2- وبحسب كرستيان ليمكChristian Lemeke فإن الدولة القومية في أوروبا، قد أثرت بشكل كبير في ترسيخ مبدأ المواطنة، لذلك تعددت المداخل لتي تدرس مسألة المواطنة، فهناك المدخل الفلسفي يدرسها مفهوم المواطنة ويربطها بقيم العدالة والمساواة وحقوق الإنسان، وهناك المدخل الإجتماعي، الذي يتناولها من خلال علاقة الفرد المواطن بالمجتمع، وارتباط مفهوم المواطنة بمفهوم الهوية، والمجتمع المدني، وفي هذا المنوال تطورت التحليلات والدراسات من مستوى علاقة الفرد بالمجتمع إلى علاقة الفرد بالدولة[3]. ومما ينبغي الإشارة إليه أن المواطنة تطلق على المواطن الذي يعيش في ظل النظام الديمقراطي، ويتمتع بالحرية، والكرامة، والأمن.

---

[1]- المرجع نفسه، ص104

[2]- مصطفى الشاذلي، حنة أرندت ونقد التصور الفلسفي للحرية ،مجلة تبين ، العدد25/7، 2018،ص33

1- محمد حلمي عبد الوهاب، الهوية والمواطنة في الخطاب الليبرالي المعاصر، جريدة الشرق الأوسط، العدد12117، 31 جانفي 2012

ومصطلح المواطنة في حد ذاته لصيق بمفهوم الدولة المعاصرة، ويستند إلى قواعد وأسس قانونية، وذلك لمراعاة الحقوق والوجبات تجاه الدولة والمجتمع، كما أنه جزء لا يتجزأ من مفهوم مبدأ أخر، وهو الفصل بين السلطات، الذي يعتبر ضمانة وخاصية سياسية لتحقيق المساواة بين الأفراد، واحترام حقوقهم وحرياتهم. بالإضافة الى أن المواطنة تتضمن الجانب الدستوري للدولة القانونية[1]، التي تحولت عبر مسيرتها التاريخية من دولة الحماية الى دولة الرعاية، التي تحفظ جميع مكوناتها، وتقف على مسافة واحدة منهم جميعا، بغض النظر عن أصولهم، وأعراقهم، ودينهم، وميولاتهم الفكرية والمذهبية. فالدولة التي تتحقق فيها المواطنة هي دولة كفاءات، وليست دولة ولاءات، واستطاعت أن تحق المساواة في التعامل مع الاختلافات القائمة بين المكونات البشرية، فاعترفت بالفوارق الدينية، والعرقية وأوجدت لها القنوات اللازمة لتعبير عنها بما يصب في مصلحة الوطن والمواطن، فتحول الاختلاف القائم إلى تنوع وثراء، وأمد الدولة بمزايا ومواصفات ما كانت لتحصل عليها، لو لم تتخذ المواطنة منهجا للتعايش[2].

وتوالى في العقود الأخيرة من القرن العشرين، ظهور العديد من الاستراتيجيات السياسية، وما يلزمها من استراتيجيات تربوية، تهدف إلى تعميق قيم تربوية، تجعل الأفراد أكثر تفاعلا، وانخراطا، في المفهوم الجديد للمواطنة، الذي يحاول وفق المنطق الديمقراطي الغربي المعاصر، إحلال هوية جديدة، محل الهويات المختلفة المتشابكة، التي تنشأ على أساس الديانة، أو الجنس، أو العرق، أو الطبقة الاجتماعية، هذه التوجهات تبني اعتقادها وتؤسسه على أن الهوية المدنية، هي الهوية الوحيدة التي تمتلك المساواة لكل المواطنين في الدولة، بغض النظر عن الاختلافات السابقة، فالهوية المدنية مشاعة لكل المواطنين[3].

تركز هذه الهوية على الالتزام بمبادئ وقيم الديمقراطية التي تذوب فيها كل الفوارق الدينية والعرقية، لتؤسس وتشكل بهذا الالتزام تصورا واقعيا لمفهوم المواطنة العالمية، أو المواطنة

---

[1]- عبد الصمد سعدون، جدلية العلاقة بين الدولة والمواطنة في تفعيل التنمية المستدامة، مركز الدراسات الإقليمية. الرابط الالكتروني: www.iasj.net/iasj?Func

[2]- بدر الشبيب، المواطنة أساس التعايش في الدولة الحديثة، شبكة مزن الثقافية متاح على الموقع الالكتروني التالي: http://www.mozn.net/act

[3]- عثمان بن صالح العامر، المواطنة في الفكر الغربي المعاصر دراسة نقدية من منظور إسلامي، مجلة جامعة دمشق، المجلد التاسع عشر العدد الأول،2003، ص229

الأرضية، أو المواطنة متعددة الأبعاد[1]. هذا التصور يحال إلى المؤسسات التعليمية التربوية، والسياسية في العديد من الدول الغربية، من أجل ترسيخه في وعي كل أفراد المجتمع، من خلال العناصر التالية :

- الإحساس بالهوية القومية والعالمية في الآن نفسه.
- التمتع بحقوق معينة.
- الالتزام بالمسؤوليات والوجبات.
- مسؤولية المواطن في أداء دور ما، في الشؤون العامة.
- قبول القيم الاجتماعية الأخرى[2].

وعلى الرغم من تعدد المبادئ والحقوق التي يتضمنها مفهوم المواطنة، إلا أنها ترتكز على بعدين أساسين الذين يمثلان الأرضية الحقيقية، وهما: المساواة، والحرية السياسية. فالمساواة التي تمكن المفهوم الجديد للمواطنة المتعددة الأبعاد، من جعل الشعوب شركاء بغض النظر عن الاختلافات الحضارية. وهذه الأرضية هي التي يتأسس عليها الفكر الغربي المعاصر، ليتوحد الجميع في مواجهة التحديات العصرية على قاعدة الهوية، والحقوق والوجبات، والقيم الاجتماعية، وليس على الأديان، والثقافات، والأعراف والتقاليد.

3-إن جوهر "الديمقراطية" يقوم على اعتبارها نهج للحكم، يتضمن معادلة لاتخاذ القرارات، طرفيها الحاكم والمحكومين، وتقترن بتحقيق المساواة والحرية والعدالة، فالديمقراطية المعاصرة اليوم أبعد من أن تكون عقيدة شاملة، وهي أقل من أن تكون نظاما اقتصاديا واجتماعيا، له مضمون عقائدي ثابتا، لذا استطاعت هذه الصيغة الجديدة للديمقراطية، تحرير نفسها من صفة الجمود، ونفي شبهة العقيدة لتكون منهجا عمليا واقعيا يأخذ عقائد وقيم المجتمعات المختلفة في الاعتبار، ويراعي من خلالها النتائج المطلوب تحقيقها وفق هذا التصور المعاصر، فالخطابات السياسية المعاصرة تركز على نتائج المقاربة الجديدة للديمقراطية، التي تتأسس على الحرية المعبرة عن إرادة الشعوب، وتحقق تنميتها. إن التجارب الناجحة المعاصرة تؤكد على أن العلاقة بين التنمية والديمقراطية، تمثل مسارا له

[1] - عثمان بن صالح العامر، المواطنة في الفكر الغربي المعاصر دراسة نقدية من منظور إسالمي، مرجع سابق، ص 232

[2]- عثمان بن صالح العامر، المواطنة في الفكر الغربي المعاصر دراسة نقدية من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص233

اتجاهين، فالديمقراطية توفر آليات ومؤسسات، من شأنها أن تمكن من تحقيق التنمية ذات بعد إنساني. و تقدم المسيرة التنموية من شأنه أن يوجد الظروف الموضوعية، ويهيئ للممارسة الديمقراطية داخل المجتمع ،من خلال المشاركة الشعبية وتوسيعها في صنع القرارات،ومن خلال منابر الحوار وتبادل الأفكار، وفتح المجال لتشكيل منظمات المجتمع المدني، وتمكين المواطنين من الحصول على المعلومات لفهم الواقع والتأثير فيه، في ظل استقرار سياسي الذي لا غنى عنه لتحقيق التنمية[1].ولذلك نجد"آلان تورين" يشترط الوعي السياسي للممارسة الديمقراطية كثقافة، فهذا الوعي له ضرورة وأهمية أكبر من الوعي بالمواطنة، وما يغذي الوعي الديمقراطي هو الاعتراف بتنوع المصالح والآراء والسلوكيات داخل المجتمع[2]. لذلك تقوم ثقافة الديمقراطية على مبدأين رئيسيين متكاملين وهما: الإيمان بقدرة الأفراد والجماعات على صنع حياتهم المقترن بالاعتراف بحق الآخرين في تحقيق وجودهم الخاص، بوصفهم ذوات وبوصفهم أفراد يسعى كل منهم لأن يكون قوة فاعلة تحقق وجودها[3].

[1]- عبد الله تركماني، جدل العلاقة بين التنمية والديمقراطية، الحوار المتمدن، العدد2659، 2009/05/27

[2]- ألان تورين، ما هي الديمقراطية حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية، ترجمة حسن قبيسي، دار الساقي، 2016، بيروت، ص197

[3]- ألان تورين، ما هي الديمقراطية حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية، مرجع سبق ذكره، ص200

خلاصة:

ظل مفهوم التنمية أسيرا للبعد الاقتصادي إلى غاية سبعينيات القرن الماضي، أين استطاع الفكر التنموي تقديم تصورات جديدة، تقر بعجز مفهوم النمو، ومفهوم التنمية الاقتصادية عن احتواء البعد الإنساني، حينها بدأت بوادر تفصح عن فصل منهجي بين مفهومي النمو والتنمية في المدونة الفكرية الغربية، إن مفهوم التنمية المنبثق في حلته الانسانية يعني اليوم، مصطلح شامل يحمل تجربة تتشابك فيها عوامل متعددة، وتضم كل المجلات حياة الاجتماعية وعلاقتها بالعالم الخارجي، ووعيها بنفسها، وبهذا تصبح النظرة الجديدة للتنمية منطلقة من تصور إنساني واسع المدى، يلح دائما وفي تجلي واضح على مبدأ أن الإنسان يجب أن يكون غاية ووسيلة. أي أداة العمل، والمنتفع في الآن نفسه في هذه التجربة، فلا ينبغي أن نختصر التنمية في كونها مجرد تحديد لمجموعة من الموارد ووسائل العمل، أو الإنتاج، أو السلع الاستهلاكية أو استثمار صناعي، وإنما هي تحسين كيفي للحياة الإنسانية[1].

إن التنمية إذن، ينبغي أن تقوم على اعتبارات معقدة ومتشابكة تتداخل في فعاليتها مؤشرات مختلفة، وأن يكون لها طابع متعدد التوجهات والمظاهر للحياة الاجتماعية، يستجيب لأهداف أخلاقية وثقافية، والتي تتجذر في أعماق التراث التاريخي لكل مجتمع، ولا تكتفي بتحقيق العدالة الاجتماعية، بل إن من أهم أهدفها أن تستوفي مبدأ الإنصاف بشكل محسوس، ليس في الأحوال المادية فحسب، بل يجب أن تهتم بالرقي الروحي والخلقي للكائن البشري باعتباره كائن اجتماعي. إن التنمية من هذا المنظور المتجدد، هي الحلقة المفقودة في تكامل سلسلة التنمية، التي يجب أن تنبع من مشاركة أكبر وأعمق من جانب الفرد في الحياة الاجتماعية، وفي الوقت نفسه أن تمكن الفرد من الاضطلاع بدوره الفعال في هذه المشاركة[2].

---

[1]- فيديريكو مايور ثارا جوثا، نظرة في مستقبل البشرية، قضايا لا تتحمل الانتظار، دار العالم العربي للطباعة،ط1، القاهرة، 1990، ص83

[2]- - فيديريكو مايور ثارا جوثا، نظرة في مستقبل البشرية، قضايا لا تتحمل الانتظار، مرجع سابق، ص84.

الفصل الأول: أزمة الحضارة الغربية في تحليلات إدغار موران

المبحث الأول: سيتوبلازما الثقافة الغربية المعاصرة: نقد الأسس والآليات

المبحث الثاني: الخطاب الإبيستيمولوجي الجديد: المعالم والخصوصيات

تمهيد:

ربما لم يعرف الفكر الغربي المعاصر في السنوات الأخيرة نقدا صريحا مثلما عرفه على يد إدغار موران، فقد خصه بعملية تفكيك عميقة وتحليل دقيقة، ونقد للأسس والمقولات التي بني عليها. فراح يكشف عما يكمن خلف بداهة المفاهيم وتصوراتها ونزعتها التبسيطية المريبة من عناصر التعقيد، التي تفرض على الفيلسوف التسلح بمعرفة متشعبة، يستمد عناصرها الاستدلالية من العلوم الفيزيائية والبيولوجية، ومن الآداب، والتاريخ والعلوم الإنسانية، تمثل في مجموعها إستراتيجية التركيب والنقد، والتحليل كمنهاج لها. فالفكر الحديث الذي سيطر على العقل الغربي طيلة قرون الماضية استند على مبدأ التبسيط، ينطلق من فكرة أن الحقيقة موجودة في العالم الخارجي، مستندا على منهج التحليل للوصول إليها، لذلك استطاع أن يسيطر على هذا الواقع ويختار منه ما يريد، مستبعدا الاعتراف بالفوضى والتشتت، والتناقض، والصدفة...، وهذه أهم المقولات التي سوف يكشف عنها فكر التعقيد الذي تبناه إدغار موران في نقده للفكر الحداثي، بعد الفشل إلى أثبتته نتائج التجارب العلمية، التي كان لها أثر بالغ على أذهان العلماء في تحرير العقل، حيث لازمت العقل الأرسطي والعقل الديكارتي[1]، ليتم الاتجاه نحو منطق حواري ينفر من التفكير المركزي، ويطرح تفكير جديد يسعى إلى استيعاب كل التناقضات، ويتميز بالانفتاح على كل ما هو جديد، دون التخلي على مكتسبات العقل الحداثي.

لا يعتمد إدغار موران على فكر التعقيد لأجل التعقيد، وإنما يعتمده منهجا لأجل تحرير الإنسانية من وحل العقل الغربي المأزوم. فالحداثة - بحسب موران- فقدت صوابها من كثرة غرورها وتمردها، رغم أنها حققت نجاحات ضخمة منذ القرن التاسع عشر، إلا أنها انتهت بأزمات متعددة.

[1]- سعيدي عبد الفتاح، نقد العقل الحداثي عند إدغار موران، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد26، سبتمبر2016.

1- المبحث الأول: سيتوبلازما الثقافة الغربية المعاصرة: نقد الأسس والآليات.

تمهيد:

ورث القرن العشرون علوما كثيرة في كافة المجالات، وشهد تطورا كما حلم به فلاسفة التنوير من أمثال:مونتيسكيوMontesquieu(1689-1755)، جان جاك روسوj.j.Rousseau (1712-1778) وفوليتر Voltaire(1694-1778)، الذين ثاروا ضد تدخل الكنيسة في شؤون العلم، وقاوموا الطغيان من أجل تحرر الإنسان من القهر الطبقي الاستبدادي، ونظّروا لفكر يناهض التعصب الديني، وأسسوا لديمقراطية ضد حكم الملكية وضد الإقطاع. ورغم أن فكر الأنوار الذي أعلى من شأن العقل، ومجد الإنسان كحرية وإرادة، وبشر بتقدمه وتحرره حين تحققت هذه الآمال أثناء الثورة الفرنسية **1789** تحت شعار "الحرية، الإخاء، والمساواة "، فما أن توطدت دعائم الثورة وانفتح الأفق لتجسيد قيم الحداثة، حتى بدأت النتائج تأتي على عكس التوقعات. وباسم العقل والعلم والتقدم، جاءت أنظمة استبدادية شمولية تصادر حرية الفرد وإرادته، وانطلقت الآلة الاستعمارية تغزو العالم، وتسحق حقوق الإنسان وتسلب حريته. وما أن حل النصف الأول من القرن العشرين حتى بلغت الحداثة قمة احباطاتها، من خلال حربين عالميتين، قتلت عشرات الملايين من البشر، ومازالت البشرية تذوق ويلات الحروب، والاستغلال والاضطهاد، كل ذلك باسم الحداثة.

لا يمكن بأي حال أن ننفي حجم التقدم والتطور الذي بلغته الحضارة الغربية في شتى مجالات الحياة، فلقد تجاوزتحدودها في الترف والرفاهية، لكن الإنسان الأوروبي أضحى يائسا من فرط هذا التطور الذي تتجلى حقيقته في التقدم التقني والتكنولوجي، الذي نلمس رفاهيته في جل مجالات الحياة الاجتماعية، من الخدمات الطبية، والإنتاجية الصناعية وغيرها، مما لا يمكن حصرها، إلا أن هذا التقدم أدخل الإنسان الغربي في متاهات وأزمات عميقة، لا يدرك أنها سبب في ما يعانيه. وإذا أراد أي ناقد للفكر الحداثي أو الحضارة الغربية

تلخيص متاهات أو سلبيات هذا الفكر أو هذه الحضارة، فسيلخصها في عاملين رئيسيين مرتبطين ببعضهما، وهما:

- تقديس العقل.
- الانهيار الأخلاقي.

يتجلى هذان العاملان في مقومات الحداثة المتمثلة في العقلانية والذاتية والحرية. وهنا تنبثق رؤية موران كمفارقة بينه وبين نقاد الحداثة؛ في تصوره الذي نعتبره أكثر يقينية، أو يمكننا القول أنه ينظر من زاويته الخاصة إلى انحراف الأنساق العلمية، بعيدا عن القيم الإنسانية التي رسختها الفلسفات الكبرى، ومختلف حركات التنوير(النظريات الأدبية)، والمدارس الفنية منذ عصر النهضة، فصار العلم غريبا في بيئة لا تعترف بالقيمة الإنسانية، ولا تلتزم سوى بالكيفية التي يتم بها تحقيق فائض القيمة عن طريق الاستلاب الفردي، والاستلاب الجماعي على الصعيدين المحلي والعالمي.

يعلن إدغار موران أن كل واحد منا حيثما وجد في أنحاء الكرة الأرضية يدرك أن العالم قد بات محكوما بمصير جماعي وعلى الفكر أن يكون أساس لرحى هذه المعركة، فالجميع يواجه نفس المخاطر أهمها تدهور المحيط البيئي وعواقبه وانتشار السلاح النووي واقتصادا غير منظم ومصدر لعدم المساواة، ومع ذلك أمام هذه المشاكل بدلا من إدراك أننا نشكل مجتمعا واحدا بات كل واحدا يتعلق بهويته وفردانيته وديانته.

إن أزمات القرن العشرين هي حصيلة المنحى المعرفي التبسيطي، ففي الظاهر نجد وجها حضاريا يتمثل في تقدم تكنولوجي وتقني مهيمن. وفي الباطن، نقف على همجية ووحشية متخفية وظاهرة أحيانا .هذه الأزمات تطورت فيما بعد إلى نزاعات وعداوات بسبب سيطرت الفكر المادي على الفطرة الانسانية. إن القلق النفسي الذي استبد بالفرد في المجتمعات الغربية جعله يشعر بأن الحياة لا معنى لها. فلقد تمكنت التقنية الصماء والعلم المادي من تجفيف المشاعر التي رسخها الدين والتقاليد الاجتماعية العريقة، مما جعل معظم المفكرين الغربيين يتهمون الفكر الحداثي بإخلاله بتعهداته والتي أبرزها توفير السعادة للجميع انطلاقا من السعادة المادية، وتحقيق الأمن بكل أبعاده بغية تقليص الفوارق

الاجتماعية، وعلى العكس من ذلك، يقول موران: "إن رغد العيش المادي قد أنتج في النهاية حالة من الضنك الجواني، الذي تؤكده ظاهرة نمو المهدئات والمسكنات[1]، التي يستهلكها الناس، ثم اللجوء المستمر لمعظم الشباب إلى الهيئات الاجتماعية والطبية والنفسية والروحية المختصة، لكي تصالحهم مع أجسادهم"[2].

1- مفهوم الأزمة عند إدغار موران:

يبدو أن الأزمة التي يعيشها العالم الغربي تحديدا، جاءت كطبيعة للمتغيرات الحاصلة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، فبعد فشل الخطط التنموية، اكتشف موران المفهوم المركب للأزمة من خلال تعدد ضروب اللايقين في كل شيء، وفي كل مكان، إذ "أنها توحي بصعوبة التشخيص العام، نتيجة غياب اليقين وتزايد نسبة الشك، وتوقف عمليات الضبط، وبداية عمليات الانفلات وتراجع عن البحث عن الحلول"[3]، ولقد عم هذا المفهوم جميع آفاق الوعي المعاصر في القرن العشرين، وشمل جميع المجالات، فالأزمة داخل المجتمع وفي الأسرة وفي العمل وفي القيم والقانون والاقتصاد، وفي الحضارة عامة، فالحاضر في ضياع والكوكب الأرضي يعيش واقع التخريب من يوم إلى يوم، الوضع هذا يجعل من الغموض يتفاقم ويزداد عمقا، فميزة هذا القرن تتسم بفقدان خاصية التنبؤ بالمستقبل، أي استحالة كشف ما قد يحدث، وهكذا تم التخلي عن إمكانية التنبؤ بالمصير الإنساني، لأن تعميم المفهوم أفرغه من معناه،"فإذا كانت الأزمة تعني في أصلها اليوناني "القرار" في اللحظة الحاسمة"[4]، تتيح عملية تشخيص المرض لحظة بروز الأعراض الواضحة، فإنها اليوم تعني التردد، وهي اللحظة التي تكشف التعقيد وصعوبة التشخيص، وبالفعل تمثل لحظة غياب الحسم واليقين التي تتزامن مع لحظات الاضطراب. لنأخذ مثالا

[1]- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، ترجمة بديعة بوليلة، دار الساقي، ط 01، 2018، ص 02.

[2]- مدني قصري، إدغار موران، العالم الغربي لم يلتزم بتوفير السعادة للجميع ورغد العيش المادي وأنتج حالة ضنك جواني،21 آذار / مارس 2008. 02:00 متاح على الموقع الإلكتروني § 455632/articles/addustour.com// https23.00h14m 06/05/2019:s=

[3]- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق، ص 02.

[4]- المصدر نفسه، ص 29.

في المجال الاقتصادي الذي لا نتنبأ نقصان أو زيادة مقاديره إلا من خلال الصفات الكمية له[5]، لكن الأزمة عندما تشمل مخرجات الحضارة، فإنها تفقد ملامحها.

وفق نظرة موران، لا تظهر الأزمة فقط عند حدوث خلل داخل اتصال أو عند حصول خلل داخل براديغم فكري كان يبدو ثابتا، بل تظهر أيضا عندما تكثر الاحتمالات. من ضمن التحليلات العميقة لمفهوم الأزمة التي يقف عندها موران مطولا هو المفهوم نفسه ـ الأزمة- الذي ينطوي على فجوة مزدوجة، فجوة في معرفتنا التي تمثل صلب مصطلح الأزمة وفجوة داخل الواقع الاجتماعي حيث نكشف عن وجود الأزمة التي انتشرت لتجتاح كل مجال الاجتماعي وكل مفهوم، ولكي نكشف عن ماهية المفهوم ومعناه يرى موران أن مواصلة عملية تأزيم ووضع مفهوم الأزمة نفسه في أزمة[6]. لذلك ينبغي لنا- حسبه- تحديد المعنى الحقيقي للأزمة والخروج من تعدد استعمالاتها. ففي حوار أجراه الصحفي **فرنسوا ليفونيه**[7] مع المفكر إدغار موران، يسأله حول مضمون كتابه" في مفهوم الأزمة"، فيجيبه أن الأزمة مفهوم كان دائما محور انشغاله ويخلق لديه مفارقات، خصوصاً أن الفارق شاسع بين الدلالة اليونانية القديمة والدلالة المعاصرة- كما ذكرنا سابقا- حيث يذهب مواصلا في تحليله لمفهوم الأزمة أكثر دقة حين يدخل إلى أغوار المفهوم، فيجده ينطوي على فوضى ناتجة عن إخفاق في ضبط النظام الذي يتحكم في توقيف مضار الأزمة، وعدم القدرة على كبت الانحرافات، ما يخلق وضعا غير مستقر[8]. ويستدل إدغار موران مقارنة بجسم الإنسان، باعتباره آلة بالغة التعقيد تعمل بصفة عادية لكنها من حين إلى آخر معرضة للمرض، أو لنقل إنها تشتغل مع الفوضى، لكن بمجرد أن تتعطل آلية التحكم وتتجمد إمكانات الضبط في هذه الآلة بفعل تأثيرات داخلية أو خارجية؛ يدخل الجسم في المآزق، أي ثبوت الأزمة، وفي هذه الحالة يجتهد النظام الذي يمثله جسد الإنسان من جديد لخلق التوازن، إما بالسعي للعودة إلى الحالة الجديدة، وإما بخلق نظام آخر أكثر تعقيدا عن طريق التكيف مع المعطيات الجديدة.

---

[5]- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق، ص 29

[6]- مصدرنفسه، ص 30.

[7]- صحفي فرنسي بجريدة لوموند أجرى حوارا مع إدغار موران يوم 12يناير 2016

[8]- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق ص07

أما عن أزمات المجتمعات فإنها- كما تبدو له- مرتبطة ارتباطا وثيقا بفكرة الاضطراب وبروز ظواهر أو تفاصيل تشوش السير العادي للأنساق والمنظومات، وما دام أن المنظومات قادرة على احتواء الشاذ، وضمه ضمن الكل دون أن يتركه يؤثر على توازن الكل، فلا حديث عن الأزمة، لكن بمجرد أن تكثر الاختلالات ويعجز الكل عن ضبطها، فنحن في قلب الأزمة.[9]

يؤكد موران على أن كل نظام حي أو كل نظام اجتماعي، يتضمن بالضرورة الفوضى التي تمثل تقلبات التي تنعكس على استقراره وتماسكه، لكن هذا النظام يسعى لاحتواء هذه الفوضى، عن طريق كبتها أو إفراغها من أهميتها أو تصحيحها أو تحويلها أو إدماجها... وفي حال ما إذا عجز النظام عن فعل ذلك، وفشل في لم شمل التناقضات و الاختلالات في نسق متناغم؛ فإن النسق الكلي يكون مهددا، بل قابلا للانفجار، فتلك هي الأزمة باختصار.يضيف إدغار موران أن أي أزمة تلم بمجتمع معين، تحفز لديه مسارين مختلفين ومتناقضين وهما: النكوص والارتماء في أحضان الماضي، والتمسك بمنقذ قدري ديني مثلا، والعمل على إدانة المذنب[10]، سواء أكان هذا المذنب الذي سبب الأزمة حقيقيا، أم كان إدانة لمذنب خيالي، باعتباره ضحية مقصود نسعى للتخلص منه. وفي هذه الحالة تصبح الأزمة عاملا للتراجع.

فالأزمة إذن، تكشف لنا فجوة في معارفنا وفجوة في الواقع الاجتماعي الذي أسفر عن إنتاج الشكل الهمجي للمجتمعات الذي يعيش في حالة دائمة من الشحن كما نعيشه اليوم، مما يجعلنا في وضع فوضوي وخطير، مما يؤدي إلى بروز بؤر من المقاومة عند مختلف الثقافات، وبأشكالها المتعددة والمتنوعة، وهذا ما نشهده لدى بعض هذه الثقافات، خاصة منها الإسلامية التي تسعى نحو الانغلاق على ذاتها أو على ماضيها.

يبرز ثراء الأزمة كمفهوم في إطار التطورات الاجتماعية – التاريخية يكشف من خلاله عن المستنقع الذي وقعت فيه البشرية في الحضارة المعاصرة، هذا ما يسعى موران

[9]- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق ص07.
[10]- المصدر نفسه، ص 09.

تشخيصه محاولا فتح الأفق للعلاج من خلال سبك مصطلح علم الأزمات CRISISOLOGY بعد التهديدات الكبرى للتواجد الانساني على كوكب الأرض التي باتت تلوح في الأفق القريب، ولفهم ما عليه حالنا، يوظف موران الفكر التعقيدي كمنهج لتجاوز المخاطر نحو الأفضل.

لكن كيف يكشف علم الأزمات موضوع الأزمة؟ وما طرق تشخيصها؟.

يجيب موران بأن الأزمة لا تظهر إلا بتوفر ثلاث مستويات مبدئية مستوى أول **نظامي** (نظام اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي)، ومستوى ثان **سيبيراني** يمثل القدرة على التنظيم الذاتي، ومستوى ثالث **أنتوربي** عكسي ويقصد به إمكان قياس تراجع الفوضى حيث اضطراب النظام، وفهم كم وكيف الانحرافات الحاصلة في النظام الذاتي وهو أمر تكون من دونه نظرية المجتمع غير كافية ومفهوم الأزمة غير قابل للتصور[11]، ولذلك نجد أن الأزمة لا تظهر إلا حينما يفقد النظام قدرته على التنظيم الذاتي، حيث تبدو الانحرافات في هيكلته واضحة للعيان، بل وقد تشكل نظاما مغايرا للسابق وتنظيما جديدا هذا ما يجعل علم الأزمات يوفر دليلا لمكوناته الأزمة، فكل أزمة لها تركيبها الذي يميزها عن أزمة أخرى.

- **فكرة الاضطراب:** ويقصد به الاضطراب الداخلي نتيجة لأعباء مزدوجة خاصة منها الداخلية حيث تشكل اختلال على مستوى قواعد التنظيم الذاتي تبدو في الظاهر غير مشوشة اذ يصبح النظام غير قادر على حلها والتي كان بإمكانه حلها تحت عتبة معينة.

- **ازدياد الفوضى وغياب اليقين:** يعتقد موران أن كل نظام حي وخاصة منه النظام الاجتماعي يتضمن في داخله فوضى يحقق بها التنظيم الذاتي ولكنه يستمر رغم هذه الفوضى وبسبب هذه الفوضى التي تشكل جزءا من التنظيم، تتأتى بشكل مكبوت ومفرغ ومصحح ومحول ومدمج[12]، ولا تظهر إلا حين بداية الاضطراب وغياب الاستقرار حينها يغيب اليقين وتتراجع الحتميات ويدخل النظام في العشوائية.

[11]- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق، ص 32-33.
2- المصدر نفسه، ص 56-57.

- **تعطل / تحرير:** تظهر الأزمة في النظام بعد فقدان القدرة على التنظيم الداخلي الذي يمثل الطابع المحوري للأزمة حين تظهر المكبوتات والانحرافات يحث التعطل الذي يعني غياب التنظيم/إعادة التنظيم.

- **تطوير ارتجاعات إيجابيه:** حتى يسترجع النظام قدرته على التنظيم لابد له من الارتجاع السلبي، إلا أن الارتجاع الإيجابي هو ما يطور من قابلية وتواصل وظهور الانحرافات التي كان يسيطر عليها النظام[13].

- **تحويل التكاملات إلى تعارض وتنافس:** ضمن هذا المفهوم تكشف الأزمة عن تحول العلاقات داخل النظام من التكاملية إلى التنافس والتعارض إلا أن مع زيادة الصراع والتعقيد قد تتحول هذه العلاقات إلى الائتلافية لكنها تبقى عشوائية خاصة في الأنظمة الاجتماعية.

- **ظهور وتزايد الخصائص المثيرة للجدل:** يعتقد موران أن لكل أزمة مكوناتها الخاصة و خصائص تميزها عن أزمة أخرى، فهي اللحظة التي تظهر فيها خصائص غريبة وكامنة عن النظام.

- **تعدد المأزق المزدوجة:** تتعدد المآزق المزدوجة داخل أنظمة الحكم أثناء ظهور الاحتجاجات المطالبة بالتغيير، فالذين ساهموا في إثارة وظهور الأزمة لا تتسامح معهم السلطة[14] وأن تم تلبية مطالبهم في هذه الحالة أثبتت الوقائع أنه سينتصر النظام الذي يراد له أن يتغير بفعل الأزمة، وبذلك فالمآزق المزدوج هو مكون مثير داخل الأزمة.

- **إطلاق أنشطة البحث:** عندما تتفاقم الأزمة يكون من الضرورة بمكان أن البحث عن الحلول وأن كانت تبدو في بعض الحلول راديكالية و أصولية، ولكنها تحدث بمنطلق الوصول إلى الخلاص، لذلك فللأزمة طابع صحوة فمن خلال هذا المكون قد يتوصل النظام إلى تحقيق الإصلاحات أو يتم تجاوزه عبر الثورة أو إعادة الهيكلة.

- **الحلول الأسطورية:** هي مجموع الخيارات التي تظهر حين تفاقم الأزمة والعجز عن إيجاد حلول حينها يظهر الحل الأسطوري الذي يمثل ضحية قد يكون واقعي أو خيالي وهنا يحاول

[13]- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق، ص 59-60.
[14]- المصدر نفسه، ص63-64.

النظام التخلص منها لي تبرير إصلاحاته[15]، وفي المقابل قد تستعمل الأزمة لتبشير بأسطورة من خلال تلميع حلول غير واقعية تلصق بها كل التبجيل والتقديس.

- جدل وتفاعل هذه المكونات: إذا كان مفهوم الأزمة بالغ الغنى، فهو في الوقت نفسه يشير إلى أن التعطل والتحرير ولعبة الإرجاعات السلبية والإيجابية، والتضاد والتضامن والمآزق المزدوجة والحلول الواقعية والغيبية[16]، لا تعمل في معزل عن بعضها، بل تعمل ضمن مجموعة في توافق وتفاعل منسجم يحيل إحداها على الآخر، وبقدر ما يبدو مفهوم الأزمة جليا ظاهرا، فهو غني بالتشعبات والاختلافات، لذلك لا يعني أن الأزمة طريق للحل والخلاص، بل قد تقود إلى أنظمة أكثر استبدادا وأكثر سوءا، وقد تقبل بما هو قائم حين تعجز الانحرافات عن تطوير نفسها إلى خطابات بديلة.

2-أزمة الحضارة الغربية وغموض المستقبل.

لا شك في أن المستقبل قدر محتوم، ويمثل ذلك الوضع المجهول الذي يخشاه الإنسان ويحذره، لذلك نجده حريصا على أن يتوقاه ويستبقه ويحتاط له، لأنه مصدر القلق الوجودي، فالقلق الوجودي هو النواة التي تخلقت حولها غريزة التفكير المستقبلي عند الإنسان[17]. هذا القلق أفقد الإنسانية الاستقرار ونتج عنه الضعف والهوان كأهم سمات للحياة المعاصرة، فالمنظرون الفرنسيون يتحدثون عن هذا الفقد و يتحدثون عن فقدان الأمان ومجتمع المخاطر، والإيطاليون يتحدثون عن اللايقين، والإنجليز عن انعدام الأمن، لكنهم يدركون جميعهم مكمن المأزق الذي يعانيه البشر في صوره المتنوعة في أنحاء المعمورة[18]. ومع المشاكل المعاصرة التي تعددت صار صعبا تحليلها بواسطة تخصص واحد، لذلك لا يمكننا التنبؤ بالمستقبل إلا إذا نظرنا إليه بمنظار فكر مركب، وكشفنا خباياه بمناهج كمية وكيفية، ومناهج الفهم الانساني.

---

[15]- المصدر نفسه، ص 68.

[16]- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق، ص 68.

[17]- محمد إبراهيم منصور، توطين الدراسات المستقبلية الأهمية والصعوبات والشروط، الإسكندرية للدراسات المستقبلية، الإسكندرية، 2016، ص09-10.

[18]- سيغموند باومن، الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر،ط1، بيروت، 2016، ص231.

ومن أهم المقولات المشهورة التي يمكننا أن نستدل بها على الأزمة التي تنخر الحضارة الغربية من المنظور الفكري الفلسفي الغربي، مقولة **بول فاليري**:" إننا ندرك اليوم أن حضاراتنا محكوم عليها بالموت، فقليل من يستخلص النتائج المترتبة عن ذلك"[19]. كل حضارة ترتبط بالحركة الروحية قد تكون دينية أو وضعية، تمثل رافدا لها لاستمرارها وتطورها، لكن الحضارة الغربية التي عاصرت المسيحية طيلة قرون ماضية، ها هي اليوم في طريقها إلى الزوال. وفي رده على أحد الصحافيين ينعي المفكر الواقع في وصية للشباب الغربي "الباخرة تغرق، حاول أن تبقى أنيقا، مت واقفا"[20].هي نظرة متشائمة جدا توحي بحجم المخاطر التي تتعرض لها هذه الحضارة، ورغم أن إدغار موران يستشرف في الكثير من أطروحاته مآلين، أولهما متشائم والثاني متفائل؛ فإنه يعلن هنا عن استفحال المخاطر التي تتعرض لها البشرية، وخاصة في المجتمع الغربي الذي يعيش فيه، مصير مجهول يوحي أنه لا مخرج من هذه المآسي، حين يعبر بصيغة الجمع ولا يستثني أحدا: " إن أرواحنا العليلة، حيث البحث جاريا الآن عن حياة أخرى مختلفة، من خلال الكتب، والمنتوجات البيولوجية والدورات التدريبية، والعطل المختلفة..."[21]. ولعل أمرض الحضارة التي شخصها موران أظهرت بالفعل أوهام التطور المستدام، تمثل الأسطورة ما لبثت أن انهارت، طالما أننا أدركنا في النهاية أن لا العلم ولا العقل قادران على تحقيق مستقبل أفضل للبشرية، وهكذا فلم نتعلم أن المستقبل أمرّ يتعذر علينا التنبؤ به، وأنه يحمل في ثناياه الكوارث أيضا، وفي هذه الرؤية التي فقدَ فيها المستقبل كل معانيه، والتي لا نجد فيها سوى حاضر استهلاكي، وحياة نعيشها بمنتهى القلق، لم يبق لنا سوى أن نتقوقع السقوط في الهاوية، لسان حال موران يقول ويحذر، ذلك انه في كل مكان صار فيه الحاضرُ بائساً ومخيفا ومريضا صرنا نشهد البحثَ عن ملاذ يأتينا من الماضي، صرنا نلجأ إلى الدين الذي

[19]- كر ميشال أونفري ينعي الحضارة الغربية ، متاح على الموقع الإلكتروني:
http://mo.michelonfray.fr/chroniques/la-chronique-mensuelle-de-michel-onfray-mars-2015-n-118/ تاريخ الإحالة 12-06-2018،19 سا 20 د.

[20]- ميشال أونفري ينعي الحضارة الغربية، متاح على الموقع الإلكتروني :
http://mo.michelonfray.fr/chroniques/la-chronique-mensuelle-de-michel-onfray-mars-2015-n-118/،تاريخ الإحالة 12-06-2018،19 سا 20 د.

[21]- ميشال أونفري ينعي الحضارة الغربية، مرجع سابق.

يعطينا بعض المواساة من القلق الوجودي، ونلجأ نحو الهوية العرقية الوطنية التي تمنح لنا شعوراً عميقاً بالانتماء الغريزي إلى الجماعة.

إن مشكل حضارتنا بحسب مفكرنا من طبيعة شديدة التعقيد، لأنها تتضمن في الوقت ذاته سمات ايجابية بشكل استثنائي وسيمات سلبية لا يمكن التكهن بها وقد تصبح مهيمنة[1]. فمن الصعب الوعي بها خاصة عند طرح الإشكال بعبارات سياسية لأننا لا نتمكن من الوعي بالحاضر ونحن نعاني من مشكل التأخر الحتمي، لذلك لا نصدق أن الحلول أصبحت مشاكل في هذا العالم الذي يسمى متقدما وعليه يتبدى لنا المشكل الجوهري المتمثل في التأخر الحتمي للوعي على المعيش الذي عمقته سرعة الأحداث وتعقد الظواهر التي لا تسمح بإعادة تكون المجتمعات[2]. لقد شهدنا إذاً، من ناحية انفجار أشكال من النشاط الميؤوس منه والعنيف، الذي خلق إرهاباً جديداً على صعيد الكرة الأرضية، ومن ناحية أخرى، شهدنا إرهاب الدولة، القادم من القوى العظمى، ثم إن التكهن بحرب الحضارات، يميل اليوم لأن يصبح حقيقة، نتيجة انفجار هذه القوى المتعارضة، إن المشهد داخل الدول العربية المستباحة الذي كان يفترض أن يقلص ظاهرة الإرهاب، بعد ما دخلت الأمم المتحدة شريكا في تحقيق السلم والأمن، لكن للأسف ما لبث أن تضاعف هذا الإرهاب. هذه إذا بعض العناصر التي تُثبت أن العمليات الجارية تقودنا نحو الهاوية، إنها عناصر ينبغي أن ننظر إليها وجهاً لوجه، وبصورة حيادية.

فإذا عددنا أمراض الحضارة، فإننا نقف على أزمات، وكلها تدق ناقوس الخطر - في نظر موران- فإذا بدأنا العد على مستوى المدينة، نقف على أزمة ديموغرافية من خلال الاكتظاظ السكاني في البلدان الفقيرة، وتزايد تدفقات الهجرة، من خلال التهام المدن الكبرى، بالموازاة مع الفصل العنصري الاجتماعي (فيتو الفقراء والأغنياء)[3]. وأزمة الريف من خلال التصحر وتصنيع الزراعة، وكل هذا كان مخرجا لتقدم العلوم والتقنيات والاقتصاد والتحضر والديمقراطية، بل وحتى للفردانية باعتبارهم محركات التقدم التاريخي خلفت

[1]- إدغار موران نحو سياسة حضارية، ت: أحمد علمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 01، بيروت، 2010،ص 13

[2]- المصدر نفسه، ص 14.

[3]- إدغار موران نحو سياسة حضارية،ص14.

ضعفا في مستوى المعيشي وانخفاضا للجودة أنتجه بدوره شعورا بالقلق[1]. هنا يستمد موران من فرويد نتيجة مفادها أن كل حضارة تكمن فيها خميرة انهيارها، فكيف نفسر نخور وفساد التنمية الحضرية والتقنية والرأسمالية والفردانية عند اقترانها من داخل الحضارة التي أنتجتها فكانت لحظة انعطاف قصوى شهدت تقلبا للقيم أين نجد حلول التعايش المجهول محل التواصل التقليدي بين البشر جعلت المجتمع في ضل التقنيات المعلومات آلة أوتوماتكية ضخمة هدمت أنسجة المؤانسة[2] وفككت عرى التضامن العريقة وتقلصت فيها الخدمة المجانية وسحق فيها كل التميز فردي، وأحدثت عبوديات مترتبة على الإكراه التنظيمي في الحياة اليومية جعلت من المدينة حاضنة عديمة الشكل تفككت فيها أنسجة الأسر وتلاشت فيها الهويات، أحدثت بالفعل أزمة السياسية من خلال عدم قدرة النخب على التفكير ومواجهة الأزمات[3]. وكلها في رأيه تعبر عن قلق حضاري عميق ومخيف وفي مواجهة كل هذا، لا وجود لسياسة قابلة لأن تستجيب لهذا القلق، وما ينتج عنه من مخاطر حقيقية، مما يوحي بعجز العقل السياسي عن توقع الأزمة التي تعيشها الحضارة الغربية، ولازالت رهن أزمات غير معروفة في ظل الصراع الدولي، الذي يقود كوكب الأرض إلى حروب لا شك فيها، بالإضافة إلى عجز عن طرح البدائل المتاحة للحل مستقبلا، أي بمعنى عجز النخبة الغربية عن صياغة سياسة إنسانية وسياسة حضارية"[4] تنقذ الإنسانية، وتكون بديلا عن مشروع التنمية الغارق في المتناقضات والإيديولوجيات الاستعمارية المتصارعة، مما يوحي لنا أن النموذج الحضاري الغربي- بحسب إدغار موران-سوف يتلقى ضربات عنيفة بفعل مشاكله الطاقوية والإيكولوجية المدرة للمال، لأن رابطته الاجتماعية لا تغدو كونها اقتصادية بحتة، وأن وحدة الأمة الأوربية بعد الحرب العالمية الثانية ما كانت إلا لتوقيف الحروب بين جيوشه، ناهيك عن المشاكل الهائلة التي يطرحها العالم على مستوى ما يمكن أن يحدثه من تأثير عميق ومدمر للتطور البيولوجي غير الأخلاقي على رأسمالنا الجسدي الوراثي. وإن كان بعض هذه المعالجات الوراثية قد يكون مفيدا للغاية للنوع البشري، لكن لا تخلو هذه

[1]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[2]- إدغار موران نحو سياسة حضارية،ص15-16.
[3]- المصدر نفسه ، ص17.
[4]- إدغار موران، إلى أين يسير العالم؟، مصدر سابق، ص166.

المعالجات من مخاطر جمة قد تفتك بالبشرية عندما تتخذها سلاحا للدفاع عن موقعها للسيطرة على الأسواق.

لذلك في اعتقادنا ليس هناك مبررا أن تتصاعد موجه طرح التساؤلات حول مدى صلاحية استمرارية الحضارة الغربية في قيادة البشرية، فالإنسان الأوروبي غدا قلقا بالرغم من توفر الرفاهية الاقتصادية والسلم الاجتماعي الأمر الذي يعزز طرح إدغار موران.

3- الحداثة ونهايتها المأزومة عند موران:

إن من ينظر إلى أزمات القرن العشرين- بحسب موران- وإن كان الكثير من الدراسات تتنبأ بالانهيار الوشيك للحضارة الغربية لابد وأن تستحضره تساؤلات حول مدى صلاحية هذه التنبؤات في حين نجد أن النظرة الغربية تسود العالم وتحظى بالاحترام متزايد، فهل يرجع هذا إلى التفوق العلمي التكنولوجي وسيادة النموذج الديمقراطي الذي يجعل العمل من خلال المؤسسات كنموذج للروح التعاون في انجاز البرامج الموكلة إليها تتحقق فيها الحقوق والعدالة، حتى صارت القيم الغربية أنموذجا للعمل السياسي والاجتماعي والثقافي لكثير من البلدان العالم. إلى هذا الحد الكافي من التفوق، كيف يمكننا أن نتحدث على انهيار الحضارة الغربية ؟ هل هو تشاؤم أو اتجاه فلسفي ينحدر منه موران ليكون له محطة فكرية وجب الوقوف عندها بتمعن، فالحضارة الغربية التي لم يتحقق فيها الإنسان الذي يرغب فيه موران. أضحت ليس من اهتمامات الغرب بل تهم كل الإنسان خاصة بعدما ظهر جليا أن الأسباب التي تعصف بالغرب بدأت تتمظهر تدريجيا في المجتمعات العالم النامي مثل سيادة اقتصاد السوق ومحاكاة النمط الغربي من الديمقراطية والثقافة الاستهلاكية التي جعلت من البيئة مجالا ينذر بالمخاطر قد تقضي على الكائنات الحية، إذا يكشف موران على ثقافة مضادة لما هو سائد في الغرب[1].

يندرج طرح موران في دراسة أزمة الحضارة الغربية، ضمن التيارات التي دأبت على كشف الجوانب السلبية لهذه الحضارة، التي ضربت مثالا في الهمجية والوحشية، وخلفت

[1]- خضر إبراهيم حيدر، حالة ما بعد الحداثة، رحلة تفكيك القيم والمسلمات، مجلة الاستغراب، العدد 01، المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2016، ص363.

أزمات اجتماعية، تطورت فيما بعد إلى نزاعات وعداوات، لنقول أيضا إن العالم الغربي الحداثي لم يلتزم بتعهداته بتوفير السعادة للجميع انطلاقا من السعادة المادية.

وفي نفس السياق يتساءل دفيد هارفيDavid Harvey(1935-)- انطلاقا من وصف الكاتب الأمريكي" نيل سميثNeil Smith"(1954-2012) لحالة ما بعد الحداثة التي يرى فيها أن التنوير مات، والماركسية ماتت، وحركة الطبقة العاملة ماتت- عن هذا الواقع التاريخي والأسلوب الذي ينبغي اعتماده حتى نتعامل معه[1].

لقد كانت المفاهيم حول الديمقراطية والعقلانية والتنوير تطرح أفكارا من موقع متعال ثقافيا وماديا وتاريخيا، لهذا تحولت كتابات فلاسفة التنوير في انجلترا، بداية من جون لوكJohn Locke (1704-632) وانتهاء بدفيد هيومDavid Hume(1711- 1776)، للدعوة إلى إقامة مجتمع يقوم على أساس جديد، ينبذ التمايز الطبقي ويحترم الحرية الفردية ويقوم على أساس عقد اجتماعي ذي نزعة عقلية وإنسانية شمولية، غير أن هذه الديمقراطية بالرغم من أنها تستمد قوتها وجاذبيتها من تلك المفردات الايجابية التي تتضمن الحرية والكرامة وحماية الحقوق كما يرتقي ضمنها التعليم وتصان فيها الكرامة الانسانية، وكلها مؤشرات للتنمية البشرية المثالية إلا أن واقع هذه الديمقراطية أثبت غير هذا، وتبين أنها مجرد ستار لتجميل سياسات الأنظمة يخفي وراءه مأساة الانسانية وطغيان الأغلبية، وواجهة مزيفة للحكم الأوليغارشي، لذاك بدت هذه الديمقراطية بالنسبة إلى العديد من مفكرين الغربيين كمجرد خيال أو هي وهم كما وصفها أفلاطون من قبل، ذلك ما نجده في كتابات باريتوPareto في مؤلفيه the Mind and Society و Sociology حين يؤكد أن المواطن المفكر الذي يجب أن يقود العملية السياسية لم يوجد بعد في المجتمع الأوروبي، وأن قلة فقط هي التي تستولي على الحكم وتسيطر في ظل نظرتها ومصالحها، وهو نفسه الخطاب الذي يمارس التميز العنصري والعبودية والاستعلاء والعنف بمختلف أشكاله اتجاه أخر، ترجمته أحداث القرن التاسع العشر التي جاءت

[1]- خضر إبراهيم حيدر، حالة ما بعد الحداثة، رحلة تفكيك القيم والمسلمات، مرجع سابق، ص363.

بالحملة الاستعمارية والغزو لشعوب دول الجنوب والدول العربية الإسلامية. لقد مارس هذا الخطاب الغربي سياسة كولونيالية عسكرية دموية مؤلمة في حق الأمم الأخرى، خاصة منه الدول العربية والإفريقية، تتنافى مع كل القيم الإنسانية التي نادى بها فلاسفة التنوير. وجاءت آراء ماكس فيبرM,Weber(1864-1920)، هادمة لنمو العقلانية والبيروقراطية في الرأسمالية باهتمام كبير، وأثارت مزيدا من المناقشة والجدل، بعد أن تحقق ما تنبأ به من توسيع رهيب وملحوظ في العقلانية والبيروقراطية، التي طبعت المجتمعات الصناعية المتقدمة وبخاصة الرأسمالية، بداية القرن الماضي وتتمثل في التطور الهائل في حجم وكثافة وتعقد الأجهزة البيروقراطية وتعقد الطرق والأساليب التكنولوجية، وتعاظم قدرة التنظيمات العقلانية الضخمة، التي أصبحت اليوم تتحكم في الشعوب، وتسيطر عليها من خلال الأشكال المعقدة لفنون الإنتاج والتسويق ووسائل الدعاية والإعلان والاتصال المختلفة، وتحويلها إلى مجتمعات استهلاكية تنتج بضائع أكثر من الحاجة، وبهذا تنتج الأجهزة التكنولوجية والفئات المسيطرة عليها تفوقا غير اعتيادي على الناس، بحيث يصبح الفرد مقابل هذه القوة الاقتصادية ملغيا تماما، وبإلغائها الفرد تصعد هذه القوة من عنف المجتمع ضد الطبيعة بقوة اكبر، ويختفي الفرد من الجهاز التكنولوجي الذي يخدمه.

ومن خلال عقلنة صارمة وخانقة وقمعية بتعبير فرويد[1]. وفي نفس السياق النقدي للحداثة، كانت أفكار "إيريك فروم"Erich.Fromm (1900-1980) غاية في الأهمية، حيث تبنت خطابا نقديا تشكك في أغلب الأنظمة الشمولية التي تمثلها الرأسمالية والاشتراكية وزيفهما في محاولة طرح بدائل جديدة ملائمة للمرحلة، ولأنه انحسرت في فهمهما للإنسان في الجانب الاقتصادي فحسب، مع الآخذ بالحسبان مقدار التشويه والتحريف الإيديولوجي لأفكار ماركس بشكل عام، وتصوراته الأنثروبولوجية عن الإنسان بشكل خاص، وبالمثل ينتقد فروم النظرية الفرويدية، كنموذج لتطور، فالبيولوجية الفرويدية والاقتصاد الماركسي، الذين كانا من أهم المحاور تعرضا لنقد بشكل ملفت وتصدت لهما الآلة النقدية لإريك فروم،

[1] - محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، الحداثة وانتقاداتها نقد الحداثة من منظور غربي 2 دفاتر فلسفية نصوص مختارة، دار توبقال للنشر، المغرب 2016، ص11.

لدفاع عن الإنسان حيث يعتبره كائنا خلاقا فاعلا، لا منفعل فحسب، له حاجات إنسانية تخصه ككائن بشري فإذا كان له بعد بيولوجي وفيزيولوجي، فله كذلك حاجات ذات بعد اجتماعي وتاريخي[1].

هي إذن دعوة حقيقية من إيريك فروم لتغيير المجتمع القائم نحو الأفضل إنسانيا، وجاء نقده لنظرية "فرويد" التي كانت متحيزة لمنطق الحضارة البرجوازية وتصوراتها عن الإنسان فقد حاول فروم توجيه الفرويدية نحو اتجاهات تأخذ من خلالها الأبعاد الإنسانية الأخرى، والتي غفلت عنها تحت سقف إيديولوجي غير الانساني، وركزت على الجانب الجنسي للإنسان وما يعرف باللبيدو، واعتقدت بطبيعة الشريرة للإنسان، ومناهضته للحضارة والمجتمع، لكن فروم يرى أن طبيعة الإنسان وانفعالاته وقلقه هي نتاج حضاري، وليست نتاج عوامل بيولوجية فحسب، بالإضافة إلى ذلك يمتلك الإنسان دورا فعالا في التاريخ، وعلاقته بالمجتمع ذو طابع جدلي قائم على التأثر والتأثير في مسار التاريخ، وإذا كان المجتمع يمارس دورا مهما في تشكيل الطبيعة البشرية عن طريق عوامل اقتصادية واجتماعية فإن هذا لا يعني بضرورة إلغاء دور الفرد الفعال في صناعة التاريخ، وصناعة تنميته ووعيه ذاتيا[2]، إزاء هذه التناقضات التي نسبت إلى مرحلة الحداثة وعرفت بها، في مواجهة هذه الإشكاليات والتحديات، التي انبثقت عن التحولات التاريخية، في النصف الثاني من القرن العشرين، توجب على الإنسانية أن تبحث عن حالة توازن جديدة لتحقيق التوافق الاجتماعي الثقافي، وتحقيق المصالحة بين العقل والروح، أي بين المظاهر المادية للحضارة والمظاهر الروحية، بين العقلانية والذاتية[3].

4- نقد المنظومة المعرفية للحداثة في الفكر الغربي:

يعبر إدغار موران عن أزمة الحضارة الغربية التي تعيشها اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، انطلاقا من الشكل المعرفي الذي ينعكس على جميع المجالات، فبداية من إعادة صياغة نظرية للمعرفة؛ ينبثق براديغم جديد ممثل في فكر التعقيد، الذي يأمل من خلاله حل

---

[1]– قاسم جمعة، النظرية النقدية عند إريك فروم، منتدى المعارف، ط1، بيروت،2011، ص36.

[2]– المرجع نفسه، ص.43

[3]- ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت،1990، ص19.

المأزق الذي سقطت فيه المعرفة الإنسانية أولا، ثم حل الأزمات الإنسانية عموما. فمن منظور رؤيته؛ أن الإنسان المعاصر يعيش في ظل هيمنة النموذج المعرفي والحضاري الغربي أزمة فكرية عميقة، رغم ظاهرة الانتصار المزعوم لعقلانيته ومبادئها، وبالرغم مما قادت إليه من غنى فكري، وتراكم معرفي وتقدم علمي وتقني هائل، بل يمكن الجزم بأن هذا الانتصار قد انحرف عن مساره وأدى إلى نقيض مقصده، ولا أدل على ذلك من أن هذه العقلانية التي وعدت الإنسان بعالم تسوده الطمأنينة والسعادة قد أدت إلى تدميره في كثير من المحطات التاريخية، لأن كل مغالطة في الفكر ستقود حتما إلى مغالطات في الفعل[1]، مما يزيد من تفاقم المخاطر، فتحولت العقلانية الغربية إلى عار على الحضارة الغربية، بعدما كانت ترى فيها مجدا وشرفا بحسب تعبير "لوك فيري". وهذا الأمر جعل الإنسان يعيش حالة من اليأس والشك في مبادئ عصر التنوير ومشروع الحداثة، بجميع قيمه وأسسه التي قام عليها، بما في ذلك مقولات العقل والعلم والتقدم والتحرر، وقد كانت ثورة الطلاب الفرنسيين عام 1968 تعبيرا صارخا عن هذا الشك والرفض في رأي إدغار موران، لقد

عملت النزعة العقلية على إفراغ الإنسان من الدلالة والمعنى لصالح تصور عقلي ضيق، واتجهت - انطلاقا من نزعة أرسطية ومنطقية- إلى البحث عن اليقين بدءا بما يملكه الإنسان من بداهة، وتجاهلت التحول الذي يفرض نفسه، ولذلك كان رد فعل الفكر العلمي وفكر ما بعد الحداثة نقدا صارخا وغير منتظر، نظرا لتداخل خطاباته، فقد رفض أصحاب هذا الاتجاه النظرة التي تعتقدها الحداثة فيما تعلق بالعالم وتنظر إليه بها، ونددوا بالعقل الديكارتي، وأولوا أهمية خاصة للخيال والاحتمال، والفوضى والأسطورة من خلال جدل ثري يأخذ في الحسبان كلا من الأخطاء والنسيان والجهل، كما دافعت هذه النزعة في أغلب آراءها عن الإنسان ضد عملية سحقه التي تولتها الحداثة[2].

إن الغرب الآن لا يفقه ما يفعل- حسب إدغار موران- وعقلانيته التقنية تحولت إلى شر مخيف، وجنون العقلنة موجود وقائم الذات في كل أروقة المعرفة وأركان الوجود، فحقول

[1]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سبق ذكره، ص108.

[2]- أبو بكر فيلالي، العلم في مواجهة الفلسفة التقليدية أو موران ضد ديكارت ، المغرب ، 2015،ص01، متاح على الموقع الالكتروني التالي: www.mominoun.com

التجربة العقلانية أنتجت الحروب والظلم والاستعمار والدمار والخراب للحياة، مثلما أنتجت العمران والحضارة عبر التمكين لهمجية الإنسان الصناعي، هكذا كانت صرخة إدغار موران مدوية في وجه الحداثة وعواقبها، وكل هذا حدث في اعتقاده باسم الثقافة والعقل والثورة الرقمية، ولذلك تمثلت العقلنة في الرغبة في احتواء الحقيقة داخل نسق، لكن الحقيقة تتعارض مع هذا النسق[1]، وهو يعتبر هذه الأخطار نتاجا لتطور البراديغم الحداثي الغربي المليء بالمساوئ، فالرفاهية عممت البؤس، والفردانية عززت من الأنانية والعزلة، والتفتح المدني يولد القلق والملل، والأسلحة المنفلتة تؤدي إلى الموت النووي[2].

يشهد موران بفساد التوجه العام المعاصر للحضارة الغربية، لذلك يسعى إلى تغيير هذا الوضع، مراهنا على فكر التعقيد، قصد إنقاذ الإنسانية من الأزمة الشاملة، يقول موران: "دعونا نستخدم مجازا حيويا بغية توضيح التماثل التالي:" إن الخلايا القاعدية التي تعمل في لحظة نمو البذرة قادرة على إنتاج أعضاء أكثر تنوعا وأكثر تفرعا، ومن المعروف أن الخلايا القاعدية قد تكون موجودة لدى الشباب، حين نوقض فيهم الهمم والإرادة، لقد أوضحت بعض التجارب المخبرية إمكانية إحياء قلب فأر بخلايا قاعدية حية، بمعنى آخر، إن القدرة على الخلق توجد بصورة خفية في الإنسان، هذه القدرة لها بحد ذاتها قدرة تجديدية"[3].

إن الأزمة بهذا التصور قد خنقت الحضارة الغربية، ومن خلالها الحضارة الإنسانية عامة، لذا كان لزاما أن تكف عن الاستمرار في نفس الطريق، وننتهج سبيلا آخر للحضارة، انطلاقا من إعادة صياغة منطق على أسس الفكر المركب، وليبدأ الإصلاح بأسس العقل الحداثي، وهذا ما سنقف عليه في فصلنا هذا.

ـ الطابع الاختزالي للمعرفة:

تعتبر نظرية المعرفة من المسائل الفكرية المعقدة التي يغلب عليها طابع التجريد، ويصعب التطرق إليها وسبر أغوارها، ولأنها السبيل الوحيد الذي يكشف لنا حقيقة نشأت وانبثاق المعرفة؛ فهي ليست اعتقادا بقدر ما هي تبرير عقلي وحسي يقوم على أسس رصينة.

---

[1]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص12.
[2]- المصدر نفسه، ص 84.
[3]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص 84.

في هذا السياق، كان لموران تصور نقدي للمنظومة المعرفية التي تتخذ من التبسيط منطقا تمارسه على واقع العالم، المتسم بالتعقيد، والاختلال، والتعدد، والتناقض، والتناوب، والتكامل بين النظام، وغياب النظام، ومرد ذلك إلى التمثل السائد سابقا، والمستمر حاليا للمعرفة العلمية، الذي يجعل مهمتها هي تبديد التعقيد الذي تتسم بها لظواهر، من أجل الكشف عن النظام البسيط الذي تخضع له[1]. وهذا ما يفسر هيمنة مقولات الفصل، والاختزال، والتكميم، وتحليلا لموضوعات المدروسة إلى وحداتها الأولية وعزل الظواهر عن سياقاتها، والاكتفاء ببعد واحد من أبعادها.

إن هذا التصور الذي يحارب التعقيد بحثا عن النظام البسيط يمثل منهجا ينفي حقيقة العالم، ليحل محل العلم والمعرفة المثلى القادرة على فهم العالم، لذلك نجد أن العقل الحداثي سهل من عمل منظومة التبسيط، حتى يسيطر على جميع المجالات ومنها:

أ)- المستوى الأنطولوجي: تمثل العلم ومن ثَم العالم ككيانات مغلقة ومفصولة، ونذكر هنا الثنائية الشهيرة التي شكلت الإشكالية الرئيسية وهي: الذات والموضوع، حيث تم الفصل بينهما، والاعتقاد بوجود هوية غير منحازة وأحادية لا تميل إلى أي منهما.

ب)- المستوى المنهجي: طغت على الأساليب منهجية علمية اختزالية وكمية، حيث تقوم بتفكيك الموضوع إلى وحدات جزئية غير قابلة للجمع، لتصلح كأساس لجميع الحسابات التكميمية للموضوع.

ج)- المستوى الإبستيمولوجي: هاهنا سادت إبستومولوجيا تختبر صحة الفرضيات والنتائج وتصدر أحكاما، وفق احترام القواعد التبسيطية، مما انعكس على المستوى الأنثروبو-اجتماعي والسياسي، حيث يقر إدغار موران بتمركز الغربي حول ثقافته وعرقه المرتبط بذات، مقابل ادعاء الموضوعية وغياب الأهواء والاختيارات الإيديولوجية عندما يتعلق الأمر بالموضوع[2]. ولعل هذا الاعتقاد بالنزعة الاختزالية من الأسباب العميقة التي أدت إلى ظهور نزعة ما بعد الحداثة، التي تؤمن بالفكر التعقيدي وبالفوضى الخلاقة.

---

[1]– أحمد القصوار، إدغار موران والفكر المركب، مجلة طنجة الأدبية، العدد45، المغرب،2013، ص23.

[2]- مرجع نفسه، ص 23.

ولتجاوز سلبيات وأضرار الفكر المعاصر، يقترح إدغار موران تبني تفكير مركب، لأن مقاربة التفريق ما بين الكل والجزء يفضي إلى تفكير محفوف بالارتياب وليتجنب العقلانية المغلقة، والابتعاد عن الحقيقة المطلقة. فالنظر إلى الإنسانية من خلال إبستيمية التفكير المركب؛ هي محاولة لكي نفهم أننا نعيش عصرا بدائيا أو ما يطلق عليه موران عصر الحديد العالمي، وهو نوع من عصور ما قبل التاريخ للفكر البشري، فنحن مازلنا في البداية بحسب إدغار موران. هنا سيقدم لنا المفكر خريطة طريق منهجية تعتمد على ضرورة امتلاك مفهوم مركب عن الإنسان المعاصر، لينطلق من النظر إلى الذات وأعماقها لصياغة رؤية أكثر إنسانية، وتسهل من عملية التفاهم حول ما فشلت فيه البشرية منذ قرون حول الدين والسياسة والاقتصاد، فأسباب الفشل نتاج تعنت الإنسان، وتحيزه إلى تبريرات ذاتية، بحيث لا يرى الشر والخطأ إلا لدى الآخرين، فضرورة امتلاك الإنسان منظورا معرفيا أكثر إنسانية؛ يقصد به الفيلسوف الإيمان بالفكر المركب؛ هو السبيل لنرى التعدد داخل الوحدة الفردية، بدل النظر إلى الفر دانية الأنانية، وأساس تصوره مبني على النظر إلى الطبيعة البشرية بثالوثها: الفردي، والجماعي، والبيولوجي. هذا الطرح المنطقي الذي يقدمه موران سيمكن من النظر إلى الفرد في كليته المتناقضة، ولتجنب هذا الفكر يجب الاعتراف بالآخر، والشعور بالمشترك الإنساني، واحترام الاختلاف بحاجة دوماً إلى تأكيد ذاته من خلال اعتراف الآخرين بها بوصفها ذاتاً مستقلة وجودياً، وهذا يفرض حاجة الذات إلى الآخر. ولكن موران يذهب إلى أبعد من ذلك، إذ إن حاجتنا إلى إثبات ذاتنا يجب ألا تقودنا إلى القول السارتري: "الجحيم هم الآخرون"[1].

ـ أزمة المعرفة:

لا يعترف براديغم التعقيد بالتبسيط أو بالميكانيكا الخطية، بل يتجاوزها إلى الميكانيكا اللاخطية، لم تعد العلية مع التعقيد ذات اتجاه واحد، بل أصبحنا أمام عليَة/سببية متعددة، تتحكم فيها معادلات لا خطية تأليفية، داخل هذه المعادلات لا توجد علاقة مباشرة بين السبب والمسبب؛ بقدر ما هناك تبادل الأدوار بين السبب والمسبب، إلا أن المعارف التي تقدم لنا

[1]- أحمد القصوار، إدغار موران والفكر المركب، مرجع سابق، ص 45.

عن طريق التعليم في المدارس- كما يراه موران- لا تعلمنا بتاتا إدراك التعقيد كأحد أهم مفاتيح الفكر، التي يرى فيها بداية للخلاص، وهنا يتساءل عن المعرفة التي نفتقدها في المعلومة، وعن الحكمة التي تفتقدها المعرفة، حيث مازلنا نجهل ماهية المعرفة وجوهرها، وهذا ما يعرضنا إلى الخطأ والوهم، فما كان يبدو لنا صحيحا في الماضي بات اليوم يبدو خطأ.

يذهب إدغار موران إلى أن أزمة المعرفة المعاصرة وسبب قصورها؛ يأتي من التصميم على تجزئة الواقع وطمس معالمه، بل وطمس الذات البشرية نفسها، يقول: "إن هدفي هو الإبقاء على التساؤل الأساسي الذي يردده أي إنسان ابتداء من سن الثانية عشر، ويظل يعاوده بلا انقطاع طوال حياته"[1]. لقد كانت العلوم حتى منتصف القرن العشرين، تعمل على مبدأ اختزال معرفة الكل في معرفة الأجزاء، هذا الأخير الناتج من ثمار عصر النهضة بفعل تقديس العقل؛ عرف بدايته مع فرانسيس بيكونF.Bacon (1561-1662) و ديكارت، إذ فصل بين الذات المفكرة، والشيء المفكر فيه، وارتكز على البداهة، والوضوح كأساس للحقيقة. فمن المساوئ والعيوب التي يتسم بها هذا المبدأ؛ أنه يقصي كل ما لا يقبل التكميم والقياس، حاجبا بذلك إنسانية الإنسان من عواطف، وحب، وتضامن، ومعاناة وفرح وصدف[2]. وردا على المنهج المعرفي المبسط، يذهب موران إلى" أن البساطة ترى إما الواحد وإما المتعدد، ولكنها لا ترى أن الواحد قد يكون في الوقت ذاته متعددا"[3]. وبالمثل كان نقده للاختزال للفكر التقني البيروقراطي، الذي عجز عن الإدراك الشمولي في المشكلات الإنسانية، فمع تعالقها تعمل الأبحاث الشخصية على عزل المشكلات عن بعضها، وهو ما يؤدي إلى تولد هوة بين "معارفنا المجزأة والواقع، لأنها جاهلة بطبيعة المركب للظواهر الإنسانية والطبيعية"[4]. لذلك تتأسس إبستيمولوجيا إدغار موران على فكرة استحالة تأسيس العقل على منطق أحادي تقليدي، فالعلم المعاصر قد أثبت على مستوى الفيزياء

[1]- عبد الوهاب جعفر، مقالات في الفكر الفلسفي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 668 .

[2]- هبة عادل، التقدم العلمي- التقني وأزمة العالم، قراءة في فلسفة إدغار موران المستقبلية، مجلة الآداب، جامعة بغداد، 2015، ص 614.

[3]- إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبعة الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق و منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب 2002، ص41.

[4]- هبة عادل، التقدم العلمي- التقني وأزمة العالم، مرجع سابق، ص614

الكوانتية تجاوز هذا المنطق، لكن هذا لا يعني التخلي عنه، فإذا كان ضروريا للفهم؛ فإن تجاوزه ضروري للذكاء وتقرب للحقيقة، وهو الأمر الذي نفهم منه أن العلم المعاصر يقبل بالتناقض، وذلك بصفته ميزة أساسية لظواهر الواقع، لا ينبغي تجاهلها، "فكل منطق يقصي الغموض ولا يعترف باللايقين ويرفض التناقض؛ فهو منطق ناقص ومبتور"[1].

لا شك أن الإنسان المعاصر استطاع أن يكتسب معارف هائلة حول العالم والأشياء، واستطاع أن يؤسس لنظريات كبرى حكمت حياته ورؤيته للكون ولعلاقاته المختلفة المتشعبة، واستطاع جراء ذلك أن يصل إلى مراتب من التقدم المادي لم يبلغها أسلافه من قبل، لكن ـ بالمقابل- يلاحَظ أن هذا الصعود المادي لم يصاحبه الرقي الإنساني، أي لا يمكن للإنسان أن يعيش بدون حياة "إنسانية" سوية، ونقصد به ارتفاعا بالمبادئ والقيم، وتنمية للأفق الذي يخدم "المشترك الإنساني"، وهذا يعني أن الغلبة أصبحت تعطى الآن- بشكل أو بآخر- لنوع من العلم والمناهج والنظريات التي تكون مقدمة لإنتاج الخطأ والجهل والعمى. وبهذا المعنى تكون أخطر التهديدات التي تتربص بالبشرية تعود إلى التقدم الأعمى، وغير المتحكم فيه للمعرفة، أي أن الخطأ يكمن أساسا في الصيغة والنسق الذي ننظم به معرفتنا، وهذا يعد بمثابة تنبيه إلى ضرورة الوعي بطبيعة ومخلفات المنظومات التي تشوه المعرفة وتمسخ الواقع.فحصيلة الأمر أن مشكلة العلوم الكلاسيكية قامت على تدريب تفكيرنا بطرق بسيطة، وأصبحنا من خلال هذه الرؤية نختزل الظواهر، ونحذف كل ما يشوش علينا المعرفة البسيطة، مثل خاصيتي التناقض والتفاعل، فالعلم اليقيني في نظر الكلاسيكيين يستند على الرؤية التبسيطية.

ولكن، ألا يمكن القول أن عناصر التشويش التي يلغيها الكلاسيكيون، هي جزء أساسي لفهم حقيقة الظواهر؟.

منذ سنوات كانت الليبرالية الاقتصادية التقليدية بمثابة عقيدة، أما اليوم فقد باتت حالة إيديولوجية يزداد فيها الضعف والوهن. وكذلك سادت أسطورة الشيوعية قبلها، واتضحت أنها كانت تقف على أسس هشة، فإن كان ذلك يدل على شيء؛ فهو يدل على أننا نعيش في الوهم، مفاده أن الحاضر واضح جلي، لأننا اكتشفنا أن الماضي يسود فيه الخطأ أكثر مما

[1] -Edgar Morin, La méthode 4, Ethique, Seuil, Paris, 2004, p.238

تصورنا، وهنا تكمن المشكلة في معرفة المعرفة وفخاخ المعرفة الموجودة في سيكولوجيا كل فرد، وفي الثقافة، وفي العلاقات البشرية، وعليه نجد موران في جل كتاباته يحرص على التمكين من معرفة المعرفة، التي ليست إلا فصلا صغيرا بالنسبة إلى اختصاصي الفلسفة، ينبغي أن تمثل المشكلة المحورية التي تدرس منذ الصغر.

من هنا يدعونا موران إلى ضرورة البحث عن فكر مركب أساسه التعقيد في مقابل البساطة، إذا أردنا معرفة ماهية المعرفة"[1]، فمبدأ الاختزال يعمل على وأد القدرات الخلاقة الكامنة في الذات الإنسانية ويحافظ عليها. يرى إدغار موران ضرورة تحسس ظروف الأزمة، بمعنى اكتشافها مبكرا، فكلما كانت هناك الأزمات؛ حركت حتما الإمكانيات الكارثية أو الارتدادية، وتحرك في نفس الوقت كذلك إمكانيات خلاقة ومبتكرة للحلول."[2].

من المعلوم أن العلم ينير الظلمات، إلا أن الذكاء الأعمى الذي يقود التقدم العلمي والتقني تمكن من إنتاج الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل الكيماوية والبيولوجية والجرثومية، أصبحت قاب قوسين أو أدنى من تدمير الكون.

ـ رفض العقلانية المنغلقة:

لقد قدمت الفلسفة العقلانية إبان عصر التنوير وامتداداته حتى ما بعد القرن التاسع عشر تصورا أيديولوجيا للعقل؛ قوامه أن هناك مفهوما واحدا وثابتا للعقل يستغرق كل أنماطه ومعانيه؛ وأن هذه العقلانية التي يمكن تسميتها اصطلاحا "العقلانيّة الكلاسيكية"، التي تعتبر أي فهم للأفكار خارج نطاق نظامها لا يكتسب صفة المعقولية بصفة مطلقة، لكن تاريخ العقلانية، يكشف أن كل نمط من أنماط العقلانية هو أحد أنظمة العقل في مرحلة فكرية تاريخية معينة، وإذا كان لكل عقلانية من خلال مسارها علاقة بالإنسانية؛ فإن إدغار موران وجد أن عقلانية الحداثة شكلت في أغلب مسارها الفكري مصنعا كبيرا للموت، ومشروعا تحطيميا بامتياز للنوع بشري، استعملت جميع ما أنتجته البشرية من قوى مادية وتقنيات، من أجل السيطرة على العواطف والأهواء وتحقيق المصلحة.

[1]- إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية للتربية، مصدر سابق، ص41.
[2]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص 46

إن هذا اللاتوازن الدائم بين الانفعالات والذكاء وبين المادة والروح والعقلنة والعقلانية؛ منبعا اللاعقلانية الذي طبع العقلانية الحديثة، ومصدر كل رعب وكارثة حصلت للإنسانية، لقد نزعت إلى إسقاط كل ما هو خارق للطبيعة أو غيبي من الكون، وأبقت على الطبيعي الذي يؤمن بالفكر العقلاني[1].

هذه المبادئ التي ميزت الفكر الأنوار، يمكن حصرها في ما يلي:

1/ الطبيعة تحكمها مجموعة من القوانين البسيطة الصارمة المطردة.

2/ الطبيعة الإنسانية واحدة جوهرها العقل والقانون الذي يحكمها هو القانون الطبيعي.

3/ العقل صفحة بيضاء تتراكم عليها المعطيات الحسية والأفكار البسيطة، ثم تصبح مركبة.

4/ قدرة الإنسان على بلوغ الحقيقة المطلقة، ولا حاجة له بالنظر إلى المعتقد الديني.

5/ للعقل قدرة على حل جميع المشاكل التي يتعرض لها الإنسان، وباستطاعته تحقيق التقدم والنمو اللانهائي.

وإذا أردنا أن نخرج من العقلانية الأداتية ونتجاوز مخلفاتها السلبية وانعكاساتها الخطيرة؛ لزم أن نتوقف عن الادعاء بأن الذكاء يتكون عن طريق إقصاء العواطف، لأن عقلنا لا يراقب أبدا عاطفتنا ولا أهوائنا العميقة، وهذه العواطف يمكن أن تسبب لنا الضجيج في الذهن، وتعكر صفوه، بهذا الاعتقاد عملت النزعة العقلانية على إفراغ الإنسان من الدلالة والمعنى لصالح تصور عقلي حسابي ضيق، واتجهت انطلاقا من نزعة أرسطية ومنطقية ضيقة إلى البحث عن اليقين، بدءا بما يملكه الإنسان من بداهة، وتجاهلت التحول الذي يفرض نفسه، ويُطلق إدغار موران عليها تسميات عديدة، منها: التبرير العقلاني، العقلنة،

[1]- علي صديقي، الأزمة الفكرية العالمية نحو نموذج معرفي توحيدي بديل، مؤمنون بلا حدود، قسم دراسات وأبحاث، المغرب 2015، ص 05-06 متاح على الموقع الإلكترونيwww.mominoun.com

العقلانية الخاطئة، والزائفة، وكلها اصطلاحات تبين مدى وقوعها في الانحراف والخطأ، وللإشارة، فقد موران فرّق بين "العقلانية" Rationalité و"العقلنة"Rationalisme ، "فالعقلانية هي الحوار الدائم بين فكرنا الذي يخلق بنيات منطقية ويطبّقها على العالم ويتحاور مع العالم الخارجي، أما التبرير العقلاني هو الرغبة في سجن الواقع داخل نسق منسجم، وكل ما يتناقض مع هذا النسق في الواقع يتم إقصاؤه ونسيانه ورميه جانبا والنظر إليه باعتباره وهما أو مجرّد شيء عديم الفائدة.

إن قيمة العقلانية شرط محوري لبلوغ مراتب التقدم، خاصة وإن كانت عقلانية منفتحة تتبنى مختلف التيارات الفكرية والنظريات والبراديغمات لتؤلف فيم بينها بواسطة التفكير المنطقي المعقول كما يسعى موران، غير أن الحاصل هو العكس تماما وهذا ما شهدته فترة الحداثة الغربية، حيث انغلق العقل على ذاته وانتصر فقط لرؤيته المختزلة وبدد كل تيار أو قول أو طرح ليس من نمط العقلانية، لذلك جاء رد فعل الفكر العلمي وفكر ما بعد الحداثة ناقدا، ومعاتبا، ونافيا للعقل الحداثي.

ـ أزمة العقل:

يمكننا القول أن العقل شكل منذ القرن السابع عشر إله الحضارة الغربية، بعد تصفية العلاقة مع الكنيسة وقطعها، بمعنى أنه أحيط بقدسية لا مثيل لها، حتى كأنه الدين الجديد للإنسانية، فالعلم الوسيلة الوحيدة التي تجعل الإنسان سيد الطبيعة والمتحكم فيها، فالموجود المعقول هو الموجود الطبيعي، أما الموجود غير طبيعي لا يعتبر موجودا معقولا، لا يعير للخرافة والأسطورة أي مكانة في العقل، فالمدرك ما يقبله العقل ويستند أساسا إلى التجربة المادية.

ينتقد إدغار موران العقول العلمية الملتزمة بصيغة محددة للمعرفة، التي لا تقر بالمعرفة المركبة، الملازمة للنشاط العلمي، حيث المعرفة والتلاعب وجهان لسيرورة واحدة، فتلك الطبيعة المركبة للعلم التي لا يراها العقل الحديث الذي لا يبالي بالاعتبار الأخلاقي. لذلك ثمة عمى يتصف به كثير من العلماء -في رأيه- اتجاه المشاكل الأخلاقية التي يطرحها النشاط العلمي المتولد من عمى ملازم للمعرفة الموضوعية للعقل، لقد خلق العلم بمنطقه

المادي القدرة على إنتاج الموت الجماعي للبشرية[1]. ففي المجال الحيوي استطاع أن يتلاعب بالجينات ويسخرها لأجل تحقيق الأحسن، ولأجل تحقيق الأسوأ على حد سواء، فالمحرك الرباعي (العلم، التقنية، الاقتصاد، الربح) يدفع المركبة الفضائية إلى موت مزدوج حيوي ونووي، ويعطي نظام العقلانية الكلاسيكية مدلولا ثابتا لمفهوم العقل يستبعد كل ما لا يتوافق معه، مما يضيق ويفقر مفهوم العقل ذاته. إن العقلانية الكلاسيكية لا تنظر إلى ما تسميه "اللامعقول بوصفه الإمكان المفتوح أمام العقل، والذي لم يمارس عليه العقل حضوره بعد. لا يكترث نظام العقل الكلاسيكي لتحولات الإبستيمولوجية المعاصرة التي ترفض هذا الفصل الصارم والقاطع بشكل مسبق بين العقل واللاعقل، وكان الأحرى بهذه العقلانية الكلاسيكية أن تحدد نمط كل معقولية في فضائها المعرفي، وتضعها على محك المساءلة في ما إذا كانت تدعي أنها التعبير الوحيد عن حقيقة مطلقة لمفهوم العقل، حتى تصل إلى اكتشاف وجود أنماط عديدة من المعقولية، لا تمثل أي منها حقيقة نهائية أو مقياسا لكل تعقل، فبعض الأنساق الفكرية التي تعتبر ممثلة لمعنى العقلانية ما هي إلا منظومات تأويل كبرى، بحسب بول ريكور.

ـ نقد التقدم التقني:

رغم الإسهامات والفوائد التي جادت بها التقنية لصالح البشرية في تحصيل التقدم والاكتشافات؛ فإنها باتت تشكل أزمة، إذ انفلتت بعد توسعها وتسارع ابتكاراتها حتى على المجتمعات المنتجة لها، فانبثاقها-من وجهة نظر إدغار موران- لم يكن عن الإنسان العاقل بل عن الإنسان الفضولي[2].فمن محاولة سيطرته على الطبيعة، كانت البداية للإنسان الطموح ثم إلى الإنسان الحالم، عبر مسيرة تخللتها السيطرة على العلم والسيطرة على المادة، ومن هاجس التطور التقني الذي كان يعد انتصارا على هاجس الخوف من الطبيعة؛ إلى الدافع لاختراع الأسلحة النووية التي واجه بها الإنسان هذا الخوف، وتمادى في تطويرها لدرجة أصبحت فيها الإنسانية تعيش التهديدات بين منتجي هذه الأسلحة، مما جعل الإنسانية تعيش في أزمة حرب.

[1]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص 42.
[2]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ص28.

إن فكرة التقدم بدأت منذ عصر الأنوار، ومع هذه المرحلة بدأ تسييد العقل الذي صار العقل يقود الإنسانية نحو التقدم، ليصبح هذا التقدم القانون المحتوم، لكن حمولته المعرفية لا تنفك أن تحمل معها التشوه وتتسم بنقاط ضعف داخل مكوناتها فتجعل منه سببا للأزمة.فلا وجود لتقدم يحقق بشكل نهائي ولا وجود لتقدم من دون ظل، أن كل تقدم يحمل الانحطاط ويحمل في ذاته العملية المزدوجة التقدم / التقهقر، هو إذا وجه متقلب من وجوه الصيرورة[3].

فالتقدم التقني بحسب موران يساعد على سد الحاجات البشرية، فالإنسان يمتلك اليدين الماهرتين، إلا أنهما ضعيفتان في الإمساك والضرب، وهذا ما جعله يستعين بالتقنية لتحقيق أحلامه وطموحاته اصطناعيا، أما التقنية فقد ازدهرت منذ العصر الحجري الأخير، وتطورت بتطور الحضارات، فالتقنية على علاقة قوية بالعلم، حتى أن ارتباطهما كان على مر الزمن عقم الاستشراف بالمستقبل بعد التخلي على الجانب الأخلاقي تولدت عنه أزمات حضارية ذات بعد كوكبي وهذا ما أنتج نقيض ما يقصده هذا الاتحاد، بحسب موران " إننا كلما زاد تحكمنا في القوى المادية في العالم، إلا زادنا انحطاطا بالمجال الحيوي"[4].

فالاستغلال المفرط للقوى المادية انعكس سلبا على الإنسان ذاته، لذلك يسعى التعقيد أن يكشف الممارسات اللاعقلانية التي جعلت من سيطرة على المجال الحيوي شبه منعدم، وأدت إلى تدهور الحياة على كوكب الأرض.

إن انبثاق التقنية المنتجة وتوجهها السيئ-بحسب موران–قد أشار إليه الكثير من الفلاسفة عبر تاريخ الفكر بداية من أفلاطونPlaton(428-348ق.م)، إلى توماس هوبزThomas Hobbes (1588-1679)؛ إذ يرى أن قسوة الإنسان تشكل جزءا من قساوة العالم، وعلى النقيض من الحيوانات التي لا تمارس القتل إلا للدفاع عن النفس أو للحصول على الطعام.

إن الشر والعنف فطريان في الإنسان، تلتقي اليوم مع الشر والعنف اللذين أوجدتهما التقنية. وحسب موران، فإن التقنية لا تعرف سوى الحسابات، وتجهل الأفراد، وأجسادهم، ومشاعرهم، وأرواحهم، أخضعت العمال لمنطق الآلة، وسخرتهم لمهام تكرارية مقننة، كما

[3]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ص 34 .
[4]- المصدر نفسه، ص28

أنها قضت على الكثير من المهارات الحرفية في جميع المجالات، وسوف تقضي في المستقبل على الملايين من مناصب الشغل.

إلا أن الأزمة الكبرى مثلتها الصراعات والحروب، أدخلت العالم في أزمة وجود، جعلت الإنسان الأوروبي الذي مكنه العقل يتوسل بـ"اليوغا" والبوذية، ليملأ ذلك الفراغ الروحي في الحضارة المادية، تلك الأزمات الناتجة عن التقنية جعلت وعود السعادة والتقدم التي وعدت بها فترة الحداثة مجرد سراب، وهنا يتجلى نقد إدغار موران للحداثة ووعدها.

إذ يقول انتهت أسطورة السعادة مع الجانب السلبي للتقدم، والمتمثل في التعب واستعمال المخدرات والعقاقير النفسية، والنزعة الفردية التي جعلت الإنسان يشعر بتعاسة العزلة[5]، حتى سعادة الأمان فقدت مع ظهور مخاطر جديدة، ولا يخفي قلقه من مخاطر أخرى يمكن أن تنشأ عن الهيمنة التقنية-الحضارية، كخطر تدمير الثقافة، والوعي، بل من المحتمل أن تصير حضارتنا إلى التحطيم الذاتي، والحل الوحيد لتجنب ذلك ما هو إلا وصول السياسة والعلم والتقنية والإيديولوجيا إلى درجة الوعي بذلك، مع العلم أن ظاهرة التقدم التقني والعلمي بجميع انعكاساتها هي ظاهرة فريدة لم يسبق لتاريخ البشرية أن عرفها من قبل، ليردد حكمته الشهيرة: عندما يصل أي نظام إلى هذه الدرجة من المشكلات والأزمات التي يعجز هو ذاته عن إيجاد الحلول لها؛ فلا يبقى أمامه سوى حلان لا ثالث لهما: إما الردة والتراجع الشامل، أو ولادة نظام جديد"إنها همجية التقنية التجريدية قائمة على الحساب، تجهل إنسانية الإنسان وتجهل حياته ومشاعره وتجهل ميوله عمقت من تعدد وتفاقم معاناته"[6].

[5]- هجيرة سكير، عالم الاجتماع الفرنسي في حديث شامل لـ"الحياة".إدغار موران: إنقاذ البشرية قبل فوات الأوان وضرورة احترام الخصوصيات الثقافية. متاح على الموقع الإلكتروني:
www.alhayat.com/article/1221215،12سبتمبر 2018 / 20سا:20 د

[6]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية ؟، ص 43.

المبحث الثاني: الخطاب الإبيستيمولوجي الجديد: المعالم والخصوصيات.

تمهيد:

تعرضت المعرفة عبر التاريخ البشري إلى تحولات عميقة منذ الحضارات القديمة إلى غاية عصرنا الحالي، فساهمت كل مرحلة في صياغة تصورات علمية وفلسفية، وكل حضارة أمدت الانسانية من العلوم ما عجزت عنه سابقتها، ولعلى أبرزها الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحداثي كمراحل تاريخية هامة ورئيسية من حلقات تطور الفكر أمدا الإنسانية أنساقا علمية وفكرية متكاملة من خلال استخدام المنهج العلمي جمع بين جانبيه العملي والنظري، وفي ظل الظروف التاريخية التي وأدت المشروع الإسلامي انتقل التراكم المعرفي إلى الحضارة الغربية الذي سوف يشكل به الغرب قاعدة لتأسيس نهضته العلمية الكبرى أحدثت بواسطتها نقلة نوعية في حياة الإنسان الغربي، بعد أن اتسعت المعارف بصورة غير مسبوقة، أدرك من خلالها هذا الإنسان سنن الحياة، وتزايدت فرصته في السيطرة على الطبيعة بعد أن أتقن قوانينها.

في ظل هذا الحقل الفكري الإبستيمي المتجدد، يحتل إدغار موران مكانا استراتجيا عبر مسيرة حافلة بالعطاء الفلسفي والعلمي الإبيستيمولوجي الذي يعرفه الفكر المعاصر، وجد منطلقاته الأساسية وانبثاقه من الثورات العلمية التي أنجزتها مختلف العلوم الطبيعية والإنسانية.

1 - من إبستيمولوجيا العلم الحديث إلى إبستيمولوجيا العلم المعاصر:

ـ إبستيمولوجيا العلم الحديث والقطيعة مع البراديغم الأرسطي:

لا شك أن كل من درس الفلسفة وتأملها قد تيقن من وجود ذلك الرباط المقدس الذي جمع بينها وبين العلم وأن تقدمها قد ارتبط بالعلم وظلت رهينة به، فمنذ أن كانت الفلسفة أم العلوم إلى غاية انفصال العلوم عنها حافظت على ذلك الود من الرباط، ولعل أغلب هؤلاء الدارسين يعتبر أن أفلاطون بمثابة أول فيلسوف بالمعنى المكتمل والدقيق قد أقام فلسفته على الرياضيات الفيثاغورية، في سياق نفسه نستحضر تلميذه أرسطو حينما نتحدث عن أمجاد

العلوم الإغريقية الذي رسخت تصوره للكون ومركزية الأرض التي بقيت حاضرة وصامدة إلى غاية نهاية العصور الوسطى، حيث بقيت الفلسفة مرتبطة طيلة هذه المدة بالبراديغم الأرسطي.

ولا بد لنا من الاعتراف بأن العلم القديم كان يحتويه إطار ثقافي محدد، ولو بصورة ضمنية. ولم يكن جهازا مستقلا بذاته من حيث منهجه وشرائعه ورجاله[7]، وان امتد أثره بعد أن أثبت قصوره، وخير مثال نبرر به هذا الامتداد هو ما جادت به الفلسفة الإسلامية في العصر الوسيط حيث لم تشذ عن العقل الأرسطي وأنجبت أشهر الشراح لفكره وأقوى إيمانا بما وصلت إليه الفيزياء والفلك وما أحرزه العقل البشري في إطار النظرة الأرسطية التي ستعرف انهيار داخل الفكر الغربي بعد أن تجف عصارتها مع اكتشافات كوبرنيك وغاليلي انطلاقا من اكتشافهما مركزية الشمس للكون، وبالتالي أحدثت قطيعة معرفية مع العلوم الإغريقية معلنة عن بداية عهد جديد ستعرفه الإنسانية تقوده الفيزياء، ما نتداوله في دراستنا بالحداثة الغربية والتي ستعرف مخاضا منقطع النظير منذ اقلاعها وقيادتها للفكر الإنساني. لقد فتح عصر النهضة آفاقا جديدة في الكون ليفتح آفاقا جديدة للتدبر في العقل والنظر فيه من خلال طرق مختلفة للتفكير، فيبحث عن الشك المنهجي وتصبح عبارة رينيه ديكارت أنا أفكر إذا أنا موجود بداية عصر جديد، لقد وضع أسس المعرفة الحداثية من خلال اهتمامه بطبيعة المعرفة وطرق الحصول عليها، فبالنسبة لطبيعة المعرفة كان ديكارت وضحا في سعيه نحو نموذجا كونيا للمعرفة ليس بمعنى ما هو الصحيح بالنسبة لكل شخص فحسب، لكن بمعنى ما هو صحيح بالنسبة لكل مساحات المعرفة، واهتم بالوصول إلى معرفة أكيدة وثابتة، وغير قابلة للتشكيك، وقد وجدها فقط في علوم الهندسة والحساب التي لا يمكن الوصول حقيقتها إلا بالتجربة والاستنتاج، وأخيرا الشك بالمعلومات التي تصل للفرد من خلال الآخرين وهكذا كان تحول ديكارت إلى الذات كان حاسما حين وضعنا في صورة الفرد العارف الذي يرفض المعرفة عدا تلك التي يمكنه التحقق منها بنفسه.

7- يمنى الطريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول- الحصاد- الآفاق المستقبلية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014، القاهرة، ص 49

ومن المعلوم أن كل فكر فلسفي أو براديغم عند اكتمال قوامه يدرك طبيعة الأزمة التي يمر بها الفكر العلمي الذي يعاصره وذلك عندما يعجز عن مسايرة التطور الحاصل في قطاع من القطاعات العلمية، فتنتج عنها ثورة علمية تظهر بأدوات جديدة استجابة للأسئلة المطروحة في العلم المأزوم، هكذا شكل كتاب الأرغانون الجديد لفرانسيس بيكون قطيعة معرفية للآلة المفاهيمية الأرسطية في إشارة واضحة أن الأرغانون أرسطو لم يعد يستجيب لاحتياجات العصر، يقول بيكون موجها خطابه إلى المتعصبين للمنطق الأرسطي: "فليكف الناس عن التعجب من أن تيار العلوم لا يجري قدما في طريقه الصحيح فقد ظلهم منهج البحث الذي يهجر الخبرة التجريبية ويجعلهم يلفون أنفسهم في دوائر مغلقة، بينما المنهج القويم يقودهم من خلال اعتماد التجربة لتتسع بداهات المعرفة"[8]. وبالفعل نجحت التجربة المقولة المشهورة لبيكون حين نجدها قد فرضت منطقها على روح العصر لتوكد مقولة أخرى أكثر شهرة أن المعرفة قوة الإنسان وليست نظرية جوفاء كما اعتقد بها سابقا ولا أمل لتقدم المعرفة إلا بعد أن ترتد جميع العلوم إلى الطبيعة بتقصي المنهج التجريبي الذي يبدأ بالملاحظة الجزئية ليخرج بنتيجة كلية قانونا من قوانين الطبيعة.

إنه المنهج الاستقرائي التجريبي أول انبثاق للعلم الحديث الذي حطم به بيكون الأصنام التي تحجب العقل عن جادت الصواب، هكذا مثلت تجربة بيكون الطابع الثوري الذي يميز التقدم العلمي كما قدره باشلار حين كشف أن الخطأ الأساسي والأول الذي يظل مسيطرا على العقل البشري ما لم يعمل هذا العقل على إزاحته عن مواقعه بجهد وكفاح وصراع لا يتوقف[9]. بمعنى أن المعرفة لا تمشي على طريق ميسر ومعبد بل طريقها حبلى بالمعوقات، إن على مستوى النفسي أو على مستوى خطأ من الأخطاء، تتلخص في نهاية على عدم قدرة العلم في مسايرة التطور، فيعجز العلم عن تجاوز الإطار الإبستيمولوجي الكلاسيكي ويبقى منحصرا فيه لمدة من الزمن، ما يفرض عليه أن يثور على المفاهيم ومبادئ البراديغم التقليدي ويبحث عن مبادئ ومفاهيم ونماذج إرشادية جديدة بلغة توماس كوهن تسمح له باستحداث فلسفة علم جديدة وروح علمي جديد يسميه باشلار العقلانية الجدلية التي تقوم

[8]- يمنى طرف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر،2012، ص 60.

[9] - يمنى طرف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلها، مرجع سابق، ص 20- 21

على مفهوم القطيعة المعرفية ومفهوم العقبة الإبستيمولوجية الذين يشكلان تاريخ العلم حسبه، فالعلم يتجاوز ذاته باستمرار أو ما يسمى بالمنطق التصحيح الذاتي. وإذ تتسع دائرة الشك المنهجي ودائرة الفكر العلمي فإنها تدفع إلى إعادة النظر في تأويل الدين فتكون التعاليم مارثن لوثر(1483-1546) التي اعترضت على صكوك الغفران وفتحت الطريق نحو مفهوم جديد للأيمان ونحو الاجتهاد الفلسفي في تأويل النصوص الدينية ونقدها وذلك الاجتهاد الذي اتضح بجلاء في النص المثير للجدل الذي كتبه باروخ اسبينوزا (1677-1932) حول اللاهوت والسياسة في العام 1670ذلك ما شهده القرن السابع عشر عندما تحول التصور الميكانيكي إلى نموذجا للتفسير أو براديغم فرض نفسه على العقول، فأصبحت معاييره الموجه الأساس لكل بحث في الطبيعة، كل شيء يرد إلى أسباب جسمية محضة لا دخل للأرواح فيها، ساهمت العلوم الطبية والفلك في ترسيخ النظرة الآلية وحولتها إلى نموذج للتفسير وعززت ذلك الاعتقاد وفق أسس ابستيمولوجية يلخصها ويبلورها مبدأ الحتمية الميكانيكيةDETERINISM التي تعني نظاما شاملا لا تخلف فيه ولا مصادفة ولا استثناء ولا احتمال، كل حدث لابد وأن له ضرورة ويستحيل ألا يحدث أو يحدث سواه، فثمة قوانين دقيقة دقة الرياضيات تحكم الكون وتجعل أحداثه في صورة متسلسلة محكمة[10].

يشهد الخطاب الفلسفي تحولا عميقا في الفترة المعاصرة التي نحياها تزامنا مع الطفرة النوعية التي شهدتها الموجة المعلوماتية والتكنولوجية مما أدى إلى تغيير الخطاب التقليدي للابستيمولوجيا، وذلك بالانتقال من البحث في نظرية المعرفة وما رفقها من ثنائيات تقليدية إلى تبني خطاب تجديدي ارتسمت معالمه مع العديد من فلاسفة العلم المعاصر منهم إدغار موران.

لذلك يندرج محور دراستنا ضمن التحول الجذري والنوعي، الذي عرفه العلم والمعرفة العلمية عامة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، خاصة على مدى السنوات الماضية باهتمام مضطرد خاصة في الفكر الغربي المعاصر، مما أفضى إلى تراكم كم زاخر من الدراسات والإصدارات المتنوعة، يمكننا أن نشير إلى أهمها كارل بوبر في منطق الكشف العلمي وعقم المذهب التاريخي، مناهج العلوم الاجتماعية، المجتمع المفتوح وأعداؤه، غاستون

[10] - يمنى طرف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلها، مرجع سابق، ص 38.

باشلار في "الفكر العلمي الجديد"،و "العقلانية التطبيقية"، وبول ريكور في "الخيال الإجتماعي بين الإيديولوجيا واليوتوبيا وأثره في موجز لتاريخ العلم"، هاربرت بارفيل في "أصول العلم الحديثّ"، جيوفاني بوسيو في "نقد المعرفة في علم الإجتماع"، و روي ياسكر في"العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية الاتجاه الواقعي"، وفوكو في "الثورة والمنهج"، وفرنسوا ليوتار في "الوضع ما بعد الحداثة"، ويورغن هابرماس في "المعرفة والمصلحةّ"[11].

ولما كان العلم بكل مستوياته وتجلياته الابستيمولوجية يعد الظاهرة الأبرز في العصر الراهن عصر العولمة والثورة العلمية بامتياز فقد استقطب جل اهتمامات الفلاسفة والعلماء وآثار فيهم الدهشة دفعهم إلى إعادة التأمل والتفكير والتساؤل فيه بوصفه موضوعا كليا لعدد واسع من الأنساق الابستمولوجيا المعاصرة، فلسفة العلم، تاريخ العلم، سوسيولوجيا العلم، الأنثروبولوجيا الثقافية، وعلم النفس والعلم المقارن، والميتودولوجيا، وفلسفة اللغة، والهيرمنيوطيقا، والسيبرنطيقا، وأخلاقيات العلم، فضلا عن أنساق المعرفة الجديدة[12].

شكلت الثورات العلمية المعاصرة خاصة في حقل الفيزياء والرياضيات انقلابا ضخما ومنعطفا حاسما على مستوى الفكر العلمي والفلسفي على حد سواء، فقد اضطر العلماء إلى مراجعة مبادئ ومفاهيم العلم الكلاسيكي، كما فرضت على الفلاسفة إعادة النظر في المفاهيم والتصورات الفلسفية التي كانت تؤطر لأفكار ذلك العلم، فأولى النتائج الفلسفية للمستجدات العلمية للقرن العشرين انهيار العقل كبنية ثابتة قبلية، باعتباره جوهراً متعالياً مطبوعاً بالصرامة والانغلاق يعتمد مبادئ منطقية(أرسطو)، وفطرية أفكار(ديكارت)، وقبلية مفاهيم (كانط)، فتكوّن معنى جديدا للعقل باعتباره مجموع قواعد تتغير وتتجدد، وبالتالي تجاوز العقلانية الخالصة والمطلقة نحو عقلانية تجريبية منفتحة على الواقع وعلى نتائج العلم. تتضمن هذه العقلانية الجديدة التي كشفها باشلار، مفاهيم النسبية والاحتمال واللايقين، فالمستجدات العلمية المعاصرة قفزت بنا فلسفياً من العقل، كجوهر ثابت قائم على اليقين المطلق، إلى العقل كمجموعة من القواعد التي تعبر عن النشاط والفاعلية المرتبطة

[11] - قاسم عبد العوض المحبشي، توماس كون فيلسوف الثورات العلمية، مجلة الفلسفة، العدد السابع عشر، آيار 2018، جامعة المستنصرية، العراق، ص 13-14.

12 - اسم عبد العوض المحبشي، توماس كون فيلسوف الثورات العلمية، المرجع سابق، ص 01.

بالممارسة العلمية ونتائجها، إذ أكد غاستون باشلار على تميز العقل العلمي الجديد ببنية منفتحة متغيرة إنه ليس جوهرا، فهو طاقة فكرية أو فعالية تفكر وتنتج المعرفة، ويشهد نموا وتغيرا بفعل عملية التفكير وإنتاج المعرفة، مما يشير إلى وجود تفاعل بين العقل وبين المعرفة التي تتولد عنه، ومن ثم لم يعد من الممكن القول بأن العقل وعاء يشتمل على مضامين وأفكار أولية، ويتشكل من مقولات قبلية.

وعليه يمكننا القول أن مفهوما جديد للعقل قد نتج عن الثورة العلمية المعاصرة، ما بين القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والتي أنجزت مجموعة من الاكتشافات أدت إلى إعادة النظر في ما كان سائدا من مفاهيم وتصورات ومناهج.

2- إبستيمولوجيا الفكر المعاصر: الفكر المركب أنموذجا.

إذا كان اهتمامنا في هذه المبحث ينحصر على المشروع الابستيمولوجي الموراني الذي يتغذى من مختلف العلوم المعاصرة، فأنه من المفيد أن نذكر أهم المنعطفات التي تجاوزها العقل الإنساني عبر تاريخ الفكري والعلمي كما ننوه في هذا السياق أن أغلب الفلسفات التي ظهرت في تاريخ الفكر الفلسفي كانت نتيجة تلاقحها مع العلوم سواء كان علما رياضيا أو بيولوجيا أو فيزيائيا، لذلك يعتبر العلم أحد أهم شروط نشأة الفكر الفلسفي وسبيلا لتنوعه وتحوله، ففي استقراء مقتضب لتاريخ الفكر الفلسفي والعلمي نستدل به على صحة - هذا القول- نجد الفلسفة الأفلاطونية قد ارتبطت بالعلوم الرياضية الفيثاغورية، وارتبطت الفلسفة الأرسطية بالعلوم التجريبية الطبية الإيبوقراطية، والفلسفة الديكارتية بالثورة العلمية الكوبرنيكية وشيد كانط فلسفته على المرجعية العلمية النيوتنية، في ضوء هذه الملاحظات ندرك أن الابستمولوجيا تعد المشهد الفلسفي الذي يعكس التحولات العلمية في البناء المعرفي وتعد المقياس الذي يكشف عن انتماء البناء الفلسفي إلى روح العصر الذي ينتمي إليه فعلا.

ـ في مفهوم الفكر المركب:

يتكون المصطلح في شقه اللفظي، من مقطعين هما: الفكر والتركيب (Composition)، والواضح أن المقولة الأساسية في هذا الطرح هي

التعقيد (Complexité)، أي أن المعنى معقّد ومركب ولذلك جاء المصطلح بنفس الصيغة ليأتي التعقيد وهو يسعى لإصلاح المعرفة ويجتهد في تجسير الهوّة والجمع بين مختلف المعارف المتناقضة. ومن أبرز مميزات التعقيد، هي أنه يحمل مفارقة الواحد والمتعدّد التي يعجز الفكر الأحادي عن تمثّلها واستيعابها والأهم التركيب بين عناصرها في تقويض لمبدأ عدم التناقض، هذه المفارقة يحتويها فكر التعقيد لأنه يؤلّف بين مجموع هائل من الأفكار والمفاهيم والنظريات والفلسفات والتيارات الفكرية والمعارف المتناقضة والمختلفة، مع ذلك فإنه يحافظ على وحدتها، بصيغة أخرى يحمي التنوّع وخصوصية كل عنصر، في الوقت الذي يؤسّس لاتحادها مع بعضها البعض[13].

يسعى موران في جل كتاباته لأمرين ويعتبرهما بمثابة وهمين: الأول يمثل الحذر من اعتقاد بأن الفكر التعقيد يقود إلى القضاء على البساطة، والثاني هو الحذر من الخلط بين التعقيد والكمال ويقصد بهما أن التعقيد يظهر حيث يعجز الفكر التبسيطي ولا يؤدي إلى القضاء على المعرفة، بل يتضمن في حد ذاته كل ما يؤدي إلى الوضوح والتميز والتحديد والدقة في المعرفة. كما أنه لا يقصد بالتعقيد هو بلوغ الكمال في المعرفة واليقينية، بل يقر بتعدد أبعاد المعرفة لكنه يؤكد على الاعتراف بالروابط بين كيانات متعددة[14].كما أن المعرفة التعقيدية لا تعني المعرفة المطلقة بل لا تستطيع الإفلات من نسبية، لذلك فدعوة إلى الفكر المركب هي جزء لا يتجزأ من نموذج التعقيد لأن الفكر المركب هو مجموع العلوم الفيزيائية، البيولوجيا علم الإجتماع، الأدب التي ينبغي أن تتوحد معا في إبستيمولوجيا واحدة هي إبستيمولوجيا التعقيد، وهذا النموذج المعرفي الموحد يختلف عن فكر الحداثة المبني على البساطة والاختزال[15]، كذلك يتّضح أن التعقيد يسعى للربط بين ظواهر العالم الموضوعي من دون إقصاء أيّ منها، فالواقع أعّقد من فكرة أنه بسيط ولذلك يهدف الفكر المعقد إلى الجمع بين وقائعه وأن يضمّ كل ما يصنعه ويدور في نطاقه، حتى عناصر الصدفة

[13]- إدغار موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص59.
[14]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟، ص137.
[15]- إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص59.

واللاحتمية والفوضى تدخل ضمن اهتماماته[16]. وهي نظريات حملت معانٍ ودلالات حول التعقيد غير أنها لم تؤسّس له كمنظومة مثلما فعل موران "ضمن براديغم الفكر المركب. ونظرا لأهمية التعقيد فهو موجود وفي كل الفترات بالأخص تلك التي شهدت تغييبا له، أي يجب ألا يعتقد العقل أن ثورات الحقل العلمي المعاصر هي من خلقت فكرة التعقيد وأوجدتها من العدم، فصحيح هي من أثارت مقولته لكنها لم تكن الفترة الأولى التي ظهر فيها، إذ ينبغي النظر في المواضع التي يبدو فيها التعقيد غائبا عموما

يتّضح أن الفكر المركب والذي يقول بالتعقيد استند على قاعدة علمية، لأنه يركّب ويجمع فإنه يضم العلمي وغير العلمي، فالمعقّد هو الذي يتيح الفرصة لجميع أنماط المعرفة ويسعى للتكيّف مع تعقيداتها فالفكر المعقّد هو الفكر الذي يحاول أن يجيب عن تحدّي التعقيد لا الفكر الذي يلاحظ العجز عن الإتيان بجواب، إنه يسجّل أمرين[17]، يقتضيان وجود جواب لهما، أولهما هو اللايقين، أي أن الفكر المركب (ومنه المعقد)، لا يتوقّف عند تحدّي التعقيد ويكتفي بالملاحظة لعملية العجز عن الإجابة عنه، بل يجيب عن هذا التحدّي وذلك عبر الوعي به وتمثّله وكذا الجمع بين مقولاته وعلى تناقضاتها، ثم إن الفكر المركب يرمي إلى الإجابة عن اللايقين (Incertitude) المنبثق عن شدّة التعقيد وأن يتوخّى عدم إقصائه كما هو الحال مع المنطق التبسيطي والذي خضع لمقولة واحدة مركزية وهي اليقين، واستبعد كل ما من شأنه إثارة الشك، والاحتمال، واللامتوقع، واللايقين. مما نتج عن هذه الإزاحة تجميدا للفكر عن البحث والاكتشاف، بالتالي عدم فسح المجال أمام انضمام مقولات ومعارف جديدة، مثل هكذا خطأ يتجنبه فكر التركيب وينتهج العكس بأن يولي اهتماما كبيرا للايقين لأنه ظاهرة طبيعية يعيشها العالم. وفي سياق المركب دائما والمصطلحات القريبة منه والتي تعمل على خلط المعنى في أحيانٍ كثيرة، يذهب إدغار موران إلى إحداث فرق ليس بالانفصالي بين مصطلحي: المركب والتعقيد، وفي هذا المنحى يقول: لا يمكن للمركب أن يتلخص في كلمة تعقيد، ولا أن يرجع إلى قانون للتعقيد، ولا أن يختزل في فكرة التعقيد[18].

---

[16]- إدغار موران، إنسانية البشرية الهوية البشرية، تر: هنا صبحي، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة، الإمارات العربية المتحدة، 2009م، ص127.

[17]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية مصدر سابق، ص137.

[18]- إدغار موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص9.

فالمركب هو ما يركّب بحيث يجعل من قضية اختزاله في كلمة تعقيد أو قانونه أو فكرته أمرا مستحيلا، لأن التعقيد غير قادر على استيعاب المركب الذي يضم التعقيد فإنه كما يضم التبسيط. ثم إن المركب وكما نوّهنا يتحدّى التعقيد ويرفع من وتيرته، فكأنما الأمر يشير إلى أن التعقيد موضوع المركب، كل هذا يُفضي بمسألة تخصيص مصطلح يحتويه من الاستحالة التي تقتضيها الشمولية المركبة، غير ذلك فالمركب والتعقيد يتقاطعان في نقطة مهمة جدا وهي إصلاح الفكر. إذن يمثل الفكر المركب، فكرا حواريًا منفتح يؤمن بالتعقيد ويدعمه ويؤسّس له، وبالتناقض كجوهر للحياة وباللايقين كخاصية للعالم، هو فكر لكل شيء.

ـ نقد مبادئ منظومة الاختزال:

وتعود جذور هذا الفكر(التبسيط) حسب الفيلسوف الفرنسي إدغار موران إلى ديكارت الذي يعتبر أننا نحيا تحت سلطان مبادئ الفصل والاختزال والتجريد التي تشكل في مجموعها ما أسميه بـ "منظومة التبسيط"[19]. صاغ ديكارت هذه المنظومة المسيطرة على الغرب عن طريق الفصل بين الذات المفكرة- ego-cogitans-، والشئ الممدود -res extensa- أي الفصل بين الفلسفة والعلم، ووضع الأفكار "الواضحة والمميزة" كمبدأ للحقيقة[20]. ولا شك أن هذه المنظومة استطاعت بأنساقها المغلقة أن ترافق التحول المعرفي الغربي منذ القرن السابع عشر سمحت بحدوث تقدم كبير على صعيد المعرفة العلمية والفكر الفلسفي، ولم تبدأ مخلفاتها الضارة الأخيرة في الانكشاف إلا في القرن العشرين[21]. وأكبر خطأ شكلته منظومة التبسيط هي أنها فهمت العالم، ذلك الكم الهائل من المركبات الدينامية والمعقدة واللايقينية والمفتوحة بأدوات الابستمولوجيا التقليدية، أي بمنهج التبسيط والاختزال والوضوح والثبات تخفي تعقد العالم [22].

---

[19]- إدغار موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص.15.

[20]- المصدر نفسه، ص15.

[21]- المصدر نفسه، ص15.

[22]– المصدر نفسه، ص 16.

- يأتي مفهوم منظومة التبسيط (Systéme de simplification) ، على أنه ذلك الفهم الذي يترجم نظرية المعرفة حكمت منطق البحث في فترة الحداثة(Modernité) ، أين عرفت هذه الفترة العديد من التحوّلات العلمية، كالثورة الكوبرنيكية والفيزياء النيوتنية والثورات الفلسفية مثل: الفلسفة البيكونية والفلسفة الديكارتية وكذا الكانطية، وكلها جهود فكرية شكّلت المعالم الأساسية لبراديغم التبسيط، حيث ساد الاعتقاد في الفكر العلمي الحديث أن الواقع بسيط وأن النتائج المتوصّل إليها من عملية تفحّص معطياته، تتميّز باليقين والمطلقية والحتمية في الوقوع والإمكانية في التنبؤ، بداعي النزعة الموضوعية.

هذا العالم الذي لا يمكن فهمه بعد أن ظهرت الاكتشافات الأساسية لفيزياء الكوانطا وفيزياء الأنظمة المختلة، بل أصبح يتطلب أدوات وأطر وفلسفات وعلوما جديدة لفهمه وهي الغائبة كليا في الابستمولوجيا التقليدية. فالتحولات العلمية المعاصرة أنشأت جهازا مفاهيميا مختلفا عن الجهاز المفاهيمي السابق، وجعلت صلاحية هذه المفاهيم غير ممكنة.

ـ إبستيمولوجيا التعقيد:

يمثل فكر التعقيد براديغما جديدا تولد عن حدود العلوم المعاصرة وتطور معا. ولا يتخلى عن مبادئ العلم التقليدي، بل يدمجها في نسق مفتوح أوسع وأغنى. فالتعقيد هو التحدي الأعظم للفكر المعاصر، لأنه يستلزم إصلاحا لنمط تفكيرنا. ويقدم انتقادا جذريا للفكر المبسط أو الفكر الاختزالي، وتعود جذور هذا الفكر(التبسيط) حسب الفيلسوف الفرنسي إدغار موران إلى ديكارت "إننا نحيا تحت سلطان مبادئ الفصل والاختزال والتجريد التي تشكل في مجموعها ما أسميه بـ" منظومة التبسيط""[23].

يتساءل موران: ما هو التعقيد؟ ويجيب:هو نسيج(complexus: ما نسج ككل) من المكونات المتنافرة المجمعة بشكل يتعذر معه التفريق بينهما. إنه يطرح مفارقة الواحد والمتعدد[24].بالفعل إن التعقيد هو نسيج من الأحداث والأفعال والتفاعلات والارتدادات والتحديدات والمصادفات التي تشكل عالمنا الظاهراتي. لكن في هذه الحالة يحمل التعقيد بشكل مقلق سمات الخليط وغير قابل للفصل، والاختلال والغموض واللايقين[25].

حققت العلوم تقدما معرفيا عظيما، غير أن تقدم العلم الأكثر تطورا، كالفيزياء يقربنا من مجهول يتحدى مفاهيمنا ومنطقنا وذكائنا (الميكرو- فيزياء و الماكرو- فيزياء)، ويضع أمامنا مشكل ما لا يقبل المعرفة، وتلك الثقة العمياء حول "العقل" الذي يشكل الوسيلة المعرفية الأكثر أمانا، ألا يمكن أن يحمل في ذاته مهمة عمياء؟ هنا يتساءل موران ما هو عقلنا؟ هل هو كوني؟ عقلاني؟ ألا يمكن أن يتحول إلى ضده من دون أن يعي ذلك؟ ألم نبدأ في فهم أن الاعتقاد في كونية عقلنا يخفي عقلنه غريبة متمركزة وتشويهية؟، ألم نبدأ اكتشاف

[23]- إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة أحمد القصوار ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، ط1، 2004، الدار البيضاء- المغرب، ص.15.
[24]- المصدر نفسه، 15.
[25]- المصدر نفسه، ص.17.

تجاهلنا واحتقارنا وهدمنا لكنوز المعرفة باسم محاربة الجهل؟[1]. فالبحث عن الحقيقة الآن أصبح مرتبطا بالبحث عن إمكانياتها، هل معنى هذا أنه علينا ترك فكرة الحقيقة(الاعتراف بغياب الحقيقة كحقيقة)؟ ووضع المعرفة من أجل الحقيقة في العقدة الإستراتيجية لمعرفة المعرفة؟[2].

في هذا السياق يقدم لنا موران فكر التعقيد باعتباره نموذجا جديدا ظهر عن تطور العلوم الحديثة وحدودها، في الوقت نفسه لا يعزل هذا الفكر مبادئ العلم الكلاسيكي حيث يدمجه ضمن شكل أوسع وأكثر ثراء، فتعقيد يمثل ذلك التحدي الكبير للفكر المعاصر الذي يستدعي إصلاحا لصيغة تفكيرنا، إنه يمدنا بالحل الأكثر حسما من الآن فصاعدا سيغدو الفكر قادرا على نمذجة كل ظاهرة مدركة ومتصورة على أنها معقدة برفض تبسيطها وتشويهها[3]. لذلك سوف نجابه مقاومة عصية على الفهم والتي يمثلها تعقيد الواقع، ونحن هنا في رحاب نموذج جديد الذي يحتم على الفكر العلمي إعادة تعريف العلم كما أن المشكلات العلمية تشهد تغيرا جذريا ما يجعل الفكر العلمي ملزما بأن يغير من مستوى الذي يميز الحل العلمي الحقيقي[4].

هكذا قامت منظومة التعقيد على أسس متناقضة لأسس الاختزال حيث كان الفرض مفتاحا للمعرفة العلمية، بعدما كان النظام هو الهدف من دراسة الظواهر الطبيعية وتقنينها وتكميمها رياضيا وحلت واللاحتمية في الفيزياء محل الحتمية المطلقة[5]، داخل هذا المخاض تشكلت إبستيمولوجيا التعقيد ولفهم الإطار العلمي لها لابد من تحليل وفهم الأسس العلمية لطبيعة المعرفة العلمية المعاصرة وتحديد تصور حقيقي يساعد على بيان الخطاب الابستيمولوجي الجديد.

---

[1]– إدغار موران، المنهج، مصدر سابق، ص21.

[2]– إدغار موران، الفكر والمستقبل: مدخل إلى الفكر المركب، ص 6.

[3]- عبد العزيز بوالشعير، مقالات في الدرس الفلسفي – مساءلات فلسفية في العالمين الصغرى والكبرى، منشورات الاختلاف، ط01، الجزائر،2016، ص 83.

[4]- المرجع نفسه، ص 89.

[5]- داود خليفة، إبستيمولوجيا التعقيد، دراسة لبراديغم التعقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، جامعة وهران، سنة 2016، ص 108.

يعتبر الفكر المركب، المشروع الأساس لإدغار موران في الحقيقة يمكننا القول، دون تردد، بأن موران يركز بالأساس على نشر أسلوب هذا التفكير، أسلوب يناهض الرؤية ذات زاوية النظر الوحيدة أو الجزئية أو عديمة التمييز بين الألوان،"إنه يركز دائما على محاولة الجمع بين الجوانب المتناقضة من الواقع"[1].

فهو ما فتئ يذكرنا بالترابط القائم بين العناصر التي تبدو لنا متناقضة على مستوى الظاهر، فالوحدة والاختلاف مفهومان متناقضان ظاهريا، لكنهما مترابطان ومتكاملان في العمق، المبدأ الذي يؤطر المنطلق الفكري الأساسي لرؤية موران عبر كل كتاباته، فكلمة معقد لا تعني كون المفهوم غامضا أو مركبا لدرجة عصية على الفهم، بل كون الأمر يتعلق بمفهوم يعبر عن نوع من التفكير يجمع العناصر بدلا من تفكيكها، ويربطها بدلا من تبديدها، فالثابت الذي تحقق منه إدغار موران أن العلم كما أنه ينير الظلمات فإنه يعمي الأبصار، لأنه تحت نير الاختزال والتجزيئي اللذين فرضتهما التخصصات حال دون تنفيذ مهامه في تكوين الرؤية الشاملة التي تؤسس قاعدة صلبة لتحقيق التنمية التي يأمل تحقيقها بنموذج جديد بعد انجاز ثورته في تجاوز الاختزالية[2]. لذلك يقترح وجوب تجاوز الفكر الأنوار والبحث عن ما بعد الأنوار هذا تجاوز يعبر عنه بقوله: " نتجاوز الأنوار ليس بالمعنى الذي يريده هيجل بل إدماج ما يوجد في الأنوار من عناصر صحيحة"[3]، ليقترح إدغار موران وصفة علمية نابعة من تصوره ليرشدنا إلى الكيفية اللازمة للخروج من الأنوار والدخول إلى مرحلة ما بعد الأنوار منطلقا من فحص العقل لتجاوز العقلانية المجردة التي تجعل للحساب والمنطق التجريدي أولوية مثلت خاصية العقل التجزيئي وميزت عصر الأنوار، يعتبرها من أمراض التي أصابت العقل ويجب إدراكها، بل يجب إنكار فكرة العقل الخالص لكانط، فلا وجود لعقل خالص، هكذا يثور إدغار موران على عقل الأنواري الذي ظل يهيمن لقرون من الزمن، فالعقل الموراني يذكرنا بعقل ألبرت اينشتاين الذي ثار على عقل إسحاق نيوتن Isaac Newton(1642-1727) ليثبت موران استحالة وجود العقلانية بدون شعور

---

[1]– رشيد مرون، هل يمكن إنقاذ الإنسانية من سلوكيات الإنسان؟،متاح على الموقعالالكتروني17سا30د2017/01/12, archive.aawsat.com/details.asp?issueno=9532&article=274822

[2]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص 42.

[3]- المصدر نفسه، ص 43.

وبدون وجدان[1]فهما في حوار متواصل يشكلان بهذا ازدواج عقلانية مركبة منفتحة تمارس النقد الذاتي وتقبل بالتناقضات واللايقين وتشكل بهذا التركيب ثورة معرفية ضد الذكاء الأعمى الذي عجز عن تصور العصر الكوكبي، ولعل المشكلات البيئية التي تمثل أول كارثة كوكبية أحد نتائج المعرفة المنفصلة، لذلك يجب تقويض عقلانية الأنوار التي تبنى على التقدم الخطي والحتمي، ليتسع تصورنا إلى الواقع المركب[2].

إن الفكر المجزأ السائد حاليا بحكم التقدم التقني لم يعد بإمكانه أن يضع الأزمات الراهنة داخل بناء كلي يسهل وفقه رؤيتها، ولم يعد بمقدوره أن يميز المعضلات الجذرية للإنسانية وأزمتها الشديدة وينظر بشكل غير واعي لواقعه في تراجع الديمقراطيات على سبيل الحصر ويشجع على سيادة وزحف البيروقراطية والمؤسسات التي تخنق الأمل[3]، وهاهنا يتبين أن منطق الغرب منطقا توازنيا موجها للحفاظ على توازن الخطاب حيث اشتغل على إزاحة وطرد التناقض، ومراقب وتوجه جميع التطورات الفكر، لكي يطرح نفسه بشكل بديهي، بوصفه غير قابل للتطوير وكانت الابستمولوجيا التقليدية تلعب دور حارسا حقيقيا له، لذلك يرى إدغار موران أن الخيال والإشراق والإبداع معطيات ولجت "خلسة"، لأنه لا يمكن ضبطها[4]، ذلك أن اختزالهم يعيق الفكر لتحقيق عملية تقدم العلوم، وكانت الابستمولوجيا المعاصرة كآلية نقدية صارمة تقف دائما – بالمرصاد- لإدانتها.

يستشف إدغار موران هذه الإدانة من سير كبار العلماء، فالمنظومة الغربية بطبيعتها الحداثية وليدة الثنائية الانفصامية الديكارتية والبروتستانتية من جهة، وتقود المظهر المزدوج للبراكسيس الغربي من جهة أخرى متمركز على ثقافته وعرقه لأنه مؤسس على الإعجاب الذاتي (الإنسان، الأمة، العرق) ليصفه إدغار موران بتسخيري الذي يتسم بالبرودة والموضوعية الزائفة والعقلنة القائمة على الحساب و التشييء[5].

---

[1]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص 45.

[2]- المصدر نفسه، ص 45.

[3]- علاء طاهر، نهايات الفضاء الفلسفي الفلسفة الغربية بين اللحظة الآنية و المستقبل، مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة 2005،ص3.

[4]- إدغار موران، الفكر و المستقبل مدخل إلى الفكر المركب، دار توبقال للنشر، ترجمة أحمد القصوار ومنير الحجوجي، المغرب، 2004، ص56 .

[5]- المصدر نفسه، ص57.

بيد أن إصلاح الفكر لا يهدف إلى إلغاء براديغم التبسيط والتحليل، بقدر ما يهدف إلى إضافة فكر قادر على الربط الذي بدوره يقتضي مفاهيم وتصورات أو ما يسميه موران "مشغلات الإرتباطية"[1]

1/ النسق: من المصطلحات التي يفضلها موران وتعني فكرة التنظيم تسمح بوصل وربط الأجزاء بالكل تمكننا من التخلص من ربقة المعارف المتشظية، ففكرة النسق كمقاربة متجددة في معارفنا في الوقت الذي سيطرة فيه على تاريخ العلوم فكرة أن معرفة الأجزاء أو عناصر الأولية كافية لمعرفة المجموع لكنه ظهر،لهذا يصمم إدغار موران على طرحه المعرفي في تبني فكر التركيب لأنه الوحيد الذي بمقدوره مواجهة تحّديات عصرنا التي هي شمولية وجوهرية ويتقدم على ضد التراجعات والارتدادات التي تشهدها الديمقراطية في العالم اليوم .وإذا كان موقف موران يتأرجح بين التشاؤم والتفاؤل عبر مختلف مؤلفاته، فإنه يفتح منعطفا للأمل نحو القرن القادم كمحصلة لتجربة حياته العلمية وتأمل نظري لأفكار العصر الحديث يطرح من خلالها تصوره للوعي الآني للحظة الراهنة، ليؤسس نقطة انطلاق للخروج من العصر ما قبل التاريخ للفكر الإنساني المعاصر ليسلح به الإنسان المعاصر ضد العصاب الجماعي لمجتمعاتنا المعاصرة.

لا يضمن موران أن نوعا واحدا من الإصلاح يمكن له أن يحسن الحياة الإنسانية والمجتمع، بل يرى أن كل شيء متصل ببعضه البعض ويقصد به الفكر الذي يتطلع إلى معرفة متعددة الأبعاد ناجمة عن جملة العلوم الفيزيائية والبيولوجية والكيميائية وعلم الاجتماع والآداب.....، مما يدفعنا إلى أن نتعلم كيف نفكر بشكل جديد وشمولي، من الواضح والمؤكد الذي يجب أن نؤمن به أن تغيير العالم هو- في الأساس- تغيير في أدوات فهم العالم.

3-الأسس العلمية لإبستيمولوجيا التعقيد: تأسيس الفكر المركب.

لعل أهم النتائج التي استخلصها موران من الواقع المأزوم الذي آلت أيه الانسانية كان نتيجة رؤية مشوهة وأحادية اتبعها العقل في تفكيره الاختزالي المقيت والأصم أفرغت الإنسان من الدلالة والمعنى وتجاهلت التحول الذي يفرض نفسه، كانت لها نتائج خطيرة ذلك أن هذا التشويه للمعرفة قطع الأجساد وسكب الدماء ونشر المعاناة والتخلف، وعجز من تمثيل تعقيد

[1] - إدغار موران، الفكر و المستقبل مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص57

الواقع الأنثروبولوجي في بعده المصغر الفردي والاجتماعي، وفي بعده المكبر الكوكبي[1] الذي يقودنا إلى مآسي أكبر من ذي قبل. لقد استطاع العلم المعاصر خلخلت أهم المرتكزات العلم الكلاسيكي، ليواجه هذا التعقيد عدة اشكاليات من أهمها: النظام، والقابلية للانفصال والعقل المطلق، فانعكس ذلك على أسلوب تفكيرنا. يتساءل موران كيف نسير في عالم لم يعد النظام فيه مطلقا، وحيث القابلية للانفصال أضحت محدودة كشف عن ثغور في المنطق؟[2].

ـ نظرية الكاوس: من النظام إلى الفوضى.

يعتبر مصطلح النظام أو الترتيب، موروثا تراكميا من المعرفة الكلاسيكية، ناتجا عن تصور حتمي وميكانيكي للعالم، فكل فوضى ظاهرة هي نتيجة لجهلنا المؤقت وراء هذه الفوضى كان هناك نظام قائم متخفي ينبغي اكتشافه، وتم ذلك مع إعادة التفكير في فكرة النظام الكوني بداية من الديناميكية الحرارية (thermodynamique)، التي تعرفت في الحرارة على غليان جزيئي فوضوي ثم بالميكرو فيزياء، ثم بالفيزياء الفضاء، ثم بالفيزياء الفوضى[3].

وتعد نظرية الفوضى أسلوب جديد للتفكير في العلم المعاصر اتجاه نتائج الفكر القديم خصوصا تلك التي لم يلق لها بال، وأهملت بسبب خروجها عن المألوف نتيجة إفراط في التجزئة والاختزال، كل معلومة من شأنها إعاقة النتيجة، هي المهمة التي مارستها كل التخصصات العلمية، حين ركزت على الأجزاء بمعزل عن الصورة الكلية، وهنا يكمن دور نظرية الفوضى التي ستنهي هذا الأسلوب الذي عجز عن التفكير في التعقيد الذي يميز الظواهر الطبيعية، المهمة التي يسعى العلماء إلى اكتشافها هي الكشف على ما يكمن وراء الانتظام البادي في الطبيعة بعد أن تعذر ضبطها اعتماد على قوانين البداهة مثل تشكل الغيوم وتبخر المحيطات وانفجار البراكين.....بالإضافة إلى الظواهر الاجتماعية والاقتصادية وكل

[1]- إ دغار موران، الفكر و المستقبل مدخل إلى الفكر المركب، ص 18، ص 19

[2]- المصدر نفسه، ص18-19

[3]- ادغار موران ضمن كتاب جماعي، إشراف جان فرانسوا دورتي، ترجمة ابر هيم صحراوي، منشورات دار الاختلاف ط01، الجزائر، 2009، ص 376- 377.

العلاقات البشرية كلها تعد ظواهر مثلا للحركة الفوضوية لا تخضع لتحديد دقيق ولا يمكن التنبؤ بمستقبلها وهو الأمر الذي كشف ضرورة قيام علم يهتم بدراسة الفوضى ونشأ على أثره ما يسمى بـ : فيزياء الفوضى physique du chaos التي تعتبر أول نظريات العلمية الجديدة في العلم المعاصر بديلا عن النسق المغلق الذي يقوم على الحتمية والانتظام[1].

تهتم نظرية الفوضى بدراسة الأنظمة التي تحكمها معادلات بسيطة تظهر سلوك عشوائي لا يمكن التنبؤ به ويرجع ذلك للحساسية التي تنشأ من الشروط الأولية وإلى درجة عالية من التعقيد نتيجة للعوامل المؤثرة في النظام[2].

جاءت نظرية الفوضى لتجسد مجموعة من الأفكار، بعد أن تبين أن قول باللاحتمية والاحتمال قد أنتجا فهما جديدا للظواهر من حيث أن حدوثها لم يعد ضروريا[3]، ليتأكد أن العالم اللاحتمي يستوعب الأنساق الكاوسية ويظل منتظما ومعقولا تخضع وقائعه للقوانين العلمية في إطار تعاقب الأحداث الاحتمالية وليس الحتمية، وهذا يدل على أن الفوضى أضحت نظرية جديدة للمعرفة العلمية بالموازاة مع النظام، فالفوضى ما هي إلا ستار خفي لا نعلم عنه واقع الظواهر لكن علينا أن نفرض وجوده وقد فرض وجوده في العلم المعاصر الذي تتمثل مهمته بحسب موران في فهم التعقيد كظاهرة أثبتت حضورها[4].

ـ علم التحكم الآلي: السيبرنطيقا والذكاء الاصطناعي:

تعتبر السيبرنطيقا نظرية رياضية نشأت بفضل دراسة منظومات الإدراك والتحكم في الآلات الصناعية أو الكائن الحي تهتم بعمليات الاتصال ومعالجتها وتخزينها وتبادلها في توجيه عمل أي منظومة وتحسب من بين العلوم الجديدة التي ظهرت أثناء الحرب العالمية الثانية لتحديد موقع الطائرات وموقع القاذفات وفق نظام ذكي وهو ما أعطى طبيعة معقدة للمعرفة سمي بالتحكم الآلي أو ما يعرف بالسيبرنطيقا cybernétique الذي يعرف بـ: التحكم والضبط كان لزاما حل المشكل رياضيا بما أن مسألة استنباط مسارات القذيفة غاية

[1]- داود خليفة، إبستيمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التعقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، مرجع سابق، ص109-110.

[2]- المرجع نفسه، ص 110.

[3]- المرجع نفسه، ص130

[4]- المرجع نفسه، ص131.

في التعقيد حيث نقله من الاحتمال إلى اللاحتمال ويعتبر تجاوزا للمفهوم الكلاسيكي للسببية الخطية بإرساء علاقة جديدة تربط الأفعال بالأهداف بالاعتماد السببية الدائرية.

ـ نظرية الإعلام:

مهدت نظرية الذكاء الاصطناعي لنظرية الإعلام التي جاءت لحل مسألة علمية هامة تتعلق بكيفية نقل المعلومات بفاعلية عن طريق حل مشكلة التشفير،تمدنا بوسيلة لتقييم المعلومات في كل نقطة من نظام الاتصال، للتعرف على الظروف أو المتغيرات التي من شأنها تزيد أو تنقص من احتمالية انتقال المعلومات باعتبارها من الأنظمة الفوضوية المعقدة التي لا يمكن تفسيرها خطيا كالأنظمة البسيطة، فالهدف من النظرية بحكم النظر إلى حقول الاتصال كنظام معقد ينتمي إلى أنظمة لا خطية، لأن السبب يؤثر في النتيجة في نفس الوقت الذي تؤثر فيه النتيجة في السبب، فهي إذن، أداة لمعالجة اللايقين والمفاجأة وغير المتوقع ذلك أن المعلومة مثلا التي تحدد لنا الفائز في المعركة تحل مشكل اللايقين[1]، والتي تعلمنا بالموت المفاجئ لطاغية تعلمنا بالخبر غير المتوقع و الجديد في نفس الوقت ، كما يسمح مفهوم المعلومة بالدخول في عالم يوجد في النظام (التكرار) واللانظام (الضجيج) وأن يستخرج منها الجديد (المعلومة ذاتها)، إضافة إلى أن المعلومة قد تتخذ صيغة تنظيمية مبرمجة[2].

ـ نظرية النظم العامة:

تمت صياغة نظرية النظم العامة من طرف عالم الأحياء النمساوي لودفيج فون برتالانفيLUDWIG BERTALANFFY(1901-1972) وتعتبر نظرية نسقية تنظر إلى الأشياء في أبعادها الكلية الشاملة من خلال التركيز على التفاعل بين الأجزاء [3]بدل النظر إلى العلاقات السببية مقاومة التعقيد الأنظمة ككيانات أو مجموعات ديناميكية ذات علاقة

[1]- إدغار موران، نحو براديغم جديد، ترجمة وتقديم يوسف تيبس، مجلة رؤى، العدد التاسع والعشرون، ص 120.
[2]- المصدر نفسه، ص 120.
[3] - داود خليفة، إبستيمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التعقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، مرجع سابق، ص 147.
- حدث نقاش فكري حاد في نهاية الأربعينيات بالولايات المتحدة الأمريكية بين جماعة من العلماء حول النظرية التي أبدعها نوربرت فينار ونظرية الأنساق ونظرية الإعلام لكلود شانون CLAUDE SHANNON بالموازاة تم ابتكار الحاسوب، وأجهزة الإعلام الآلي، والإعلاميات، والأجهزة الأولى للتحكم الإلكتروني. أنظر: مجلة رؤى، العدد 29، ص121.

متعدد ومتغيرة وكشف **برتالانفي** من خلال خبرته الرياضية والفيزيائية على أن الأنظمة الحية أنظمة مفتوحة تتفاعل مع محيطها بطريقة تبادلية بين المادة والطاقة لأجل المحافظة على توازنها واستمرارحياتها، لقد لاحظ كذلك أن كل نظام ينتمي إلى بيئة يعطي له هويته الخاصة ويميزه عن غيره من الأنظمة، وهذا التفاعل والتبادل بين المنظومة ومحيطها يسمح بربط أزواج من أنظمة المختلفة وتعتبر كل مخرجات أي منظومة مدخلا لمنظومة أخرى فتشكل مجموعة من النظم عن طريق العلاقات مختلفة من التداخلات تسمح بإقامة التماثل بين أنواع مختلفة من المنظومات عن طريق شبكة من العلاقات، فالمجتمع نماثله بالكائن الحي والعقل نماثله بالحاسوب، وباعتبار نظرية النظم العامة نظرية يتحقق فيها نموذج النظام بشكل مستقل هي دعوة إلى توحيد العلوم الفيزيائية وعلوم الأحياء وعلم النفس، وعلم الاجتماع[1].... هذا التوحيد يعتمد على أنواع المنظومات التي تعتبر القاسم المشترك بين الظواهر[2].

هذه النظريات دفعت إلى تعزيز التفكير في القضايا والظواهر ذات مستوى التنظيمي من خلال رفع اللبس على التسلسل الهرمي الديناميكي للنظم المنظمة فمفهوم النظم المنظمة يحيل إلى وجود الخصائص الطارئة التي تنشأ من النظم المنظمة، مما يستدعي الإلمام بكل المنظومة وتشير إلى العلاقة الترابط والتبادل والتفاعل بين حقول المعرفة التي اكتشفها العلم المعاصر كخاصية تكسر ذلك الحاجز إلي كان يعتقد به بين المادة الجامدة والمادة الحية[3].

هكذا كشفت هذه النظريات على جوهر التعقيد التي يميز الظواهر العلمية، حيث لا يمكن دراستها بأدوات الابستمولوجيا التقليدية لتفتح الباب أمام إبستيمولوجيا التعقيد كنموذج لبراديغم جديد للعلم المعاصر.

4ـ مبادئ إبستيمولوجيا التعقيد:

كشفت إبستيمولوجيا المعاصرة أن العلم الذي يأخذ بتعقيد في صلب الطبيعة ويتجاوز حدود العقلانية الكلاسيكية، سيأخذ في الوقت نفسه في عملية التفاعل بين مختلف المعارف. لا يراد من التركيب أن يكون الحل النهائي، بل مسارا للوصول إلى حلول أكثر إحاطة

[1]- داود خليفة، إبستيمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التعقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، مرجع سابق، ص 148
[2]- المرجع نفسه، ص 149
[3]- المرجع نفسه، ص 150

بالشكل المطلوب حله، يقول موران " يحق لنا أن نطلب من الفكر أن يزيل الغشاوات والعتمات، وأن ينظم ويوضح الواقع، وأن يكشف عن القوانين التي تحكمه"[1].

ولا يمكن لكلمة إلا أن تعبر عن ارتباكنا وعجزنا عن أن نحدد الأشياء بشكل بسيط وأن نسميها بوضوح وأن نرتب أفكارنا، فإذا أقام أنموذج التبسيط والاختزال على أسس الانفصال والتعميم والسببية الخطية، فأن أنموذج التعقيد يقوم على مبادئ مهمة هي: مبدأ الحوارية، مبدأ السببية الدائرية، ومبدأ الهولوغرامية.

أولا: المبدأ الحواري DIALOGIQUE.

من هذا المنطلق سيحاول موران تجاوز المبادئ السابقة وإصلاح العمى المعرفي الذي أصابنا جراء استخدام أدوات إجرائية تبسيطية من قبل التعميم والفصل والاختزال ويدعونا إلى التمييز بين المعطيات دون الفصل والى التجميع بدل الاختزال ومن هنا سنكون أمام منظومة حوارية بين الظواهر وندخل فيها مفاهيم الفوضى والخلل والصدفة في مستوى الفهم والتعقل، ويستعمل موران هذا المفهوم للدلالة على تعايش منطقيات مختلفة في كل أمر إنساني لا تقبل الاختزال إلى إحداها ويعني لا يستطيع إي مبدأ بلوغ لفظ السيادة والسيطرة[2].

ومن هنا يعرف موران مبدأ الحوارية بقوله:" وحدة معقدة وكيانين متنافسين ومتعارضين يتغذى أحدهما على الآخر ويكملان بعضهما، لكنهما يتعارضان ويتحاربان أيضا، وينبغي تمييز هذه الحوارية عن الدياليكتية الهيجلية، فلدى هيجل تجد المتناقضات حلولا لها ويتجاوز بعضها البعض ويلغي بعضها البعض داخل وحدة عليا"[3]، فالاستقرار والحوار باللغة الحوارية عدوان لبعضهما البعض، وكل منهما يلغي آخر، لكنهما يتعاونان وينتجان التنظيم والتعقيد، فالمبدأ الحواري يمكننا من الحفاظ على التعارض داخل الوحدة حين يجمع بين حدين متكاملين ومتعارضين في الوقت ذاته[4]، فمثلا نجد بيولوجيتنا أو في حياتنا عموما حوار بين أطراف متعارضة بين طرف يريد الاستمرار والتوالد وبين طرف آخر يريد الإنهاء والاختلال بدل الاستقرار، وهنا يتضح معنى البنية الداخلية لأجسادنا فنجد الحامض

[1]- إدغار موران ،في مفهوم الأزمة، مصدر سابق، ص 48

[2]- إدغار موران، نحو براديغم جديد، مرجع سابق، ص123

[3]- داود خليفة، إبستيمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التعقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، مرجع سابق، ص 203

[4]- إدغار موران، الفكر والمستقبل: مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص 75

النووي للتوالد والحامض الأميني للتلف والاندثار[1]. يمكننا أن نفهم أن مبدأ الحوارية أنه مبدأ إبستيمولوجي يمكنه أن يقبل أكثر من منطق ضمن نفس البناء التصوري. فإذا كانت التصورات العلمية التقليدية تقوم على أسس الأرسطية وتحديدا على المنطق الصوري الذي يستند إلى مبدأ الهوية وعدم التناقض، فإن مبدأ الحوارية يسمح بتجاوز هذا النطق ويجمع بين الأزواج المتناقضة، ومنه نفهم أن مبدأ الحوار المنطقي يمكننا من التعامل مع الاختلافات والتناقضات دون تجاوز أو إلغاء أحدهما للأخر، إنه مبدأ يحافظ على التعارض والتنوع داخل الوحدة.

ثانيا: مبدأ السببية الدائرية RECURSIVITE.

إذا كان مبدأ السببية يرتبط بالنظرة العلمية السائدة أي بالنظرة الكلاسيكية التي تبنى على النظرية الجسيمية أو الذرية للمادة، استنادا للعالم الطبيعي الذي يتكون من جسيمات كبيرة صلبة ومتحركة في الفضاء، فكل جسم داخله يمثل كيانا فيزيائيا غير قابل للانقسام هندسيا، له حجم وشكل وحيز مكاني معين، لا يمكن أن يشترك مع جسم أخر في نفس المكان كما أنه له في كل لحظة حيز خاص به[2]. فإذا تحرك أي جسم فلابد له أن يتقاطع مع جسم آخر أو يصطدم به، هذا التصور يختصر لنا مبدأ السببية الخطية التي يؤدي فيها أي سبب إلى نتيجة ما، ولا يمكن عكس العملية، أي تصور سبق النتيجة للسبب. أما التصور الابستيمولوجي المعاصر يختصره موران في مقولته " إنه تجميع مركب تكاملي تنافسي – تعارضي – من العناصر الضرورية كلها للحياة ظاهرة منظمة ولأدائها وتطورها الذي تتبادل فيه الأدوار بين الأسباب والعلل[3]، فنجده في مبدأ السببية الدائرية، هو مبدأ ذو طبيعة معقدة ضمن المكونات والمنظومات، فتتبادل التأثيرات والنتائج بحيث تكون فيها المراحل النهائية ضرورية لإنتاج المراحل الأولى[4]، حيث المنتوجات والنتائج تشكل في الوقت ذاته عللا منتجة لما ينتجها، ونأخذ مثالا على الحالة المجتمع كما تصوره موران ليزيل الغموض على هذا الأساس من خلال إسقاط هذا المبدأ الذي ينشأ بواسطة التفاعلات بين الأفراد

[1]- إدغار موران، نحو براديغم جديد، مصدر سابق، ص127

[2]- داود خليفة، إبستيمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التعقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، مرجع سابق، ص 200.

[3]- إدغار موران، المنهج، معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة، ج3، ترجمة جمال شحيد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2012، ص147-148

[4]- المرجع نفسه، ص 201.

وينتجهم في الوقت ذاته إذا لم يكن هناك مجتمع، وثقافة ولغة ومعرفة مكتسبة، فلن يكون هناك أفراد إنسانيون[1]. لذلك يشكل مبدأ السببية الدائرية أو الفكرة الارتدادية، قطيعة مع الفكرة الخطية القائمة على ثنائية العلة /النتيجة والمنتج / المنتوج والبنية الفوقية / البنية التحتية،لتشكل بذلك تنظيما ذاتيا وتنتج ذاتها. لقد حاول موران من خلال هذا الأساس أن يوضح لنا طبيعة التعقيد التي تتميز بها حضارتنا المعاصرة، حيث التعقيد والتشابك والتداخل سمة أساسية في عالمنا الذي يتسم بالعديد من الأزمات، التي هي في الواقع أزمات كوكبية.

ثالثا: المبدأ الهولوغرامي HOLOGRAMMIQUE

من المعلوم أن المنظومة الاختزالية اهتمت بسلوك المكونات الداخلية في تركيبها، أي اهتمت بالجزء على حساب الظاهرة ككل. وكان مبدأ الكلية بخلافها يهتم بدراسة سلوك وخصائص الظاهرة ككل، إلا أن مبدأ الهولوغرامية كأسس جديد في الإبستيمولوجيا المعاصرة، يجمع بين التصورين حيث يهتم بدراسة الجزء والكل، أو ما يسمى بالاحتواء المتبادل. ففي العالم البيولوجي يحضر المبدأ الهولوغرامي فنجد كل خلية من جهازنا العضوي تضم مجموع المعلومات الجينية لهذا الجهاز العضوي[2].

وكل فرد يحمل مجموع المجتمع من اللغة والمعارف والعادات والضوابط، وكما تحمل كل نقطة من الهولوغرام كل المعرفة التي تقدمها، فالخلية المنفردة وكل فرد منفرد يحملان بكيفية هولوغرامية مجموع الكل، حيث يعتبر الفرد جزءا من الكل، ويعتبر في الوقت ذاته، الكل (المجتمع) جزءا من الفرد[3].

يعتبر موران مبدأ الهولوغرام المبدأ الثالث للفكر المركب، ويعرفه بـ" أنه تجميع مركب – تكاملي / تنافسي / تعارضي – من العناصر الضرورية كلها للحياة ظاهرة منظمة لأدائها وتطورها"[4]. فهذا المبدأ كما سبق الذكر يقوم على أن " الجزء يوجد داخل الكل والكل يوجد داخل الجزء" هذا المبدأ استخدمه موران استناد إلى باسكال "لا يمكنني تمثل الكل دون تمثل

[1]- إدغار موران، الفكر والمستقبل: مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص 75.
[2]- داود خليفة، إبستيمولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التعقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، مرجع سابق، ص 206-207.
[3]- إدغار موران وجون بودريار، عنف العالم، ترجمة عزيز توما دار الحوار للنشر، سوريا، 2005، ص69.
[4]- إدغار موران، المنهج معرفة المعرفة، ص147-148

الأجزاء ولا تمثل الجزء دون تمثل الكل"[1]. وهذا يعني أن كل منظومة تحتوي على المكونات التي تشكلها وبالمقابل فإن كل مكون من هذه المكونات يحتوي على توصيف للكل الذي يحتويه، يقول موران:" لا نستطيع معرفة الكل من دون معرفة الأجزاء النظر إلى دوائر الدائرة يتم من خلال مركز الدائرة وكل الدوائر الأخرى هي نتاج حركة هذا المركز، أي جزء هو الذي يحرك الكل، والكل يتماهى مع الجزء، أنا تأثرت بهذا الفكر لأبدأ عملي على هذا الكتاب المنهج"[2].

[1]- إدغار موران، الفكر والمستقبل: مدخل إلى الفكر المركب، ص 75.
[2]- داود خليفة، ابستومولوجيا التعقيد دراسة لبراديغم التعقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، مرجع سابق، ص208

ـ خلاصة الفصل الأول:

إدغار موران شاهد عصر على واقع أزمة خانقة للحضارة الغربية. فطرح التساؤلات وقدم مبررات عن سلوك الحضارة الغربية ومدى صلاحيتها للاستمرار، أو فناءها ، أو سقوطها في الهاوية، لكونها تقود البشرية حاليا. لقد وقف فيلسوفنا على معاناة الإنسان المعاصر الذي نشأ في أحضان هذه الحضارة، إنسان قلق يعيش الاكتئاب، ارتبط مصيره بأخطر التهديدات التي تتربّص بالبشرية بالتقدّم الأعمى، ورغم التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل للغرب، ولأن عالم التكنولوجيا الذي يشكل محيطه المباشر، فشل في تحقيق السعادة التي بشرت بها الحداثة.حداثة توارى فيها الإنسان، وهيمنت فيها التقنية والأداتية.

كانت المهمة الفلسفية لإدغار موران، مهمة نقدية لمبادئ ونتائج الفكر التبسيطي الاختزالي حيث بين أنه لا نستطيع تجاهل التعقيد المتعدد – في الواقع وفي الفكر وفي الحياة الانسانية - الحاصل، بالتالي لابد من براديغم آخر قادر على إصلاح الفكر من جهة، واستعادة الوعي به من خلال الفكر المركب كأطروحة مركزية، رأى فيه السبيل الأصوب لمستقبل البشرية.

يعد براديغم" الفكر المركب والتعقيد" من أهم الأطروحات الفلسفية المعاصرة التي تضمنت خطابا ابستيميا تدعمه حقائق علمية بيولوجية وفيزيائية، تأسّس كرؤية نقدية ضد براديغم التبسيط والفصل والاختزال.

يأتي نموذج الفكر المركب تلبية للتحولات العلمية التي شهدها القرن العشرون، وخاصة النصف الثاني منه كالسيبرنطيقا ونظرية المعلومات، وهو يدعو إلى ضرورة العمل بالتعقيد، لأنه سبيل البشرية من أجل إصلاح فكرها، وضمان مستقبل أفضل لها.

الفصـــــــل الثـــــــــاني:
إبستيمية التعقيد والفكر المركب في مدونة إدغار موران الفكرية: التنمية والتنمية البشرية أنموذجان.

المبحث الأول: إشكالية التنمية في الرأسمالية والاشتراكية: مسار إخفاق مـــحتـــوم.

المبحث الثاني: إشكالية التنمية في ضوء الفكر المركب من أزمة المفهوم إلى إخفاق المشروع

المبحث الثالث: منظومة التربية والتعليم: البديل الواعد

المبحث الأول: إشكالية التنمية في الرأسمالية والاشتراكية: مسار إخفاق محتوم.

تمهيد:

الرأسمالية والاشتراكية مدرستان اقتصاديتان وإيديولوجيتان متعارضتان، وتركز الجدال بين الاشتراكية والرأسمالية حول سبل تحقيق التنمية الإنسانية من خلال ضمان الحرية والمساواة الاقتصادية ودور الحكومة. يعتقد الاشتراكيون أن انعدام الحرية والمساواة الاقتصادية والاستبداد يمثل القمع بالنسبة للمجتمع، لذلك فالحكومة مسؤولة عن الحد من هذا القمع عن طريق البرامج والمخططات التي تعود بالنفع على الفقراء، من أهمها مجانية التعليم العام، والرعاية الصحية المجانية أو المدعومة، والضمان الاجتماعي للمسنين، وفرض ضرائب أعلى على الأغنياء. من ناحية أخرى، يعتقد الرأسماليون أن الحكومة لا تستخدم الموارد الاقتصادية بكفاءة مثلما تفعل المؤسسات الخاصة، وبالتالي فإن حال المجتمع يكون أفضل مع السوق الحر الضامن الأساسي للحريات.

أ-التنمية البشرية في الفكر الماركسي:

تتجلى التنمية البشرية كنزعة إنسانية في الفلسفة الماركسية حين تلتمس أصالة الإنسان في رفضه للرأسمالية[1]، خاصة في مبادئها وثوابتها الاقتصادية ومجال الحرية المطلقة فيه، الأمر الذي يكون سببا في إهدار قيمة الإنسان بما يخلفه من اغتراب وتفاوت طبقي واستغلال الإنسان للإنسان وهو ما جعلها ترفض المذهب الفرداني الرأسمالي وإحلال المذهب الجماعي الذي يقوم على الملكية الجماعية والمساواة والديمقراطية الاجتماعية[2].

لقد تركت الماركسية بصماتها على الفكر الانساني وبلورت فلسفتها التي تتخذ من العامل المادي أساسا لفكرها ولا يمكن فهم هذا الاتجاه في التنمية بمنأى عنها في المرحلة المعاصرة، خاصة في ظل القطبية الثنائية في القرن الماضي، حيث تتضمن العديد من الأفكار والقضايا التنموية، في هذا السياق لعبت الأوضاع الاقتصادية التي سادت في أوروبا دورا ساعد على صياغة هذا التحول، فقدمت الماركسية نموذجا عاما تفسر من خلاله تطور المجتمعات الانسانية.

---

[1] – شريف طوطاو وآخرون، الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، مرجع سابق، ص 426-431.

[2] - المرجع نفسه، ص 431.

كانت البداية من استثمار فلسفة هيجل G.W.Hegel(1770-1831) ومنطقها الديالكتيكي الذي حاول من خلاله البحث عن أهم القوى الأساسية للتغيير، يدرس من خلاله الأشياء كحقائق في حركة دائمة غير منقطعة، فكل إثبات لحقيقة معينة تنطوي في نفس الوقت نفيا للحقيقة نفسها، وهذا النفي بدوره ينطوي على إثبات للحقيقة، ومن تلاقي النفي والإثبات ينبثق مركب يكون بمثابة تأليف بينهما، أي بين نقيضين لكنه ليس نهائيا، وهكذا يستمر مطورا على هذا المسار، ويقترب الإنسان بفضله إلى الكمال الذي ينشده.

وتمثل النظرية الماركسية تصورا للعالم بمختلف مكوناته (الإنسان، والمجتمع، والتاريخ، والمادة)،يقوم على قطيعة مع التصورات السابقة من حيث المنطلقات والمنهج، فالجدل والاستلاب والتناقض، والشغل، والطبقية والصراع، كلها مفاهيم جوهرية أنتجت اشكاليات فلسفية وإيديولوجية، شكلت منطلقا لأسس الثورة والتغير الذي لا ينفصل عن التصور المعرفي للنظرية الماركسية، التي تعمل على تفسير حركية المجتمع وفق وظائف الوصف والتفسير والتنبؤ، لذلك ترى الماركسية أن الفلاسفة انشغلوا فقط بتفسير العالم بطرق مختلفة في حين كان لابد أن ينشغلوا بتغيير العالم، هذا التفسير الذي تنتقده الماركسية لأنه اقتصر على أصل الظواهر ولم يهتم بالجوهر، الذي يمثل العلاقات الواقعية، مما جعلهم يسقطون في وحل الإيديولوجيا، لذلك يؤكد ماركس تصحيحا لهذا الانزلاق بقوله: "ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم الاجتماعي، بل وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم"[1]. إن الإنسان حسب كارل ماركس K.Marx(1818-1883) كائن اجتماعي في جوهره، ولا يمكنه أن يعيش خارج هذا النطاق، فالشروط اللازمة للحياة والتقدم والبقاء، لا تنتج إلا داخل هذا الإطار، الذي يمتلك وسائل الإنتاج كمحدد للعلاقات الانسانية، ليخلص أن المجتمع هو الذي يحدد مضمون الوعي الانساني ويضمن التطور والتغير وفقا للتطور الاقتصادي.

[1]- يوسف تيبس وآخرون، الماركسية الغربية وما بعدها التأسيس والانعطاف والاستعادة، إشراف وتحرير على عبود المحمداوي، تقديم أم الزين بن شيخة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2014، ص 41.

تبني الماركسية نظريتها في التنمية البشرية من خلال العديد من تصورات الفلسفية، حيث تعتبر المادية التاريخية النظرية الرئيسية في تفسير التغير الاجتماعي، خاصة وأنها لم تكتفي بعرض المراحل التي يمر بها المجتمع عبر مسيرة تطوره كما اتجهت في ذلك النظريات الكلاسيكية التي يعاب عليها افتقارها للطابع الدينامي، بمعنى أنها تبرر في تحليلاتها كيفية حدوث التغيرات، وتوضح السبل ومسارات التحول التي تحدث في البناء الاجتماعي من مرحلة إلى أخرى.

ولتحقيق التنمية بأبعادها الاجتماعية والفردية، تشير الماركسية إلى أن هناك تأثيرات متبادلة بين التنمية الاقتصادية والمكون القيمي للمجتمع، وفي هذا تصور ترى أن البناء الفوقي ما هو إلا انعكاس للبناء الاقتصادي، فأي تغير في البناء التحتي يقابله تغير في البناء الفوقي، وهنا تؤكد على ضرورة توافق القيم مع أسلوب الإنتاج، فالبناء الفوقي وفقا لنظرية الماركسية قد يعجل مسيرة التنمية كما قد يؤخرها، ونستخلص على أن المؤثر القيمي له تأثير بالغ وإن لم يكن في مقام التأثير المادي.

من أهم إبداعات الماركسية أن المجتمع الانساني يمر في مسيرته التنموية بخمسة مراحل وهي الشيوعية البدائية، ثم مرحلة الرق والإقطاع، فمرحلة الرأسمالية، ثم الاشتراكية، وأخيرا مرحلة الشيوعية.كما تؤكد على وجود ثلاثة قوانين تحكم حركة المادة والمجتمع والعالم، منها قانون تحول التغيرات الكمية إلى التغيرات الكيفية، فإذا أردنا إحداث تغيرات كيفية لابد من إحداث تغيرات الكمية. كما وأيضا تشيد بالدور الذي تلعبه الثورة في تغيير المجتمعات نحو الأفضل إلا أنها تشترط انتفاضة قوى معينة متمثلة في القوى العاملة المنتجة الممثلة في طبقة البروليتاريا، حين تشعر بالظلم الذي تمارسه قوى الإقطاع أو قوى الرأسمالية[1].

والحرية الفعلية لن تتحقق إلا بتحرر الفرد من استغلال والقضاء على الدولة الطبقية التي أحدثها النظام الإقطاعي والرأسمالي، وإقامة دكتاتورية البروليتاريا، وذلك لأسباب عديدة أهمها تصفية الملكية الخاصة كأساس اقتصادي للاستقلال، فتحرر الناس يرتبط بالبناء الاقتصادي

[1] - ماركس وانجلز، البيان الشيوعي، طبعة موسكو، سنة 1968، ص44

والاجتماعي وفقا للنظام الاشتراكي الذي يعتمد على قوى الطبقة الكادحة في حماية وتحقيق الحرية والديمقراطية للفقراء، وتجعل المجتمع خاليا من الطبقات[1].

يؤكد ماركس أن العمل هو المحور الرئيسي للحياة المادية في المجتمع، فمن خلال النشاط الانساني، يتمكن الفرد من الوفاء باحتياجاته الأساسية، من المأكل والملبس والمأوى...، أي أن النشاط الإنتاجي يمثل شرطا أساسيا لوجود المجتمع[2].

سياسيا، يقوم الفكر الاشتراكي على فكرة تدخل الدولة في تسيير النشاط الاقتصادي التنموي لتحقيق ما قد يعجز الأفراد عن القيام به، وللحد من الآثار الضارة التي قد تنشأ عن تزايد وتراكم رأس المال، تسعى الدولة الى تحقيق هدفين رئيسيين هما :

1- تحقيق الكفاية في الانتاج: يتمثل في اتخاذ الاجراءات اللازمة الكفيلة بزيادة الانتاج، ودفع عجلة التقدم إلى الأمام، لاشباع الحاجات المتزايدة للمجتمع.

2- تحقيق العدالة في التوزيع:يتمثل في ضمان تكافؤ الفرص بين الأفراد، والعمل على توزيع الدخول فيما بينهم بأسلوب يتسم بالعدالة، بحيث يحصل كل فرد على عائد يتناسب ومساهمته في العملية الإنتاجية.

تمر نظرية ماركس للتنمية كما ذكرنا في السابق بعدة مراحل، بدءا بالشيوعية البدائية لتعود إليها في آخر مرحلة لكن بمستوى من الرفاه التكنولوجي والعلمي، ويعتقد الاشتراكيون أن الديمقراطية لا يمكن أن تسود المجتمعات - بغض النظر عن الدستور الذي يحكمها- طالما ظل الانقسام بين المواطنين في طبقات متنازعة يسود بينهم الاختلاف الاقتصادي والدخل الفردي، وتضل الديمقراطية السياسية زائفة، ما لم تكن الديمقراطية الاقتصادية ولا يؤمن المذهب الاشتراكي بالربح كباعث على الإنتاج، بل هو حقا اجتماعيا ويسير بالإنتاج بدافع الحاجات الاجتماعية.

[1]– ماركس وانجلز، البيان الشيوعي ، ص45

[2]- كمال التابعي، التنمية البشرية دراسة حالة مصر ب. د. ن، ب. س. ن/ جمهورية مصر العربية، ص38

ويرتكز مفهوم التنمية بناء على مفهوم التحول الهيكلي الذي يتمحور حول القطاع الصناعي، خاصة التكنولوجي، انطلاقا من مفهوم تكرار الإنتاج الموسع والتركيز على الدور الأساسي لعملية تراكم رأس المال، وتعظيم الادخار، وتوسع نطاق الاستثمارات المنتجة. أما آلية تحقيق التنمية بهذا المعنى, فإنها ترتكز بالأساس على التخطيط الوطني الشامل ذي الطابع المركزي, الذي يستخدم "الخطة" كأداة تكاملية ملزمة لتحقيق أهداف التحول الهيكلي-التصنيعي، وما يرتبط به من سياق اجتماعي, أو السيطرة العامة على أدوات الإنتاج(قطاع الدولة، والملكية الجماعية، والتعاونيات)، لكن بعد حلول عهد العولمة، تراجع الفكر الماركسي-الشيوعي مع انهيار الاتحاد السوفيتي، وانفتاح الصين على اقتصاد السوق، وانحصر تطبيق الماركسية فقط في بلدان محدودة القوة والنفوذ ككوريا الشمالية وكوبا... أما سبب انهيار المنظومة الاشتراكية؛ فقد فسرها سمير أمين في عبارة واحدة: " أن النظام السوفيتي على الخصوص لم يتمكن من الانتقال إلى مرحلة التراكم المكثف الجديدة، وتأخر بالتالي عن الثورة الصناعية الثالثة(الثورة المعلوماتية واقتصاد المعرفة) التي انتهى بها القرن العشرون إلى الانهيار[1].

أما الأسباب الجوهرية لهذا الفشل حسب نفس الباحث، فتبقى عديدة أهمها "العامل السياسي"، حيث تحدث عن الارتداد المضاد للديمقراطية لدى السلطات السوفيتية التي وصفها "بالرأسمالية بدون رأسماليين"، التي لم تنجح في إدخال هذه الضرورة الأساسية للتقدم نحو الاشتراكية؛ وخلص سمير أمين إلى نتيجة مفادها، أن الاشتراكية إما أن تكون ديمقراطية أو لا تكون بالأساس، ذلك هو درس القطيعة الأولى مع الرأسمالية

على الرغم مما قد يوجه إلى للماركسية من نقد نظرا لفراغها الروحي المطلق، إلا أن نظريتها في التنمية كشفت عن أبرز الاختلافات بين المجتمعات التقليدية والحديثة، كما كشفت على العديد من المتغيرات الاقتصادية والمادية والسياسية والقيمية في تحقيق التنمية، إضافة إلى ذلك كانت انطلاقتها من نزعة بنائية وتاريخية، وقد كشف هذا الاتجاه عن تأثير متبادل بين الظواهر الاقتصادية والقيمية وأهم ما تزخر به هذه النظرية حين أوضحت أن البشر هم صناع تاريخهم.

[1]– يوسف تيبس وآخرون، الماركسية الغربية وما بعدها التأسيس والانعطاف والاستعادة، مرجع سابق، ص 31.

ب-التنمية البشرية في الفكر الرأسمالي:

عاشت الأمة الغربية منذ نصف الأول للقرن العشرين على تطلعات نحو مستقبل أفضل، فشكلت الرأسمالية القائمة على مقولة السوق والمجتمع الصناعي المتطور، الذي يدعي حماية الحرية والديمقراطية لتحقيق التنمية، وترويجا لمرحلة جديدة من مراحل الرأسمالية العالمية المنتصرة. لكن مع فرق أساسي، بمعنى أن كل مرحلة جديدة تحمل معها المزيد من الثراء والسيطرة لطرف معين، والفقر والحصار لطرف آخر .فلا شك أن الملكية قد سببت العديد من المشكلات في كلا النظامين: الرأسمالي والاشتراكي، إذ يعتمد النظام الرأسمالي على تحويل كل الملكيات في الدولة إلى ملكيات خاصة بِغض النظر عن ماهية هذه الملكيات، ومدى أهميتها للدولة، وهو ما تسبب في تقليص الثروة في يد قلة من الأفراد وعودة نظام الإقطاع مرة أخرى، ذلك ليصبح النظام الرأسمالي مشكلا في صورتين فقط، صورة تمثل طبقة أصحاب الثروة الذين يمثلون حوالي 5% من إجمالي عدد السكان، في الوقت الذي يملكون فيه 95% من ثروة العالم، والصورة الثانية تتمثل في الطبقة الفقيرة التي تشكل 95% من سكان العالم ولا تمتلك سوى 5% من الثروة، ما يقود العالم إلى النظام الإقطاعي مرة أخرى، وهو ما عانت منه أوروبا قديما.

ما يبرر الحديث عن حقوق الإنسان بصيغة المفرد دون الحديث عن حقوق الشعوب التي مازالت تعاني استعمارا اقتصاديا تفرضه الشركات متعددة الجنسيات، منها النفطية في ظل الأزمة من جراء سياسة الحصار في الكثير من بقاع العالم. من وجهة أخرى، رغم أنه يسوق لليبرالية بوصفها نظام المجتمعي الأخير، فإن النقد الذي تتعرض له يكفي للتشكيك في قدرتها على الاستمرار، فالنيوليبيرالية التي انبعثت في نهاية القرن العشرين[1]بحلتها الجديدة، كانت – أساسا- تعبيرا طبقيا بطابع الفكر الاقتصاد السياسي للهيمنة على اقتصاديات العالم ،لا تنظر إلى التنمية الإنسانية بقدر ما تنظر إلى تنمية الاقتصاد السوق، فمع التحولات الجيوسياسية الراهنة وما رافقها من تطور وسائل الاتصال المتعددة؛ أسست للعولمة التي سمحت بفك كل

[1]– طيب بوعزة، نقد الليبرالية، تنوير للنشر والإعلام، ط1، القاهرة، 2013، ص123.

الحواجز أمام تبادل السلع المادية والثقافية، بما جعل من العالم كله سوقا مفتوحا، لتكشف عن ماهية الخطاب النيوليبيرالي في تحديده لماهية السوق، التي تؤكد وجوب حرية تبادل السلع ورؤوس الأموال. وبالنظر إلى ما هو راهن، فإن هذا المشروع لا يهدف إلى تحرير الإنسان بل إلى تحرير رأس المال الاقتصادي. فمع هذا المذهب الذي جعل من التنمية أسطورة لم تعد الحرية تقدم بوصفها استحقاقا طبيعيا للإنسان، بل أضحت مقتصرة على الإنسان المالك لرأس المال فقط،[1]. إضافة إلى تحرير الفرد من أي ضابط قيمي، إلا سعي وراء ضابط المنفعة المحدد كميا، لهذا نجدها تتناقض مع القيم الأخلاقية عموما، فالليبرالية بوجهها الكلاسيكي أو بطرحها الجديد، سواء كفلسفة الاقتصادية أو كنسق اجتماعي، تقف مهزوزة أمام سؤال الأخلاق. إنها عاجزة عن تكون مشروعا فلسفيا يسعى إلى بلورة فكر تنموي إنساني، بل تسعى إلى تحرير القوة الاقتصادية، بذلك عملت على قلب الأصل الهوياتي للإنسان، من إنسان عاقل إلى إنسان اقتصادي[2]. الأمر الذي جعل منها ليبرالية متوحشة واستبدادية.

ج- صراع الأيديولوجيتين و الإخفاق المحتوم:

ظهرت الاشتراكية الماركسية حين أعلنت عن تبني عالم قائم على المساواة والأمن؛ طريقا لتحقيق التنمية، وأن الأزمة هي أزمة طبقة رأسمالية وليست أزمة عقل، على أنه يمكن تخطي الأزمة من خلال تبني منهج البروليتاريا التي تقود التغيير الاجتماعي، وتضمن الحرية والعدالة والمساواة. لكن ما حدث أن التجربة الاشتراكية كانت دليلا قاطعا على مأزق الحداثة، حيث انهارت تجربتها في الواقع وفي الأذهان، فالنظام الاشتراكي-بحسب خبراء الاقتصاد-قد حد من حرية الأفراد في تسويق منتجاتهم، وكان يلعب دورا غير مباشر في إبعاد المنافسة التجارية والإنتاجية، وبذلك فشلت سياسته أمام النظام الرأسمالي الداعم للتنافس بين التجار في النظام السوقي والاقتصادي. وقد قدم هؤلاء الخبراء حجة عدم الاستقرار في أسعار السلع، وتقلبها الثابت، وقد تناولوا بذلك تأثير هذا الخلل على عمليات العرض والشراء والبيع، وما أدى به إلى انخفاض الربح، وكيف أدى بالنظام الاشتراكي إلى الوقوع في العديد من المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. منها -على الخصوص- صعوبة اتخاذ القرارات بشكل

[1]- الطيب بوعزة، نقد الليبرالية، مرجع سابق 24-125

[2]- المرجع نفسه، ص133-134

سريع، لما يتطلبه ذلك من موافقة بعض الجهات العليا والسلطات المركزية، وما يستلزمه النظام من الأعداد الهائلة من الموظفين من أجل تحقيق الهدف المتمثل في الوصول إلى النتائج والإحصاءات المختلفة والكبيرة، وفشل النظام بشكل مباشر في إحقاق العدالة على كافة المستويات، ولعل أهمها عدالة توزيع الثروات ووسائل المعيشة. كما يعد غياب نظام الحوافز والكفاءات للعمال عاملا للتثبيط، مما ساهم في فتور همة العاملين، والحد من قدراتهم على العمل والإنتاج مما عجل ارتداد المجتمعات إلى الرأسمالية وآليات السوق كرها وطوعا، رغم التضحيات الجسيمة، مما يدل على صعوبة تجسيد قيم الحرية والعدالة والمساواة، ليس فقط على الصعيد الكوني، وإنما أيضا في الحدود القطرية الضيقة. لكن ما حدث أن كلتا الإيديولوجيتين المطروحتين كنموذجين للتنمية الإنسانية الغربية أفرزتا استبدادا جديدا ورأسمالية جديدة، في ظل سلطة الدولة الحديثة التي تميزت بنزعة عنصرية مفرطة، ولعل هذا ما جعل "ميشال فوكو" أحد أبرز من نقد هذه السلطة، بغض النظر عن كونها رأسمالية أو اشتراكية، بل باعتبارهما نموذجين شموليين لم يخلوَا من مظاهر العنصرية، ومن ثمة من المظاهر اللاإنسانية لكونهما يطبقان سلطة حيوية تعد مصدرا للعنصرية. فالاشتراكية بكل أشكالها قد انتهجت نفس المسار الذي انتهجته الحداثة، بالرغم من خطابها النقدي للرأسمالية وتبنيها لخطاب المساواة ومحاربة الاغتراب، والدفاع عن الطبقات المحرومة، إلا أنها لم تحقق أهدافها، لأنها استبعدت مسألة السلطة وآلياتها التي تقود برامجها، ولم تطرحها على بساط البحث والسجال النقدي، وركزت اهتمامها حول مشاكل الملكية الفردية والملكية الجماعية وعلى الصراع الطبقي والنزاعات الاقتصادية البحتة.

بهذه السياسة العنصرية مارس النظامان القمع والقتل والتهميش والإقصاء، بدعوى تحقيق التنمية ورفع البؤس وتحسين الحياة، والحفاظ عليها تحت غطاء عقلانية الحداثة، التي يقول عنها إدغار موران أنها "تنتج مسوخا كما تنتج عجائب"[1].

[1]– إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص 160

كل ذلك سقط في أزمة هائلة، واليوم لا أحد يستطيع أن يتكهن بالمستقبل بعد الكشف عن التطور الذي نعيشه وهو المبني على تناقض مزدوج، يولد الشعور والوعي بفقدان المستقبل[1] ، خاصة في ظل الرأسمالية المتوحشة التي نعاصرها، التي كانت سببا في عودة الأمم إلى عنف إيديولوجي قومي وديني متطرف ينذر باستمرار الصراع الحضاري.

إننا–حقيقة- في وضع يولد أزمات حادة على كل المستويات، وقد يرمي بمصير الإنسانية إلى حافة الهاوية. فمع التوسع العالمي للاقتصاد النيوليبرالي، يرى إدغار موران بأن مسار العولمة الاقتصاديةِ، قد صار"كَونَنَة"(globalisation)- أي المرحلة الراهنة للعوْلمة- وهي ثمرةٌ لاقتران مستمر وارتدادي بين الازدهار الجنوني للرأسمالية تحت رعاية الليبرالية المحدثة؛ وبين ازدهار شبكة الاتصالات. نجد هذه الكوننة تسير وفق ثلاثة مسارات ثقافية: (عولمة، تنمية، تغريب)، تؤدي إلى إنتاج ثروات طائلة، وإلى الحد من أشكال الفقر القديمة، وخلق طبقة متوسطة جديدة، على الشاكلة الغربية في البلدان الناشئة، لكنها ساهمت أيضا في حالة البؤس التي تشهدها جميع بلدان الجنوب، كما زاد مسار العولمة هذا من أوجه التفاوت بين الأفراد والمجتمعات، ومن نسبة التدمير الثقافي المحلي، والحال أن الكرة الأرضية أحوج ما تكون إلى أنظمة اقتصادية وإيكولوجية أكثر قوة وفعالية[2]. يطرح إدغار موران تساؤله: "هل هناك حل آخر، حل خاص بنا نحن؟.أليس لدينا تراثنا وخيالنا ورصيدنا الفكري والتنظيمي لتطبيق نماذجنا المحلية الخاصة للتنمية بما يتفق وهويتنا وطموحاتنا وآمالنا؟"[3].

د- التنمية البشرية في الفكر النيو- ليبرالي وتجديد الفكر التنموي المعاصر:

إن أهم ما تقدمه الرؤية الليبرالية لتحقيق التنمية البشرية في حلتها الجديدة، يكمن في إيمانها بالمذهب الفرداني وبالحرية ويعتقد الليبراليون أن فلسفتهم تعبر عن هذه النزعة وتنسجم مع فطرة الإنسان وطبيعته[4]. ويقصد بالفر دانية حرية الفرد غير مشروطة واستقلاله واعتراف

---

[1]– عبد الدائم السلامي، إدغار موران السبيل لأجل مستقبل البشرية، القدس العربي،14 أفريل 2019 متاح على الموقع الإلكتروني : 17h30m/https://www.alquds.co.uk

[2]- مدني قصري، إدغار موران: العالم الغربي لم يلتزم بتوفير السعادة للجميع، ورغد العيش المادي أنتج حالة الضنك الجواني،21 آذار / مارس 2008. 20سا:00 د متاح على الموقع الإلكتروني §32455/articles/addustour.com//:s https23.00h14m 06/05/2019

[3]- تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية، التنوع البشري الخلاق، المركز القومي للترجمة،ط1،إشراف وتقديم جابر عصفور، مراجعة لمعي المطيعي، العدد06/27 القاهرة،2009، ص79 ،

[4] - الشريف طوطاو وآخرون، الفلسفة الأخلاقية، مرجع سابق، ص 431.

بالديمقراطية وبحقوق الإنسان سياسيا وعلى مبدأ المنفعة البراغماتي، والإيمان بالملكية الفردية وحرية المنافسة اقتصاديا، ويرى دعاة الفكر الليبرالي أن اعتناق الرأسمالية يعني اعتناق حرية التعبير والتكيف معه واحترام حرية الآخرين والابتكار والاختراع، وباتت في اللحظة المعاصرة تقدم الأنموذج الوحيد لتسيير الشأن السياسي والمجتمعي وهي ذروة ما يمكن للبشرية أن تبدعه في مجال الأفكار السياسية والنظم المجتمعية وهذا ما ترجمه كتاب "نهاية التاريخ" للكاتب فرانسيس فوكوياماFukuyama. F(1952-).[1]

تقول المؤرخة **جويس أبلباي**Joyce Appleby(1929-2016) في دراسة بعنوان" الثورة القاسية، تاريخ الرأسمالية":"لما كانت الرأسمالية نظاما ثقافيا وليست نظاما اقتصاديا وحسب، يستحيل تفسيرها من خلال العوامل المادية وحدها"[2]. ويعرفها عالم الاقتصاد **كلاوس شواب**Klaus Chwab(1938-) الليبيرالية، بأنها نظام من القيم الثقافية والروحية والأخلاقية، وليست حلبة تصارع بين المصالح دون أدنى اعتبار للأخلاق كما يتصورها من يسعون إلى تقويضها[3]. ويرى هؤلاء أنها تقوم على تفاعل يخضع إلى النظام وإلى الأعراف والقواعد الأخلاقية، وجوهرها مبني على رفض كل سلوكيات السلب والنهب التي انتهجت من قبل النظم السياسية والاقتصادية الأخرى.

لا شك أننا شاهدنا أن الدولة الرأسمالية حققت تحولات مسبوقة وضخمة لا نظير لها خاصة في مرحلتها الصناعية في حقائق الحياة المادية، لذلك فإن الثورة الصناعية يعتبرها الكثير الوجه المشرق والمشرف والموافق لوصفها، فقد تغيرت الحياة البشرية بشكل جذري بالمقارنة مع حقائق الواقعية التي كانت سائدة قبلها ولعل ما تدل عليه مؤشرات معدل الوفيات في انخفاضه ومعدل توقع الحياة بصعوده حيث أصبح الإنسان ينتصر على الأوبئة ويعد ذلك طفرة أحدثتها بفضل الكثير من مقومات الاقتصادية، الأمر الذي جعل المفكر فرانسيس فوكوياما يعد

[1] - الطيب بوعزة، نقد الليبرالية، تنوير للنشر والإعلام، ط1، القاهرة، 2013، ص 09-10.
[2]- المرجع نفسه، ص 07.
[3]- المرجع نفسه، ص 07.

الرأسمالية نظام الأصلح للدولة الأكثر تطورا ومطلب كل البشرية، من خلال كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير"[1].

استطاعت الرأسمالية أن تحول العلم إلى عنصر فاعل في عملية الإنتاج، وفتحت صفحة جديدة في قضايا التنمية الاقتصادية وأصبح العالم يعيش عصر الفتوحات الكبرى خاصة في ميدان تكنولوجيا المعلومات وعلوم الطبية عن طريق الهندسة الوراثية وتكنولوجيا الأسلحة النووية، إضافة إلى غزو الفضاء.

ه- الليبرالية الجديدة وإعادة ترتيب الوضع الإنساني:

الليبرالية الجديدة في نظرنا تمثل نظرية في الممارسات السياسية والاقتصادية تقر بأن الطريقة الأمثل لتحقيق التنمية وتحسين الوضع الإنساني تكمن في إطلاق الحريات والمهارات التجارية الإبداعية للفرد[2]، ويمارس هذا الأسلوب في إطار الحماية تتكفل بها الدولة لصون هذه الممارسة وضمان سلامتها، من خلال إقامة الوظائف العسكرية والأمنية والقضائية، لتمكن للحرية الفردية من تحقق ذاتها الملائمة للسوق الحرة، ويتعين عليها ذلك ولو باستخدام القوة، إذا اقتضت الحاجة في حال تعرض هذه الحرية للانتهاك أو التضييق، حتى تضمن للسوق حريته، كما تعمل على حماية وإيجاد أسواق لمجالات التعليم والعناية الصحية والضمان الاجتماعي والتلوث البيئي، ولا يمكن للدولة أن تدخل في ميدان الاقتصاد على وجه الخصوص لأنها حسب النظرية الليبرالية الجديدة لا تستطيع الحصول على قدر كافي من المعلومات تخولها القدرة على تأويل مؤشرات السوق أو التنبؤ بها.[3] ولقد خول هذا الأسلوب في ممارسة الهيمنة على الخطاب التنموي المعاصر وتغلغلت تأثيراتها في طرائق التفكير إلى حد اندمجت فيه مع الرأي السديد والرؤية البديهية لفهم العالم وتأويله والعيش فيه[4] ويرى أتباع الليبرالية أن مؤسسو هذا الفكر الجديد اتخذوا الكرامة الإنسانية والحرية الفردية مثالين سياسيين رئيسين يتمحور حولهما الجهاز المفهوماتي واعتبارهما القيمتين المركزيتين للحضارة.

---

[1]- الطيب بوعزة، نقد الليبرالية، مرجع سابق، ص 251.

[2]- ديفد هارفي، الليبرالية الجديدة (موجز تاريخي)، ترجمة .مجاب الإمام، مكتبة العبيكان.، ط1، الرياض، 2008، ص13.

[3]- المرجع نفسه، ص13.

[4] - المرجع نفسه، ص 13.

يقول **مايكل ساندال**M. J.Sandel:"الليبرالية تحتل فيها مفاهيم العدالة والإنصاف والحريات الفردية دورا مركزيا[1] ويرى أن الليبرالية لا تفرض على الأفراد أي طريقة معينة للحياة، بل تفتح لهم حرية الاختيار القيم التي يعتقدون بها، فالحرية الدينية اختيار حر يسعى إلى تحقيقه كل فرد، لأنه يمثل الفضائل التي يراد منها تحقيق طرق العيش يستحق الاستحسان في المجتمع ولا يكون المعتقد الديني ملزم كرها.

أما بالنسبة لحرية التعبير فيرى نفس الباحث أنه بشقيه الحر والحاقد، بمعنى أن الليبراليين لا يمنعون تعبير الحاقد من حيث هو كذلك، لكنهم يعارضون فرض قيود عليه، إلا ما نجم عنه أذى مادي، فحتى دعاة التمييز العنصري تتيح لهم الليبرالية حق التظاهر وتعبير عن آرائهم ما دامت الذات مستقلة[2]. ولعل المتمعن في النتائج التي حققتها الرأسمالية بوصفها أكبر قوة في تاريخ الأنظمة الاقتصادية الاجتماعية التي شهدتها البشرية والمبتكرة لأضخم قوة إنتاجية في التاريخ البشري، جعلت منها النظام الوحيد الذي استطاع أن يحدث التغيير والتقدم لهذه المجتمعات خاصة مع قدرتها على التصحيح الذاتي لنظامها عند كل أزمة بوصفها ظاهرة دينامية، حيث استطاعت أن تتجاوز العديد من العوائق وتتغلب على الكثير من تناقضاتها وأزماتها.

ويعد فوكوياما كأحد أبرز المروجين للفكر الرأسمالي الغربي، من خلال خطابه الإيديولوجي على الصعيدين الأوروبي والأمريكي، ففي أبرز أطروحاته يرى أن الديمقراطية الليبرالية سيتجه لها العالم كافة، وأن العولمة المنبثقة عنها تجلي المعلن لانتصار الرأسمالية التاريخي الحاسم على الاشتراكية ليضيف أن الليبرالية المتجلية سياسيا واقتصاديا بفضل الديمقراطية واقتصاد السوق لن تموت أو تنتهي إلا بانتهاء الإنسان[3].وعلى الرغم من أن الديمقراطيات المعاصرة تواجه سيلا من المشكلات الاجتماعية كالمخدرات والتشرد، والجريمة المنظمة، وتدمير البيئة، والنزعة الاستهلاكية للمجتمع. يثق في قدرة المبادئ الليبيرالية لتصدي لها

[1]- مايكل جورج ساندل، الليبرالية وحدود العدالة، ترجمة محمد هناد، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2009، ص 12.

[2] - صباح الحاج مفتن وآخرون، معجم الفلاسفة الأمريكان، من البراغماتيين إلى ما بعد الحداثيين، تقديم محمد الشيخ، إشراف وتحرير علي عبود المحمداوي، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، منشورات الاختلاف، ط1، 2015، الجزائر، ص 786.

[3] - المرجع نفسه، ص 794.

بالعلاج، ليخلص إلى فكرته الرئيسية المشهورة، مفادها أن الديمقراطية الليبيرالية هي نهاية التاريخ الذي يتحرك بالفعل الرغبة والاعتراف الانساني، لتحقيق ذواتهم وليس بفعل الصراع والعنف، وإذا برهن التاريخ أن ازدهار الديمقراطيات ارتبط دائما بسقوط الأنظمة الديكتاتورية فنهاية التاريخ في ظل الديمقراطية الليبيرالية التي نعيشها حسبه تدل بلا شك على أنها أفضل شكل يقود الحكومات وأفضل نسق الاجتماعي يساعد على ترسيخ الحرية. يعتقد فوكوياما أن العالم يتجه صوب الإصلاحات تنموية وفقا للاتجاه الليبرالي المتجدد، وستندمج كليا في قوانين اقتصاد السوق، كنهج وحيد للتنمية الانسانية، ويستشرف مع نهاية القرن العشرين باقتناع كل الأمم بالنظام الليبرالي ذات طابع شمولي، الذي يكفل الحرية الفردية والسيادة الشعبية، كأفضل نسق سياسي واجتماعي يستدعي الاعتراف بهذا التفوق من قبل الأفراد والمجتمعات المتأخرة على اللحاق بالركب الليبرالي، ليس هذا فحسب ولكنه يمثل الكمال للكينونة الفردية والجماعية، ويستدل فوكوياما مما تحقق من الاكتفاء الذاتي والعيش في الرغد وسعادة[1].

لكن من وجهة نظرنا نعتقد كما يعتقد الكثير من ضحيا الرأسمالية الليبيرالية أن نهاية التاريخ ما هي إلا غطاء إيديولوجي يعمل على ترويج النظام العالمي الجديد لترسيخ وتمجيد العولمة أو الأمركة أو النهج الأحادي، لمضاعفة الهيمنة الاقتصادية وإعادة تجديد الاستعمار. المعاصر، للتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بصناعة القرار العالمي واكتفاء بتطبيق نموذجها والكف عن البحث عن إيديولوجيات أخرى بعد أن أغلقت فكرة نهاية التاريخ كل أبواب أمام الاجتهادات الإيديولوجية أو محذرة أي اجتهاد سياسي في أفق الذي من شأنه أن يعيد للإنسانية العيش على وقع صراعات بين القوى العالمية. وعلى الرغم من أن العديد من الاستشارات الاقتصادية لهذا النظام تدعو للاعتماد عليه لتحقيق التنمية، خاصة في ظل تأكيد تضارب الدراسات والأفكار التي أجريت حول مدى صلاحية هذا النظام وبالرغم من أن النمو الاقتصادي في ظل النظام الرأسمالي فاق كثيرا النمو الذي يتحقق في ظل النظم الاقتصادية

[1]- هاني رمضان طالب، مفهوم الحكومة العالمية في النظرية الليبيرالية للعلاقات الدولية، مركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية والاقتصادية، برلين، سنة 2020، ص48-49

الأخرى، خاصة منها النظام الاشتراكي، إلا أنه يحمل من السلبيات ما يتنافى مع القيم الانسانية للتنمية ومن أهمها:

- ظهور الطبقية واستغلال العمال بسبب مبدأ الأسعار الحرة التي يعتمد عليه النظام.
- تركز الثروة في أيدي قليلة من المجتمع.
- الاهتمام بالماديات على حساب أشياء أخرى.
- حدوث أزمات اقتصادية حادة وتزايد حجم البطالة.
- تقييد الحكومات والسياسات أمام الكيانات الاقتصادية الرأسمالية الضخمة والتأثير على القرار السياسي والتحكم فيه، مما يؤدى إلى انحياز السياسي لطبقة بعينها، وهو ما ينتج عنه ضعف الخدمات العامة، وخصوصا في الدول النامية التي تتبع هذا النظام.

تطبق الدولة الرأسمالية سياسة الهيمنة والسيطرة على الأمم الأخرى، خاصة على دول الجنوب والدول العربية من خلال استنزاف ثرواتها طيلة المدة التي ضلت تحت الهيمنة الاستعمارية إلى غاية تحررها حيث تم استبدال طريقة الاستعمار بهيمنة الديون والعلاقات التجارية الصناديق السيادية بحجة الاستثمار، تفرض من خلالها إرادتها ومصالحها على أسواق هذه الدول، وقد تضطر إلى شن حروب يكون ضحاياها الملايين من البشر مثل ما عاشه الشعب العراقي والشعب السوري والليبي، لتثبت الرأسمالية أنها غير إنسانية ومتوحشة وذات نزعة استعمارية جديدة وهدفها الربح المالي والسيطرة.

في هذا المجال، تفرز الليبيرالية أفكارا سياسية تحاول بها، الجمع بين المحافظة على الحريات الفردية والتحكم في شؤونهم السياسية، ومنع تدخل الدولة حتى على مستوى إعانة الفقراء والمحتاجين، إضافة إلى المساهمة في تدمير البيئة العالمية[1]، وهذا ما يتنافى مع كل أبعاد التنمية البشرية..

[1]– هاني رمضان طالب، مفهوم الحكومة العالمية في النظرية الليبيرالية للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص50

المبحث الثاني: إشكالية التنمية في ضوء الفكر المركب: من أزمة المفهوم إلى إخفاق المشروع.

1- التنمية في عصر العولمة في ميزان إدغار موران:

تأتي أهمية مفهوم العولمة بالنسبة إلى إدغار موران من جملة اهتمامه بالقضايا الإنسانية، فالعولمة كظاهرة بشرية عرفت انتشارا واسعا في أواخر القرن العشرين وفي بداية القرن الحادي والعشرين، إلا أن بوادرها بالنسبة لموران ظهرت منذ نهاية القرن الخامس عشر، وظهرت جليا- حسب المؤرخين الذين درس عنهم موران-بدءا من القرن السادس عشر، مع اكتشاف الأمريكيتين والرحلات البحرية حول العالم. هذه الظاهرة تسارعت في نظره مع ظهور الاستعمار والعبودية الذين يشكلان طابع التاريخ الإنساني، وقد ثبت حسبه تتطور أغلب الحضارات بواسطة السيطرة والاستعباد والقمع، أو تطورت إلى حد ما كظاهرة تساهم في توحيد العالم، لكنها في الواقع تروج لتوحيد معايير العالم الغربي. فالعولمة ليست واحدة بل متعددة، فالثانية هي تلك التي بدأت مع "مونتين" و"بارتولوميد دي لاس كاساس"، استمرت مع الإنسية الأوروبية، ثم العولمة البديلة المعاصرة التي شكلت العالم في إطار جديد جعلته أكثر تجانسا، وفي الوقت ذاته يبدو العالم يتمزق ويعيش حالة من التعاسة والقلق، يصفها إدغار موران بالكوكبة والنتاج النهائي لمسار الإنسانية[1].

تحمل سيرورة العولمة في تصور موران ثلاث أبعاد لا يمكن الفصل بينها هي العولمة والتنمية و"الغربنة" OCCIDENTALISATION، وما يبدو إيجابيا فيها هو وصول بعض مظاهر التقدم التقني والطبي والاقتصادي إلى جميع بلدان العالم الثالث وأن كان غير متكافئ خاصة في تطور النزعة الفردية التي اكتسبت الاستقلالية والمسؤولية الذاتيتين[2].

وهذه النزعة الفردية بالذات يمكن أن تفضي إلى الأنانية التي تحررت من قيودها وأدت إلى الغربنة حيث قوضت أشكال التضامن التقليدي لم يقتصر على الأُسر الموسعة، وإنما على كل شبكات التعاون التي تمثل أشكال التضامن العفوي في مواجهة الظروف المستعجلة[3].

---

[1]– إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية ؟، مصدر سابق، ص 43-44

[2]- ادغار موران، التفكير الشامل الإنسان وكونه، ترجمة المنتصر الحملي، (ب-ط) (ب-ن)،2016، ص30

[3]- المصدر نفسه، ص30

يشير موران إلى أن الدينامية التي عرفها موضوع التنمية عبر التاريخ الإنساني، بينت أنها في خدمة الإيديولوجية الرأسمالية الإمبريالية، التي تدعو إلى النمو الثروة كهدف أساسي، لكنها أدت في المقابل إلى التفاوت الطبقي وظهور غير معهود لحالات الفقر، مما أسفر عن انتشار الفساد والنزعة الفردية وتكاثر الأنانية، وتكاثر النزاعات، فضلا عن ظهور أزمة على مستوى الحضارات التقليدية التي أضحت تتفكك، وتلاشت صور التضامن العالمي السلمي لتحل محله صور العنف والتهديد، مما يبرر الخوف والفشل من المستقبل. في ظل هذا الحراك الغربي المتغطرس؛ وعلى النقيض من تفاؤل فوكوياما بشأن نهاية التاريخ والانتصار الأخير للديمقراطية الليبيرالية؛ فالإنسانية تمر بفترة فراغ معنوي عميق، خاصة أن ظاهرة العولمة يحركها العلم والتكنولوجيا والاقتصاد، ولا يمكن الحد من سرعتهم أو توقيفهم.[1]

من وجهة أخرى، اعتبر موران أنه لا يمكن إطلاق حكم مطلق على العولمة، لأن لها وجهين، أحدهما إيجابي ولو بقدر ضعيف، يتمثل - مثلا- في توسع رقعة الكثير من الحريات الشخصية، ووجه آخر سلبي، يتمثل –خصوصا- في انتشار الفوارق الاجتماعية بين الفقراء والأغنياء، معتبرا أن العولمة حولت الفقراء إلى بؤساء .فدول الشمال استطاعت حماية مواطنيها من الأوجه السلبية للعولمة، خصوصا في الجانب الاجتماعي، بينما كان مواطنو دول الجنوب- أو دول البلدان الفقيرة عموما- أكثر تضررا من الجوانب السلبية للعولمة.

وبالإضافة إلى تأثيرات العولمة الاقتصادية، أكد موران أهمية التأثير الثقافي للعولمة، خصوصا على الدول الشرقية التي ترى نفسها تواجه خطر غزو الثقافة الغربية، التي تقف وراءها دول وحكومات قوية تمتلك أسلحة المواجهة، فيختار البعض الانغلاق على نفسه، خوفا من فقدان هويته وعقيدته الدينية، وخصوصيته الثقافية.

- يرى ادغار موران أنه من المفيد استعمال كلمتي عولمة وكوكبة معا على الرغم من أن كلمة GLOBALISATION هي المستخدمة بشكل أساسي في العالم الانجلوسكسوني، فالعولمة تعني اتساع عملية والاعتماد المتبادل وتضخمها، وأن هذا التضخم يخلق وقعا يتسم بالعالمية، فهناك إذا تفاعلات انعكاسية دائمة بين الدول التي تشمل العولمة والواقع العالمي، إذ يقوم العالمي بتعديل المحلي، لكن حدثا محليا طارئا مثل الهجوم على برجي التجارة العالمي بولايات المتحدة الأمريكية قد تكون له تداعيات على الواقع العالمي، ولا يؤثر هذا الواقع العالمي فقط قي الإقليم والاقتصاد وسوسيولوجيا الأمم بل كذلك في كل شخص منا على وجه التحديد بتعبير آخر إن العالم بصفته تلك موجود بداخلي في كل لحظة من لحظات وجودي لمزيد من الاطلاع ينظر كتاب ادغار موران التفكير الشامل الإنسان وكونه ص :29

[1]- جيلالي بوبكر، العقيد وفلسفة النهايات، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص16

نظرة سوداوية يحملها مفكرنا على العولمة، عندما يصفها بأحد أوجاع الحضارة الغربية، التي ضاعفت من معاناة الإنسان، بعدما أصبح منطق الآلة الصناعية يسيطر على جميع المعاملات، مما يوحي بسيطرة منطق الإخضاع على الظواهر الإنسانية المغرقة في مشكلات المتعددة، من قبيل التخلف والجوع والمرض والمعاناة، بالإضافة إلى عصبها الممتثل في الاقتصاد كمحرك للعالم تنعدم فيه كل الضوابط الأخلاقية للمنافسة، وكذا سيادة منطق الاستهلاك، الذي يقوم على أساس الربح كمعيار وحيد، مما خلف توابع الفساد والرشوة. فالنظام الاقتصادي العالمي الذي يسير وفق أطر العولمة، ومنذ التسعينات القرن الماضي، يعمل على إخضاع مجموع الأنظمة الاجتماعية والثقافية في العالم إلى نموذج اقتصادي موحد أساسه السيطرة المالية، والسيطرة على ثروات الشعوب المستضعفة، وقد تمكن من خلق بؤر من الغنى الفاحش في العالم، كما ضاعف في مناطق أخرى من جيوب الفقر، وأحيانا يتجاور الغنى والفقر في المناطق نفسها، لذا يشير إدغار موران إلى أن العولمة محرك مدعوم بالعلوم والتكنولوجيا والاقتصاد. تكشف لنا هذه النظرة أن العولمة هي ترابط وتشابك فاقد التضامن. فمما لا شك فيه أن مسار العولمة قد نتج عنه توحيد تقني- اقتصادي شمِل كوكب الأرض. لكن هذه العولمة لم تكسب رهان التفاهم بين الشعوب، فمنذ أن تجلت كواقع في تسعينيات القرن الماضي، ظهرت الأزمات المالية واندلعت الحروب، وقد أفرَزت المخاطر المحدقة بالأرض -ونقصد بذلك المخاطر البيئية-، والأسلحة النووية والاقتصاد غير المنظم؛ مصيرا مشتركا بين البشر، غير أن البشر لم يعوا هذه المخاطر التي تدفع "سفينة الفضاء الأرض" إلى مصير الهلاك المحتوم. يختم موران في جميع تدخلاته بأن جميع الحضارات تعيش في أزمة فالحضارة التقليدية ممزقة بين التراث والحداثة أي بين العودة إلى الأصالة أو المعاصرة، أي بين الينابيع والغربنة في وقت تتراجع فيه مظاهر التقدمية أن أزمة الحضارة، أزمة تاريخية عميقة[1].

وعليه فإن مشكلات الإنسانية الأخرى من جوع ومرض ومعاناة وأوجاع ؛باتت رهينة التسابق صوب الهاوية، وما دامت المركبة الأرض -بحسب موران- بدون قائد؛ فإن ركابها يتقاتلون،

[1]- ادغار موران، التفكير الشامل الإنسان وكونه، مصدر سابق، ص33

ويتناحرون ولا أحد يعرف إلى أين يمضي العالم، وعلى ماذا نحن مقبلون، لذا يبدو الغموض سيد الموقف، والهاوية أكثر اقترابا.

من المعلوم أن العولمة التي أضفت سمة حضارية وثقافية على الكوكب، تزيد في الوقت ذاته من تقسيم هذا الكوكب وتجزئته، بفعل السيطرة والسيادة المطلقة للدول العظمى، في مقدمتها أمريكا والدول الغربية الرأسمالية، التي تمنع ظهور مجتمع عالمي[1]، وترفض إنشاء اتحاد كوكبي يستجيب للاحتياجات الحيوية للقارات. فالعولمة وضعت البنية التحتية لمجتمع عالمي تعجز عن بنائه، كما خلقت العولمة عدد من الأزمات تسير في اتساع. ورغم التطورات التي حصلت في كل الاتجاهات؛ فإن هناك الكثير من التراجع[2]، يتبدى في صورة كأنه ارتداد إلى الهمجية، التي فتحت بابا لانتشار الحروب العرقية والدينية، وانتشار قانون الانتقام كبديل عن قانون العدالة، حيث اتحدت الهمجية العنيفة الموروثة مع همجية الثقافة والدين والهمجية التقنية الخاصة بحضارتنا، تلك الهمجية التجريدية القائمة على الحساب، والتي تجهل إنسانية الإنسان، تجهل حياته ومشاعره وميوله وصدق معاناته[3].

يتساءل إدغار موران في كثير من الأحيان: هل حملت العولمة الاقتصادية من الرخاء والازدهار أكثر مما حملت من البؤس؟ أو هل يتساوى البؤس والازدهار داخل العولمة؟[4].

يؤمن موران أن هذه الحقبة من العولمة تحمل أخطارا جسيمة فعلا، فالمعروف أن الحضارة والهمجية مفهومان متجاوران بالنسبة له، لكنهما دوما في تصارع، وما نشهده يمثل عودة الصراعات قديمة، منها العرقية، ومنها القومية والدينية في أغلب البلدان العالم، وتدفعنا بعض الانفلاتات إلى الاعتقاد فعلا بأن حربا بين الأديان أو بين الثقافات على وشك الوقوع، كل هذا يؤكد مرة أخرى أن للعولمة سمات متناقضة ومتباعدة. أما الوجه الثاني للعولمة؛ فنحن نشهد في نفس الوقت كوننة تكنو- اقتصادية ومقاومات.

---

[1]- فروجة سعيداني، أزمة أساطير الحداثة وما بعد الحداثة، قراءة في كتاب" هل نسير إلى الهاوية؟" لإدغار موران متاح 02ابريل 2016،على الموقع الإلكتروني التالي

[2]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية مرجع سابق، ص 45

[3]- المصدر نفسه، ص45

[4]- المصدر نفسه، ص162

يلاحظ موران أنه خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، وفي ظل هذه العولمة الجديدة؛ أن سفينة فضائية (التسمية التي يطلقها على كوكب الأرض) كأنها سفينة شراعية تبحر فوقها الإنسانية، تدفعها أربعة محركات: العلوم والتقنية والاقتصاد والربح، غير خاضعة للرقابة. فالعلم المرافق لهذه العولمة قد طور قدرات للتحطيم غير مسبوقة، بعدما تنازل عن الرقابة والتطور التكنو- اقتصادي الراهن، الذي يتسبب في تخريب المحيط الحيوي ويتسبب بدوره في تدهور الحضارة الإنسانية. وبتعبير آخر، تتجه هذه السفينة الفضائية نحو كوارث دون أن يقدر أي كان على السيطرة عليها[1].

كل هذا يبين التناقضات والتعقيدات التي خلفتها العولمة، والتي تجعل موران يطرح أسئلة المندهش والمستنكر:" ألن تستطيع أوروبا أن تنتج مضادات جديدة من نتاج ثقافتها، انطلاقا من سياسة مبنية على الحوار، والتعايش، والتضامن، وسياسة حضارية تقوم بإعلاء كيفيات الحياة، وتوقيف السباق نحو الهيمنة؟ ألن يكون بمقدورها أن تنهل من جديد من الإنسية الكونية التي نحتتها في الماضي؟ ألن تستطيع أن تعيد إبداع إنسانية الإنسان؟[2].

2-الفكر الاختزالي وأزمة مفهوم التنمية:

إن مفاهيم من قبيل الحداثة والتنمية مفاهيم غامضة ومعقدة - كما سبق وذكرنا-، فلا يوجد حتى الآن تعاريف محددة ومتفق عليها، هذا الغموض وليد الفهم المتباين للباحثين تبعا للموروث الفكري ومرجعياتهم المختلفة، والناشئ عن اختلاف آفاق الرؤية التي تتسق وطبيعة الموضوع الذي تهتم به، أضحى مصدر خلاف وسوء الفهم إلى أقصى حد ممكن، يتحتم على الباحث أن يبين بوضوح، أولا وقبل كل شيء تصوره ومراده من هذه المصطلحات، لهذا يقدم موران توضيح المبادئ التصورية لتبين نقده، ثم رفضه للمفهوم وفقا لمنهجه الإبستيمي المعقد.

ـ يتناول إدغار موران دراسته لمفهوم التنمية انطلاقا من التعريف المقترح من طرف هيئة الأمم المتحدة في النصف الأول من القرن العشرين، حيث كشف عن التفاف الإيديولوجيات السياسية لاحتواء مفهوم التنمية والسيطرة عليه، باعتباره الحقل العلمي ومفهوم تجريبي خاضع

[1]- إدغار موران، الثقافة و الهمجية الأوروبيتان المضادات الثقافية الأوروبية، ترجمة منتصر الحملي، متاح على الموقع الإلكتروني450=+height 900=width blank-11934=p§ /http/www.alawan

[2]- المرجع نفسه..

للقياس بالمؤشرات الحسابية لنمو الإنتاج الصناعي ومستوى الدخل المعيشي وتقدم الفرد والمجتمع،مما جعل فكرة التنمية البشرية والتنمية الاجتماعية فكرتين يشوبهما الغموض، والأدهى من ذلك أن يقول أننا نسينا أن التنمية كذلك تعني التنمية الذاتية[1]. إلا أن المماثلة البيولوجية التي يستدل بها إدغار موران بين تطور الكائن الحي ومفهوم التنمية، تبين أنه يصنف ضمن أكثر المفاهيم العصية عن الفهم، فقد تبين أنه ملتبس، وما كان يظهر واضحا قد تبين أنه ضبابي، وما كان منسجما قد تبين أنه متناقض، لذلك فالتنمية مفهوم مركب شامل، إلا أنها قد ظهرت مفهوما فارغ أو اختزاليا كميا، شكلت أسطورة نموذجية للمركزية الثقافية الغربية[2]. لأنها اعتمدت على فكرة التطور البديهي الخطي الذي يعتمد على الفكر الاختزالي الكلاسيكي، إلا أن هذه العقلانية كانت على درجة من الانغلاق والضيق بحيث كانت تقصي كل ما لا تستطيع إدماجه،"فعقلانية التنمية التكميمية تبسيطية هي عقلانية لا عقلانية، ويظهر من خلال اعتمادها الأساس على احتساب الناتج الداخلي الخام لجميع الأنشطة المولدة للتدفق المالي، باعتبارها أنشطة إيجابية، فالتنمية عمليا تجهل أن النمو التقني والاقتصادي نتج عنه تخلف أخلاقي ونفسي نتيجة التخصص المفرط والمعمم والتجزئة المفرطة بين المجالات[3]والفردانية المفرطة، وعقلانية الربح أدت إلى فقدان قيم التضامن التي كانت خاصية المجتمعات القديمة.

يعتقد إدغار موران أن السبب في بناء مفهوم التنمية على أسطورة إنسانية /عقلانية هي النظرة الأحادية البعد حول الإنسان، وعلى فكرة آلية/اقتصادية ذات نظرة ضيقة حول المجتمع، هذا البناء مرتبط أساسا بتصور مفهوم التنمية في المجال الأنثروبولوجي التقليدي، الذي يعتقد النظرة التي فشلت في اكتشاف الإنسان لحد الآن، وبالمجال السوسيولوجي الذي لم يدرك ماهية التنمية الاجتماعية وأبعادها الحقيقية، بمعنى أن هذا التصور الاختزالي للإنسان مرتبط أساسا بالتصور الإبستيمولوجي التبسيطي المشوه الآلي والخطي الموجه، الذي لازال الفكر السوسيولوجي و الأنثروبولوجي تحت سيطرته، كان الشكل الأكثر تطرفا، لأنه الشكل الأكثر

[1]- إدغار موران تنمية أزمة التنمية، ترجمة مصطفى ناجي متاح على الموقع الإلكترونيwww.elmawja.com الإحالة بتاريخ14/05/ 2018 15 سا50 د

[2]- المرجع نفسه، ص 75

[3]- إدغار موران، في سياسة الحضارة، ترجمة وتقديم الزواوي بغورة، مجلة يتفكرون، العدد 09، المغرب، 2016،ص80.

تسترا، حيث يتم التعميم على كل ما لا يمكن إدماجه ضمن النموذج المذهبي المجرد، وتتم التصفية المادية لكل ما لا يدخل ضمن النموذج النفعي[1].

وبالعودة إلى المماثلة البيولوجية التي يعتمد عليها إدغار موران في جل دراساته وبحوثه الفلسفية والاجتماعية، ليثبت ويبرهن على صدقية براديغم التعقيد كأساس للمعرفة، الذي يعتمد عليه كنموذج لمعرفة المعرفة، مقابل البراديغم التبسيطي الاختزالي الذي يرى أنه سيصل بالإنسانية حتما إلى الكارثة حين يصرح: "إنني على ثقة أننا نواصل السير على طريق ستؤدي إلى الكارثة، وتعيق العالم أن يهتدي إلى أشكال من التحول، غير تلك

المستنسخة من النماذج الغربية تؤدي إلى تدهور المحيط الحيوي الذي لا غنى عنه، فكوكب الأرض يسيره اليوم ثلاثة محركات: "العلم ، التكنولوجيا، الاقتصاد"، جميعها خرجت عن السيطرة والإرشاد[2].

يستخلص موران أن مصير البشرية تكتنفه الأخطار من كل الجوانب. يترجمه قوله: " نحن نرى فكرة التنمية - حتى التي يقال لها مستدامة - تجعل من حضارة مأزومة النموذج، وهي نفسها حضارة ينبغي إصلاحها[3].

أ- مصير التنمية والرؤية النقدية لإدغار موران:

يتأسس نقد التنمية عند موران انطلاقا من نقده للحضارة الغربية؛ التي عممت كنموذج للحضارة المعاصرة لا يرقى إليه شك، ومن خلال طرحه لنهج التعقيد؛ كشف عن اختلال متعدد الأبعاد أفرزته أزمة هذه الحضارة، والتي انعكست على المجتمعات الغربية عموما، من خلال التطبيق والممارسة الدوغمائية للمشروع التنموي بشقيه الرأسمالي والاشتراكي في مرحلة الحداثة[4]. ليكشف برؤى متجذرة - وفقا للراهن الذي عايشه- هشاشة الأسس الفكرية لمرجعيات هذين

---

[1]- إدغار موران تنمية أزمة التنمية، ترجمة مصطفى ناجي متاح على الموقع الإلكتروني: www.elmawja.com الإحالة بتاريخ14/05/ 2018 15 سا50 د

[2]- إدغار موران، أزمة المعرفة عندما يفتقر الغرب إلى فن العيش، ترجمة جاد مقدسي، مجلة الاستغراب، العدد، 2015، ص60.

[3] -Edgar Morin– Dépasser la nation de développement.

l'actualité Poitou -Charentes n° 63 , janvier 2004/ تاريخ الإحالة 20/05/15،2019سا30د

[4]– إدغار موران تنمية أزمة التنمية، ترجمة مصطفى ناجي متاح على الموقع الإلكترونيwww.elmawja.com الإحالة بتاريخ14/05/ 2018 15 سا50 د

النموذجين الذين طرحتهما عقلانية الحضارة الغربية.إن التنمية -مفهوما ومشروعا-باتت تنطوي على كل ما هو إشكالي وضار ومهلك للمجتمع الغربي،

فعلى الرغم من تقدم العلم والتكنولوجيا، يدرك موران أن كل يوم يمر يزيدنا إحساسا واقتناعا بأن العالم ماض في طريق التدهور المتزايد. فمثلا نجد أن الغلاف الحيوي الجوي يزداد تلوثا، لتتحول الكثير من الأماكن غير صالحة للسكن في العالم بسبب التدهور البيئي، وبشكل تدريجي، أصبحت بؤرا لكثير من الأمراض والأوبئة، ليذهب موران إلى نتيجة لا يرقى لها شك.

إن التنمية التي أفرزتها الحضارة الغربية خلفت أشكالا من محو للثقافات وتدميرها، وخلفت عبودية جديدة كان مصطلح التنمية في حد ذاته هو أول ضحاياها، كما أن هذا التقدم العلمي أضحى سببا لاندلاع مواجهات بين القوى المسيطرة على المستوى العالمي، والمواجهة في مثل هذه الحال تعني تدميرا محققا للكون كله.

لكن من وجهة نظر تحليلية مستخلصة من تجارب سابقة، فإن حدوث الأزمات بالنسبة لموران قد يكشف أو يتسبب في ولادة حقائق لميلاد حضاري بديل، يعبر فعلا عن الرقي والازدهار، بعدما كانت مختبئة في أعماق الوعي للأفراد أو المجتمعات، ففي الأزمة تظهر بشائر التطورات المستقبلية التي لم نتوقعها.

يقول في هذا الشأن: "إنني أتفاءل بتلك اللحظات التي يضطرب فيها النظام القائم، وذلك لإحساسي بالظلم الذي يفرضه المجتمع والذي يسبب الضرر لمعظم أفراده"[1]. ويستطرد قائلا: "إن الأزمات الكبرى هي التي أيقظتني وعبأت مشاعري، ابتداء من ثورة المجر وأحداث الجزائر، وحتى الاضطرابات الطلابية في فرنسا"[2].

يؤكد إدغار موران أن مفهوم التنمية دخل في أزمة خلال عقد الستينات، فكل تنمية تفترض تراجعا[3]، حيث بدت هشاشته ظاهرة بعد فشله في التحكم في مفاهيم محسوبة على تركيبته البنيوية، مثل مفهوم النمو والازدهار والحرية والسعادة والتقدم، حيث ادعى مروجو المفهوم

[1]- عبد الوهاب جعفر، مقالات الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص 223.
[2]- مرجع نفسه :ص 242

[3]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية مصدر سابق، ص 78.

أنه يشكل الحلقة الرابطة بين هذه المفاهيم وفق انسجام تام، يضيف إدغار موران: "كما كنا نعتقد أننا نصنع النمو من أجل التنمية، إلا أننا -عمليا- نصنع النمو من أجل النمو"[1]. وهي النظرة وحيدة البعد، لا تحقق التصور الأمثل للتنمية المنشودة ذات الأبعاد المتعددة والمعقدة،من هنا أصبح المفهوم إشكاليا، ودخلت المفاهيم المحسوبة عليه في تعارض، وفي الوقت الذي كانت تفرض نفسها كيقين؛ تحولت إلى مفاهيم مبهمة. كما أن التنمية من هذا المنظور تجهل ما لا يمكن قياسه، أي معايير الحياة والألم والفرح والحب، وقياسها الوحيد يكمن في الكمية والإنتاج، وفي الإنتاجية، لذا يرى أن تصميمها بصيغة كمية جعلها تجهل الصفات النوعية، كالصفات الوجودية، وصفات التضامن، وصفات الوسط البيئي، وصفات نوعية للحياة والثروات الإنسانية، التي لا يمكن حسابها ولا عدها نقديا، والمؤسف أن كلمة الإنسان - كمحور جوهري- هي كلمة فارغة من كل محتوى، وبدت أفقر وحدة في منظومة التنمية، وإن كانت تتلاءم مع وضعية الإنسان في المجتمع الغربي ظاهريا، فإنها تنهار عندما نسقطها على المجتمعات الأخرى، ولاسيما العربية منها، لأنها تجهل العطاء، والأريحية، والنبل والشرف والضمير.ورغم أن التنمية ارتبطت بالتقدم التقني والطبي والاجتماعي؛ فهي تؤدي أيضا إلى تخريب الوسط الحيوي البيئي والثقافي وهدمه، وتحيل إلى أشكال متعددة من الاستعباد. فالتنمية التي ترادفت مع العلم والتقنية حملت في جوفها تهديدا ينذر بالإبادة والفناء، وشكلت سلطة قادرة على التلاعب[2]، رغم ما أحدثته هذه السلطات الإيديولوجية المتحكمة في بلورة المفهوم علميا وعمليا؛ للسيطرة على ثروات العالم المتخلفة، فإنها تجهل أن الحضارة الغربية التي تتخذها نموذجا هي في حالة أزمة، وأن حياة شعوبها التي ترى أنها سعيدة هي في حالة شقاء، والفرد يعاني من العزلة والانغلاق، وتطورها وازدهارها يحمل قلقا واضطرابا من خلال قوى التي أطلقها هذا النهج ممثلا في الموت البيئي والنووي، كما تجهل التنمية أن تقدم الإنساني الحقيقي لا يمكن أن ينطلق مما هو قائم اليوم؛ وإنما يتطلب- بالضرورة- العودة إلى الطاقات البشرية الجديدة[3].

[1]- إدغار موران، في سياسة الحضارة، ترجمة وتقديم الزواوي بغورة، مجلة يتفكرون، العدد 09، المغرب، 2016،ص79.
[2]- إدغار موران، في سياسة الحضارة، مصدر سابق،ص79 .
[3]- المصدر نفسه، ص 77.

ب- الوعي الإيكولوجي والقطيعة مع فكرة النمو اللانهائي:

يستلهم المفكر إدغار موران بداية حل أزمة التنمية من خلال الوعي الإيكولوجي الحاصل في الفترة المعاصرة، الذي تمثله النزعة الطبيعية الجديدة، والنزعة التقليدية الجديدة، اللتان تمثلان الحركة المضادة للتلوث، والتي تمثلها جمعيات ولجان غير حكومية في الغالب انتشرت في أوروبا وإن كانت طريقة دفاعهما على المجال البيئي تبدو في رأيه ساذجة، فإنهم يحملون من خلال دفاعهم رسالة عميقة ذات أهمية، لم يعرف مداها بعد، ويتعلق الأمر بزوال فكرة النمو التي كانت تبدو لا نهائية من منظور الإيديولوجيات التي تبنت المفهوم، وتبين أن فكرة النمو الصناعي اللانهائي فكرة زائفة، بل هناك ضرورة حتمية للتخلي عن اختزال التنمية في ظاهرة النمو الصناعي كمؤشر أساسي لتحقيق التنمية البشرية والاجتماعية"[1].

إن هذا الوعي الإيكولوجي يشكل جزءا من مغامرة التنمية، نستدل به على الطابع المنفلت للتنمية، وعدم خضوعها للضبط. يقول إدغار موران:" كنا نعتقد أنها موضوع مضبوط بفضل التقنية، لكن هذه الأخيرة لا تقوم بدور التنظيم إلا على مدى قصير، وساهمت -على العكس من ذلك-بشكل كبير في الانفلات المستعصي على التحكم"[2]. وبالمثل كان الاعتقاد أن العلم يتحكم في ضبط التنمية، إلا أن العلم نفسه تبين أنه غير مضبوط، وأن التحكم في التنمية بفضل المثل الإنسانية والديمقراطية، لكن بدل ما تقودنا التنمية إلى المستقبل الزاهر، تحولت إلى هيكل بلا روح مفكك الأوصال، يقوده تطور الفردانية على حساب التضامن الاجتماعي، وظهرت نماذج التنموية الغربية مجرد أقنعة إيديولوجية. وكنا نعتقد أن التقدم يقود التنمية لكن يبدو أن هذا التطور الخطي/الأحادي الذي نسميه تنمية وبالفعل ينطوي على تنميات وتقدمات والتنميات تنطوي على تخلف، والتقدمات تنطوي على تقهقرات وقطائع وتحولات جذرية، وينتج تحولات أكثر جذرية. لذلك نحن نعيش في قرن الثورات في عالم يبدو في الآن نفسه في طور التقدم وفي حالة ثورة وفي تقدم وفي تقهقر وفي أزمة وفي خطر .يعبر عنه موران بشكل جلي: إننا نسير نحو الهاوية[3].

---

[1]- إدغار موران تنمية أزمة التنمية، ترجمة مصطفى ناجي متاح على الموقع الإلكترونيwww.elmawja.com الإحالة بتاريخ14/05/ 2018 15 سا50 د.

[2]- إدغار موران تنمية أزمة التنمية، ترجمة مصطفى ناجي، مصدر سابق.

[3]- إدغار موران، إلى أين يسير العالم، مصدر سابق، ص.41 .

يبدو أن العقلانية التي تقود هذه الحضارة هي"عقلانية هذيانية تشبه حالة العصاب"[1]. وبمقدار ما يتصف به هذا المفهوم من انتشار وصل إلى العالمية، بمقدار ما شكل أسطورة نموذجية لنزعة إنسانية جديدة، ومحرك لقوى التغريب، وأداة استعمارية للأمم السائرة في طريق التطور[2]. إن مكون النمو والتنمية يجتمعان ليتصارعا في خفاء وفي صورة غريبة شاذة، ليستخلص إدغار موران أن التنمية بصورتها الغربية ما هي إلا الوجه الآخر للعولمة الاقتصادية لا تخضع لأي تقنين، وأن التنمية نتاج ومنتج، مثل ما يحمل المنافع يحمل المضار والكوارث، فحتما بهذه الحمولة المتناقضة تقودنا إلى الهاوية[3].

3- إدغار موران يرفض مصطلح التنمية:

إن أزمة التنمية برزت في أزمة التحكم في كيفية تطور تنميتنا الخاصة "، بهذا التوصيف الدقيق يعبر إدغار موران عن رفضه القاطع لمفهوم التنمية، كما يروج له عموما كنهج لإصلاح الواقع الاجتماعي والإنساني المعاصر، عندما تصور أن ممارسة العلم والعقلانية والنزعة الإنسانية التي حملتها الأسطورة الغربية ومضمونها أن العلم والتقنية تمكننا من تحقيق الازدهار والتقدم للنوع البشري. ويستخلص إدغار موران استنادا لتجربته العميقة التي كانت حصيلة مساره الفكري والسياسي الذي عاشه على مدار القرن العشرين قائلا:" لقد اعتقدنا أننا نتحكم في الطبيعة، لكن تحكمنا كان مفتقدا للرقابة، واعتقدنا أننا نتحكم في الاقتصاد، لكن الأزمة التي ظهرت سنة 1973 قد بينت أن مراقبة الاقتصاد لم تكن بها ثغرات فحسب، ولكنها كانت أيضا مؤقتة، واعتقدنا أننا نتحكم في التقنية ولكن التقنية كانت منفلتة من أي مراقبة، وتتحكم في أنشطتنا الاقتصادية والاجتماعية، كما أننا عاجزون عن التحكم في العمليات التي تنجزها الإعلاميات وعلم الحاسوب والإلكترونيك، إننا غير قادرين-حسب موران- على مراقبة التحول الذي يشهده العالم، وهو تحول متأزم باستمرار وفوضوي ومتخبط"[4]. لذلك نجده يرفض مفهوم

---

[1]- إدغار موران تنمية أزمة التنمية، ترجمة مصطفى ناجي متاح على الموقع الإلكترونيwww.elmawja.com الإحالة بتاريخ14/05/ 2018 15 سا50 د.

[2]- إدغار موران، في سياسة الحضارة، ترجمة وتقديم الزواوي ، مرجع سابق، ص 79.

[3]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، افريقيا الشرق، ترجمة عبد الرحيم حزل، سنة 2012، المغرب، ص 161.

[4]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، الصفحة نفسها.

*- **المماثلة البيولوجية:** يؤسس مفهوم التنمية وضوحه على أساس المماثلة البيولوجية بحسب إدغار موران، حيث يعتبر مفهوم التنمية نفسه نظيرا لمفهوم النمو البيولوجي على المستوى السوسيو- اقتصادي، ومن الطبيعي أن الأجسام البيولوجية

المؤشر الحسابي الكمي، الذي تجعل منه منظمة الأمم المتحدة المعيار الرئيسي للتنمية البشرية، ولا يثق فيه إلا بالقدر القليل الذي تفرضه الظروف. وهنا تبدو الأفكار التي يقدمها موران وكأنها صادرة عن تأمل بديهي، أو هي مقاربة للبديهيات الشمولية للعالم، وهنا تنبثق المفارقة، فإذا كان ثمة تنمية؛ فإنها لا تتجلى إلا في الميدان التقني والآلي المحض، الذي تجلى خاصة في مجال الاتصالات. وأما جانب المفارقة الآخر -أي الجانب العكسي- فقد تجلى في التراجع الرهيب في القيم، فكأنما التراجع القيمي مرتبط بالتنمية التقنية، وهنا تحدث الفجوة الآخذة في الاتساع والتي تقود الإنسان المعاصر كفرد وكجماعة نحو نقطة معتمة مجهولة. فالتطور لا يخضع للقوانين الدقيقة، ولا لحتمية متفوقة، وليس ميكانيكيا ولا خطيا، ولا وجود لعامل مهيمن باستمرار يقود التطور، وإلا سيكون من السهل التنبؤ بالمستقبل، لذلك ينبغي علينا -على العكس من ذلك- الانطلاق من الإقرار بغباوة كل تنبؤ يقوم على تصور تطوري بهذا القدر من التبسيط. إن التنمية ليست فقط صيغة غربية قياسية تتجاهل المفردات والتضامن والمعرفة وأسلوب حياة الحضارات التقليدية؛ بل إن كل تنمية تعيشها الحضارة ما تنطوي على عكسها، أو على أساس وحشي وعلى لسان فرويد أن تنمية الحياة المتحضرة بكبتها وكبحها لوحشيتنا العقلية ورميها في أعماق سحيقة تساهم في تكدسها في الأعماق قد يحدث انفجارها[1]. فالتنمية الظاهرة للحضارة هي التنمية الوحشية الكامنة، والتي تبين اقتران الحضارة بالوحشية، لذلك فمصيرنا إلى الفناء إن لم نغير الطريق[2].

إن الوقائع الاجتماعية متعددة الأبعاد، وهي التي تعسر على مشروع التنمية وفق المنظور الغربي حسبه، حيث انفلت منها، ولا يمكن فهمه من خلال القياس الكمي، كما أن مؤشراتها لم تستطع أن تقدر التنمية في بلد صناعي بالمقارنة مع بلد نام، فهناك تخلف نفسي ومعنوي في البلدان التي تطورت فيها الفردية على حساب التكافل الاجتماعي[3]، في مقابل تخلف الاستقلال الفردي والذاتي في البلدان النامية بفعل السلطة الاستبدادية.

تتطور انطلاقا من البويضة التي تمثل بداية نمو عناصرها، لكن النمو -على هذا المستوى البيولوجي-يطرح عدة مشاكل، أهمها ما يبدو تطورا على المستوى الكل يقابله تقهقرا وانحلالا على مستوى العناصر الجزئية، بمعنى أنه يتم إنتاج خلايا من خلال إتلاف خلايا أخرى، فالتطور بيولوجيا يتناسب مع الهدم والتقهقر، يتبين أن هذا التطور ليس أحادي الدلالة.

[1]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص38.

[2] -Edgar Morin ; Les Nuit son Enceintes ; article paru ; dans l' édition du 09-01-2011

[3]- إدغار موران، إلى أين يسير العالم؟، الدار العربية للعلوم ناشرون، ترجمة أحمد العلمي، ط 01، 2009، بيروت، ص15.

يعتقد موران أن الحضارة الغربية سمحت للتنمية الفردية بتحقيق الأفضل، بمعنى أنها مكنت الفرد ليتحمل المسؤولية الشخصية أو بمعنى تقرير الفرد مصيره بنفسه، إلا أن الفردانية كانت مخيبة للأمل،لأنها أدت إلى ظهور الأنانية وانطوت على تزكية الأنا العرقية والمركزية بصفة الانعزالية، فقد بينت النتائج أن هذا النهج تسبب في تدهور كبير للتضامن، الذي لم يعد موجودا في الأسرة، ولا في العمل، ولا في الحي، ولا حتى بين الإخوة، فأفضى إلى فقدان التكافل الاجتماعي، هناك أيضا تدهور للإحساس بالانتماء إلى المجتمع وإلى الوطن، ومن ثم تدهور لمفهوم المواطنة.

يتأسف موران على فقدان بعض الصفات المهذبة للمجتمع الأوروبي، والتي لا تزال موجودة في الثقافات الأخرى التي لم تشهد تحريفا، رغم محاولة تعويضها وترجمة ما تم كسبه إلى ما تم فقده، لكنها في نظره ليست الحل، ويرجع في المقابل ليطرح تساؤلا مفاده: كيف يمكن التوفيق بين هذه الرفاهية الاقتصادية، وهذا التطور، وهذا التصنيع مع الحفاظ على قيم التضامن؟.

المبحث الثالث: منظومة التربية والتعليم: البديل الواعد.

تمهيد:

بعد تشخيصه للأزمة، ينظر إدغار موران لرؤية تربوية جديدة، استنبطها من قناعات دينية وتجارب ثقافية، وأفكار فلسفية قادرة - حسبه- على تجاوز الأزمات المتعددة التي يواجهها العالم اليوم. ولتحديد معالم هذه الرؤية لتحقيق الإصلاح يقترح توفير سبع معارف أساسية في التعليم والتربية، تتعلق كلها بالكائن البشري والمجتمع الإنساني وبالكون والحياة والأرض.

في هذه الرؤية إصرار على ضرورة النظر إلى أن التربية الحقيقية، يجب أن تساهم في التكوين الفردي وترقية إيتيقا الفهم والمناقشة والحوار، وذلك بتحمله مسؤولية الشرط الإنساني، أي تعلمه العيش والمواطنة، والديمقراطية والتضامن والمسؤولية بغض النظر عن انتماءات هذا المواطن.

مبدئيا، ينطلق صاحبنا من وعي عميق من أن التربية تعاني أزمة متعددة الوجوه[1].إنها من الأشياء غير المفكر فيها، أو المسكوت عنها، لقد أضحت فضاء لاجترار السرديات الكبرى. علمتنا هذه التربية السائدة، الفصل والتجزيء، وعدم الربط بين المعارف، وتحولت مكتسباتنا العلمية إلى مجموع عصي عن الفهم، عندما ننظر إليه ككل. فلم نعد نرى التفاعلات والارتدادات والسياقات والتعقيدات التي تربط بين المباحث المعرفية[2].

يؤكد موران على ضرورة تعريف الحياة الجيدة، قبل تقديم أية مقاربة تربوية، وحين يقدم مقترحاته يشير إلى واضعي الخطط التربوية بأن عليهم "أن يتعلموا" حتى" يعلموا".

أ - المشروع التربوي البديل: معالم في الطريق.

لإدغار موران نظرة جديدة ومجددة في حقلي التربية والتعليم. نظرة تدعو إلى تلقين التلميذ منذ المرحلة الابتدائية نظرية المعرفة (الإبستيمولوجيا). ويرشدنا إلى تقدير الخطأ ومنحه مكانة

[1]- إدغار موران، تعليم الحياة: بيان لتغيير التربيّة، تر: الطاهر بن يحي، بيروت: منشورات ضفاف، ط1، 2016، ص 09.
[2]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبعة الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق و منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، ط01، المغرب، 2002،ص41.

خاصة في مناهج التعليم انطلاقا من أخطاء التلاميذ أنفسهم، لقد جمع عصارة أفكاره في وضع تصور ناجع لهذا الإشكال البيداغوجي الاستراتيجي "الخطير"، بناء على طلب من منظمة اليونسكو،- فقدم كما سنرى لاحقا- مقترح"المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل"، بهدف تغيير الرؤية المضللة في مناهج التعليم بما يجعله يؤدي وظيفته الأساسية. يدشن موران هذا الخطاب من التساؤل التالي: أفلا ينبغي للقرن الجديد أن يتجاوز العقلانية المشوهة، لكي يمكن للبشر التحكم في عقلانيتهم؟[3].

يؤمن موران بالحرية في التعليم ويترك مجالا متحركا للفعل والإضافة، والمبادرة للمتعلم، تجعل خطة العمل مرنة لإدماج المعلومات والمعطيات بحسب الشروط والمستجدات والطوارئ. لا ينبغي أن تكون المدرسة مجرد مؤسسة تنشغل بتكوين الحرفيين وتأهيل المهنيين والمتخصصين من الموظفين الذين يعسر إيجاد مواطن شغل لهم في مجتمع اقتصادي غير منتج وغير مزدهر، وإنما يجب أن تتحول إلى منارة علمية وفضاء تربوي يحمل الثقافة الوطنية في أحشائه، ويحميها من الارتداد ويدافع على قيمها الكونية وأفكارها التقدمية، ويجمع بين عدة نشاطات ويربط بين التثقيف والتكوين والتهذيب، ويدمج الإبداعات الشبابية في الحاضر، ويصلها بمحيطها الثقافي والاجتماعي، والعلمي، ويعرفها بتراث الماضي الحي، ويصالحها مع التقاليد والأصالة والذاكرة الجماعية، ويفتحها استشرافا على المستقبل.

إن المدرسة في الوقت الحالي، لا تحمل مقومات المدرسة الحقيقية، لأنها تفتقر إلى الأساليب الصحيحة التي تمكن من مواجهة الذات والناس والحياة والمشاكل والشكوك، كما أنها لا تعلم فن العيش، فهي لا توفر الانشغال والسؤال والتفكير في جودة الحياة، أو فن الحياة. إن المدرسة لا تعلم كيف نعيش إلا بطريقة ناقصة جدا، وهي في ذلك مخلة بكل ما يجب أن تكون مهمتها الأساسية[4].

إن المنظومة التربوية التي تخصنا تحتاج إلى ثورة وإعادة بناء من جديد، وليس إلى القيام بإصلاحات ترقيعية، وإن العمل يجب أن يبدأ من المراحل الأولى في مستوى الأول، حتى يتم

[3]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، ص41.
[4]- إدغار موران تعليم الحياة بيان لتغيير التربية، من سلسلة مجال الممكن لنغير التربية، ترجمة الطاهر بن يحي، منشورات ضفاف، سنة 2016، ص50.

إنقاذ الناشئة من الضياع الروحي والوجودي والتصحر الأخلاقي والفراغ القيمي، وأول الخطوات البيداغوجية التي يرسمها موران هي الكف عن تعليم المعارف الأساسية والمواد الدراسية في شكل اختصاصات مفصولة بعضها عن بعض، ويركز أساسا على الاهتمام بالجذع المشترك لمدة أطول، والتركيز على التحلي بالروح الموسوعية وإيجاد تصالح بين الآداب والعلوم، وبين إتقان اللغات وإيتيقا التفكير، وبين الحفظ والتعبير، وبين القراءة والكتابة والترفيه والإنتاج[5].

أهم نقطة ينبغي أن تبتعد عنها المدرسة المعاصرة -على مستوى آليات العمل - هي الابتعاد عن ضبط برنامج رسمي يقسم إلى مجموعة من المحاور والدروس ويفرض التقيد به، وهذا يعتبر خطأ في نظره، لذلك يجب أن يكون هناك نوع من مرونة أكبر في اختيار المواد والحرية للمدرس، على خلاف الطريقة العقيمة التي تحرص على وضع وتحديد البرنامج مرة واحدة وبصفة نهائية، ليطبق بحذافيره ويتعلق الأمر بآليات يتم حصرها في مجال مضبوط.

يسعى إدغار موران إلى إصلاح شامل لسياسة التفكير والتربية،حين ينظر إلى العلاقة بين التعليم والمنظومة الاجتماعية والاقتصادية، بحيث لا تقف عند جعل التعليم مطلبا لرفع مستوى الإنتاجية فحسب؛ بل يعتبر التعليم سبيلا يتيح للإنسان التمتع بطيبات الحياة والإسهام في بناء سياسة حضارية متجددة. ويدعو إلى رؤية جديدة تكون قادرة على تجاوز الأزمات المتعددة التي يواجهها العالم اليوم، ولتحديد معالم هذه الرؤية لتحقيق الإصلاح؛ يرى أن هناك حاجة ماسة لمراجعة كل المجالات والقطاعات، ويلتزم بقوله: "أنا أناضل من أجل إصلاح فكري وتربوي في المجتمع، لنكون أكثر انفتاحا وتفهما لمشكلات الأرض"[6].

إن التربية الحقيقية يجب أن تساهم في التكوين الفردي بتحمله مسؤولية الشرط الإنساني، أي تعلمه العيش والمواطنة، والديمقراطية والتضامن والمسؤولية بغض النظر عن انتماءات هذا

[5]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبعة الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق و منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، ط01، المغرب، 2002،ص17

[6]- هجيرة ساكر، إدغار موران: إنقاذ البشرية قبل فوات الأوان وضرورة احترام الخصوصيات الثقافية، متاح على الموقع الإلكتروني www.alhayat.com/article/12212 23H30

المواطن[7]. ويتلقى الفرد التربية والتعليم عبر **ثلاث** درجات أو مستويات:**الإعدادي، والثانوي والجامعي**.

فالتعليم **الإعدادي** هو المحطة الأولى في اكتساب معارف متنوعة، تتداخل فيها العلوم والآداب حتى يتسنى للطفل فهم طبيعة العقل البشري ووظيفته، في حين وجب التركيز على كل ما هو فني أدبي في المستوى **الثانوي** لتربية الطفل على تقبل واحترام الآخر والتعارف والاستعداد للتحاور الحضاري والثقافي والعلمي.أما **الجامعة**، فهي مكان لاستحضار المعارف المكتسبة خلال المسار الدراسي للطالب، ومكان للنقاش والبحث العلمي، ومكان لتبادل الأفكار والقيم.

لقد أصبح إصلاح التربية والتعليم في نظر إدغار موران مهمة تاريخية وإجبارية لتكوين مواطنين قادرين على مواجهة تحديات العصر بشتى أنواعه، فكلما ارتفعت درجة الوعي والفكر لدى المواطن، كلما استطاع التعامل بمهنية وبفن مع التحديات اليومية. إن اقتراحاته لأجل إصلاح التربية والتعليم، هي سبيل يؤثر إيجابا على الفكر الإنساني، على شكل مبادئ منهجية، لإحداث تحويل جذري في المؤسسة التربوية. وتتحدد في **أربعة** مبادئ، هي:

- **المبدأ الأول:** يخص تنظيم المعارف بالتمكن من عمليات الربط والتفرقة، والأخذ بعين الاعتبار المعرفة العامة والمعرفة الخاصة، مع تنمية العقلانية التحليلية النقدية لدى التلاميذ.

- **المبدأ الثاني:**الربط بين الثقافتين الأدبية والعلمية، وذلك بهدف أنسنة العلم والمعرفة، مع تنمية الحس الإنساني في كل شخص، وإدماج علوم الفلسفة والفن والسينما في المقررات الدراسية.

- **المبدأ الثالث:** تعليم وظيفة مبدأ اللايقين في تهيئ مواطنين قادرين على التأقلم مع مجتمعاتهم بتبني ظاهرة اللايقين في الإيمان، وفي الأمل الإنساني الذي يعانق أرواحنا.

[7]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبعة الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص66

- **المبدأ الرابع:** تعليم معنى المواطن بحيث يجب أن لا نفرق بين المواطن الفرنسي والمواطن الأوروبي، والمواطن الكوني لتحقيق مبدأ الأخوة الإنسانية[8].

ب- فلسفة التربية المستقبلية: المعارف السبع.

إن إصلاح الفكر سبيل للتنمية البشرية، ولابد من تجسيد فن إصلاح الفكر، وماهية هذا الفكر تنفر من الابتذال والتبسيط والاختزال. ومن دون بلوغ الغاية سنظل في حضرة التناقض والغموض والتخلف .تلك هي القناعة "المورانية" - كما تم عرضها سالفا - والتي يعبر عنها"الفكر المركب"، ذلك المشروع الأساس الذي مافتئ يركز على نشر أسلوب التفكير المناهض للرؤية التي لا تميز بين الألوان، ولذلك نرى فيلسوفنا، يجتهد دائما في البحث في هذا "المركب"، محاولا الجمع بين الجوانب المتناقضة من الواقع[9].

ـ يقدم إدغار موران فلسفته للتربية التي نعتبرها أيضا فلسفة للتعليم، كإحدى أهم المقاربات في الغرب المعاصر التي تدعو لخطاب التنمية الذاتية من خلال رؤية إبستيمية، كما يمكن تعريفها على أنّها دراسة فلسفية تهتم بدراسة التعليم وجوهره وكل ما يواجهه من مشكلات، أي أن التعليم هو محور موضوعها، وبذلك يربط إدغار موران بين الفلسفة والتعليم بالعملية التعليمية أو الفهم التعليمي، فيهتم بأهداف ونتائج التعليم والتعلم، هذه الفلسفة كانت نتاجا وتفعيلا للحوار العالمي لمنظمة اليونسكو حول طريقة إعادة توجيه التربية لتحقيق التنمية البشرية المستدامة، وإثراء للمشاكل المركزية والأساسية التي ظلت منسية في التعليم، طلب من إدغار موران الذي خصص جزءا مهما من أبحاثه لمشاكل المعرفة، التعبير عن أفكاره حول تربية المستقبل في علاقتها بـ"إصلاح الفكر"،التي يعتبرها ضرورية ومستعجلة، كونها تقدم المعالم الكبرى لهذا المشروع، الذي يدافع عنه منذ سنوات، استنادا إلى تجاربه في البحث والتفكير والنضال من

[8]- هجيرة ساكر، إدغار موران : إنقاذ البشرية قبل فوات الأوان وضرورة احترام الخصوصيات الثقافية، متاح على الموقع الإلكتروني www.alhayat.com/article/12212 23H30

[9]- رشيد مرون، هل يمكن إنقاذ الإنسانية من سلوكيات الإنسان؟،متاح على الموقع الالكتروني17سا30د2017/01/12,

archive.aawsat.com/details.asp?issueno=9532&article=274822

أجل مستقبل أفضل يكون فيه الفهم والقرار في مستوى التعقيد الذي يحكم تداخل المستويات والمرجعيات والآفاق.

ويوجه موران سهام نقده لكل هندسات الإصلاح العاجزة عن إدراك مطالب التعقيد، المؤمنة بالنفعية والمتناسية للشرط الإنساني[10]. كما يظهر في هذا المشروع التربوي مدى أهمية - بل ضرورة- توفر رؤية مركبة لدى كل من يطمح في أن يصلح المنظومة التربوية، وخطورة أصحاب النظرة التجزيئية والتقنية المحضة لقضايا التربية والتعليم.

هي "سبع معارف أساسية" يقترحها إدغار موران للتربية، تضمن للنشء وللأجيال القادمة مستقبلا بدون أخطار، وهي صالحة للتطبيق في كل مجتمع يقدمها إلى كل ثقافة، بدون أي إقصاء أو استثناء، وذلك بحسب القواعد والطرق الخاصة بكل مجتمع وبكل ثقافة. ووفقا لتوجهاته، إذا أردنا أن نمتلك مستقبلا للتربية فيجب أن نتجاوز الفكر التجزيئي المؤذي، مع التأسيس لفكر بديل يرتكز بدوره على ضرورة الاعتراف بالطابع المركب للإنسان، تلك هي التصورات[11]، لبناء الهوية الإنسانية، تصورات تعمل على توحيد المعرفة الإنسانية من أجل توحيد مصير النوع الانساني المتشتت، كرهان أساسي لتربية المستقبل، وتربط بين المعرفة والوعي بالشروط الوجودية المشتركة لكل البشر، والوعي بالثراء الضروري المتمثل في تنوع الأفراد والشعوب والثقافات[12].

تختص هذه"المعارف السبع"، في معالجة الجانب التربوي، في الاستثمار الحقيقي للمورد البشري، فالاهتمام بالنشء منذ الطفولة خير سبيل لتحقيق المستقبل الواعد. والإصلاحات التي يفرضها إشكال التربية والتعليم الذي يتطلب– بدوره- العديد من الإصلاحات لها أولوية ملحة وفقا للفكر المركب.

إن أهم تحد يواجه المسؤولين - بحسبه- هو ذاك الذي يخص اختيار مضامين التربية، أو المعارف الأساسية التي ينبغي أن تقوم عليها كل فلسفة تربية.

---

[10]- محمد رزنين، سبعة ثقوب معرفية أو نقد الأساس المعرفي للمنظومة التربوية الحالية/ إدغار موران ، رابطة أدباء الشام متاح على الموقع الإلكتروني التاليwww.odabasham.net.

[11]- إدغار موران، فهم الشرط الإنساني: رهان تربية المستقبل، ترجمة عزيز مشواط، مجلة رؤى تربوية، العدد29، ص124

[12]- المصدر نفسه، ص124.

في إحدى المحاضرات بالمغرب، يدلي موران ببعض الملاحظات منها: " أنه يتم تعليم المواد الدراسية والاختصاصات disciplines مفصولة بعضها عن بعض، ولهذا الفصل تاريخ طويل أدى إلى إيجاد "ثقوب معرفية سوداء" حقيقية في مجال المعرفة، مما أعاق تقدمها، وجعل إصلاح المنظومة التربوية شبه متعذر، ما لم يتم التعرف إلى هذه الثقوب المعرفية السوداء[13]، يقول إدغار موران: "وقد تعرفت، شخصيا إلى سبعة ثقوب سوداء في النظام التربوي الحالي"[14]. بعد معاينة جل البرامج التربوية في أوروبا، لاحظ فيها نفس الأخطاء، وبناء على هذا التعرف، فإن جل اهتمامه هو الربط بين المعارف لإنقاذ المعرفة الإنسانية من هذه الثقوب السوداء. وفي هذا السياق، يقترح إنشاء **سبعة كراسي** تعمل على نشر المعارف السبع الضرورية التي من شأنها استرجاع ما يضيع في تلك الثقوب.

[13]- إدغار موران، الثقوب السبعة للمعرفة، المحاضرة التي ألقاها عالم الاجتماع الفرنسي المرموق إدغار موران في الرباط، بدعوة من وزارة التربية الوطنية والشباب بتاريخ 6-02-2004، متاح على الموقع الإلكتروني:
profmed63.blogspot.com/2016/10/blog-post.html الإحالة بتاريخ10-07-2019، 13 سا10 د

[14]- المصدر نفسه.

1ـ أنواع العمى المعرفي: الخطأ والوهم أو ما تجب معرفته بخصوص كلِ معرفة.

السؤال- الأساس الذي يثيره إدغار موران، أي الغائب الأكبر في المناهج التربوية هو: ما المعرفة؟.إن مشكل تعريف المعرفة[15]، هو مشكل كل إنسان متعلم، ومشكل الجميع في الآن نفسه. لأن مشكل المعرفة هو في الأساس مشكل الخطأ والوهم. عندما نفكر بحسب موران في الماضي القريب، نتذكر الأنظمة النازية، الفاشية، الشيوعية الستالينية، والليبرالية الجديدة نكتشف أخطاء هذه المنظومات وأوهامها، على الرغم من أنها كانت تُعاش كحقائق، إلا إن ما كان في الماضي حقيقة أضحى في الحاضر خطأ أو وهما، وهكذا نكتشف أن الماضي كان مجموعة من أخطاء مستمرة. يعتبر إدغار موران أن التربية في ظل براديغم التبسيط تهدف إلى توصيل المعرفة لكنها تظل جاهلة بماهية المعرفة الإنسانية وبآلياتها وحدودها، وبالتالي نزوعها الطبيعي إلى الخطأ والوهم، خاصة عندما لا نبذل أي مجهود، وقد لا يخطر على بالنا كشف ماهية المعرفة"[16].

فعلى التربية أن تكشف مصادر أخطاء المعرفة وأوهامها[17]، مثل الأخطاء الذهنية، وأخطاء العقل. إن الأخطاء الذهنية لها نصيب من العمى المعرفي، والوجدان يلعب دورا كبيرا في تنمية أو كبح المعرفة. ومن المعلوم أن تطور الذكاء داخل العالم الإنساني غير منفصل عن تطور الوجدان، "فهناك -على الدوام- حوار قوي بين العقل والوجدان"[18]. وقد يؤثر ضعف في الوجدان بشكل سلبي على ملكة العقل وقد يشلها تماما، وقد يؤدي إضعاف القدرات العاطفية إلى سلوكيات لاعقلانية. ومن جهة أخرى فإنه بإمكان القدرة على الانفعال التي مصدرها الوجدان، أن تشكل حافزا ضروريا للقيام بسلوكيات عقلانية. يفرق إدغار موران بين العقل والوجدان من حيث التكوين، وغلبة الوجدان على العقل[19].

---

[15]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبعة الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق و منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، ط01، المغرب، 2002، ص22

[16]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص21

[17]- - المصدر نفسه، ص21.

[18]- المصدر نفسه، ص21

[19]- المصدر نفسه، ص23

أما أخطاء العقل، فتأتي عن طريق الترجمة أو عبر إعادة بناء للصور والأشياء والكلمات، وخروج العقل عن وظيفته هذه إما بتحميله إنتاج الحقائق، أو بوضع المعايير الأخلاقية، فإنه يعتبر انحرافا عن وظيفة العقل والعقلانية. وحدها الحقيقية، هي التي تعي جيدا حدود المنطق والنزعة الحتمية والنزعة الآلية، إنها تعلم أن العقل الإنساني، لا يمكنه معرفة كل شيء[20].

يستفاد من هذا المبدأ، أن إدغار موران قد استنطق جوهر المعرفة التبسيطية ووجدها حبلى بالأخطاء والأوهام، لذا يقترح منهجا لإصلاح التربية أو منهجا للتنمية الذاتية، يأخذ على عاتقه مراعاة هذه المبادئ والالتزام بها، مؤسس على عقلانية بنائية مفتوحة مهمتها تجسيد نظريات منسجمة مع الواقع والمعطى التجريبي الذي ينطبق عليها[21]. ثم على عقلانية نقدية تهتم بالأخطاء والأوهام، وتتوخى أن تتحول إلى تبرير عقلاني يحمل في جوهره أسس مشوهة للمعرفة. هي –إذن- احترازات يحذر منها إدغار موران حتى نتمكن من تجاوز هذه الأخطاء في معرفتنا المستقبلية.

2 ـ مبادئ المعرفة الملائمة:

الوصفة العلمية لإدغار موران ضمن مشروعه لتربية المستقبل في بندها الثاني، تهتم بإصلاح الفكر للحصول على معرفة ملائمة من خلال تنظيم المعرفة بطريقة تستجيب لمتطلبات العصر، أو كيفية تحول المعلومات إلى معرفة وجيهة[22]. لا يجب أن نعتبر كثرة المعلومات هي ذاتها المعرفة الوجيهة، وليست لهذه الأخيرة أية علاقة بالتعقيد الذي نسعى إلى بلوغه، إن المعرفة الوجيهة هي تلك التي نتعرف من خلالها على القدرة على تنظيم المعلومات وتأطيرها ضمن سياقها، الذي يبقى أهم من المعلومات في حد ذاتها.

في عالمنا المعاصر، أضحى كلَ حدث كوكبي يؤثر على ما هو محلي تأثيرا مباشرا أو غير مباشر، كما أن الحدث المحلي يجد صداه على مستوى الكوكب الأرضي بأسره، إن هذا المعطى الأساس في عصرنا هو ما عجز نظامنا المعرفي والتربوي على استيعابه، فهو عاجز عن ربط المحلي بالكوكبي، وعن استخلاص النتائج التربوية لذلك. إن هذا العجز العصي على نظامنا

[20]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص21

[21]- المصدر نفسه، ص 24

[22]- إدغار موران، الثقوب السبعة للمعرفة، للمحاضرة التي ألقاها عالم الاجتماع الفرنسي المرموق إدغار موران في الرباط، مرجع سابق.

التربوي هو الثقب الأسود الذي يقصي كل ما يمكن التوصل إليه بفضل هذا الربط، وبفضل المعرفة الوجيهة التي تكون قادرة على تصور المشاكل الأساسية والشاملة في سياقها الكوكبي، بجميع أبعاده ودلالاته.

ـ يرى موران أن"كل معرفة تعتمد على معطيات أو معلومات معزولة تظل ناقصة، يجب وضع المعارف والمعطيات داخل **سياقها** لكي يكون لها معنى، فكل كلمة -لكي يكون لها معنى- لابد من رجوعها إلى النص الذي هو سياقها الخاص، ويحتاج النص هو الآخر إلى سياق حتى يكون بالإمكان إنتاجه"[23]. ومن هذا يتضح أن وضع المعلومة في سياقها هو شرط لتحقيق المعرفة.كما وان هذه المعرفة تستند إلى **مبدأ شمولي**، يقضي بأنه يستحيل معرفة الكل دون معرفة الأجزاء، ومعرفة الأجزاء دون معرفة الكل[24]. ولما كانت الأشياء تتعدد فيها الأبعاد، وجب على فلسفة التربية أن تعترف بهذا التعدد، وأن تدمج معطياته حتى تكون المعرفة ملائمة. وكعادته يستدل إدغار موران بالكائن البشري ليبرهن على ملائمة معرفته، وهو في الوقت ذاته كائن بيولوجي، ونفسي، واجتماعي، ووجداني ،وعقلاني،...ويضم المجتمع أبعادا تاريخية، وسوسيولوجية، ودينية... وعلى المعرفة الملائمة أن تعترف **بمبدأ التعدد**، وهنا لا يمكننا فقط فصل الجزء عن الكل، ولكن لا يجب علينا فصل الأجزاء عن بعضها[25]. وكما أنه لا يمكن بناء معرفة ملائمة لأزمة اقتصادية مثلا، بمعزل عن البحث في باقي العناصر المكونة للكل، فيلزم دراسة الجانب الاجتماعي والأخلاقي والسياسي والنفسي، ومن ثم لزم الأخذ بعين الاعتبار علاقة الترابط والتفاعل والارتداد بين موضوع المعرفة وسياقه وتداعياته، وبين الجزء والكل، وبين الكل والأجزاء، والأجزاء فيما بينها. كما يتعين على تربية المستقبل أن تضع جيدا في الحسبان، أن مستجدات وتطورات عصرنا الكوكبي تضعنا أكثر فأكثر وبشكل لا رجعة فيه أمام **تحديات ما هو مركب**.

[23]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق و منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، ط01، المغرب، 2002، ص36

[24]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق ، ص 36

[25]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق ، ص 37.

3ـ تعليم الوضع الانساني:

يعتبر موران أن "الإنسان هو- في الوقت ذاته- كائن فيزيائي وبيولوجي ونفسي وثقافي واجتماعي وتاريخي، وهذه الوحدة المركبة للطبيعة الإنسانية لا يفهمها التعليم في مختلف المواد الدراسية. وبفعل هذا التشتت، أصبح من المستحيل اليوم تعلم ما يعنيه الكائن الإنساني الذي يسميه إدغار موران القارة المنسية، مما يستوجب على كل فرد، أينما كان، أن "يستوعب الطابع المركب لهويته ولهويته المشتركة مع الآخرين"[26].

إلا أن ما يدعو للاستغراب في نظر موران، هو أن المنظومة التربوية لم تول أهمية لتدريِس هذه المعرفة الهامة، تدريس واقعنا المعاصر، باعتبارنا كائنات إنسانية كموضوع مهمل من منظور التركيبي، ليس فقط من طرف العلوم الاجتماعية والإنسانية والتاريخية، بل حتى من طرف العلوم الدقيقة، لأن جزءا هامّا من النشاط الإنساني يندرج ضمن موضوعات هذه العلوم الأخيرة، فبالنسبة إلى العلوم الفيزيائية والكيميائية. فقد أثبتت أن الحياة هي تنظيم لعناصر فيزيائية–كيميائية، جزيئات تتكون من ذرات، إن جزءا من الوضع الإنساني هو واقع فيزيائي–كيميائي. ولكن تدريس هذه العلوم منفصلة عن بعضها يجعلنا لا ندرك هذه الروابط وتشكيلها وفي توصيف بلغة العلماء للإنسان. يكشف لنا موران الواقع الفعلي لوجوده الذي يعكس التحام هذه العوامل وانصهارها فيه، فمن خلال علم الفلك وآليات الرصد والتتبع، على المستويين الماكروفيزيائي والميكروفيزيائي[27].

من جهة أخرى، ووفقا للفكر المركب نكشف أن شرطنا الإنساني شرط معقد، فنحن لسنا فقط أفرادا، بل نحن أفرادا ينتمون إلى مجتمع، وفي الآن نفسه، إلى النوع البشري، وهذا معطى بدوره معقد لا نستطيع حله بقوانين رياضية حسابية، إذ لا يمكن لنا توصيف الكائن "الإنساني

[26]- المصدر نفسه، ص 45

[27]- إدغار موران، الثقوب السبعة للمعرفة، للمحاضرة التي ألقاها عالم الاجتماع الفرنسي المرموق إدغار موران في الرباط، مصدر سابق.

بالكائن بيولوجي بنسبة 33%، وثقافي بنسبة 33%، وسوسيولوجي بنسبة 33%، بل هو كائن بيولوجي 100%، وثقافي 100%، وسوسيولوجي100%".[28]

يعتبر موران أن من أهم مظاهر الإصلاح التربوي، تعلم الشرط الإنساني، حيث يقول:"من الواجب أن تشتمل الفلسفة على مفهوم أولي كوني يختص بالشرط الإنساني"[29]. ولقد دخل البشر تجربة العصر الكوكبي خصوصا وأن مغامرة مشتركة كإطار موحد لهم، وعليهم أيضا أن يأخذوا بعين الاعتبار ويحترموا شعورهم الفردي والثقافي، "لذا ينبغي أن ترسخ المعرفة والوعي بالوحدة المركبة للإنسان، وضرورة التنوع الثقافي"[30]. فقد دخلت البشرية تجربة العصر الكوكبي مما جعلها في مغامرة مشتركة في أي مكان وزمان، أصبح لزاما على البشر أن يبادلوا الاعتراف بإنسانيتهم المشتركة كإطار موحد بينهم، وعليهم أن يحترموا تنوعهم الفردي والثقافي، خاصة وأن العولمة المفروضة بممارساتها أفضت إلى نزوع شديد نحو التجانس والانغلاق، وعليه فإن مهمة تربية المستقبل هي تأسيس لحكمة التعايش والميل نحو الوحدة والتمازج.[31]

يرافع موران من أجل اعتبار كل تربية مستقبلية لابد أن تتجه نحو تعليم أولي شامل يتأسس على ضرورة التمكن من فهم شروط الوجود الإنساني، لأننا نعيش مرحلة تختلف عن الماضي، "إننا في مرحلة تتسم بالكونية لا نعلم مستقبلها، بل نحن نعيشها كمغامرة مشتركة تهم كل البشر"[32]. إن معرفة الشرط الإنساني والهوية الإنسانية تستدعيان الربط بين الاختصاصات التي تدرس اليوم منفصلة بعضها عن بعض. من هذا المنظور يقترح موران قسما في الجامعة خاصا بمعرفة الهوية الإنسانية، يكون من مهامه توجيه عقول المتعلمين نحو الربط بين المواد والاختصاصات، من أجل بناء هوية تقترب أكثر من التعقيد الذي يطبعها[33].

---

[28]- إدغار موران، فهم الشرط الإنساني: رهان تربية المستقبل، ترجمة عزيز مشواط، مجلة رؤى التربوية، العدد التاسع و العشرون، ص124

[29]- إدغار موران، فهم الشرط الإنساني: رهان تربية المستقبل، مصدر سابق،ص125-126

[30]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص 45

[31]- حميد بنخيبش، تعلم لتكون ...لا لتملك متاح على الموقع الإلكتروني التاليhttps://ar.islamway.netبتاريخ18-06-2018 13 س30 د

[32]- إدغار موران، فهم الشرط الإنساني: رهان تربية المستقبل، مصدر سابق، ص130.

[33]- المصدر نفسه. متاح على الموقع الإلكتروني التالي https://ar.islamway.netبتاريخ18-06-2018 13 س30 د

4 ـ تعليم الهوية الأرضية:

يلح موران على الطابع المركب للأزمة الكوكبية التي ميزت القرن العشرين، لكي يبين كيف أن البشر يشتركون في نفس مشاكل الحياة والموت، ويعيشون مصيرا مشتركا واحدا. فالعالمية هي المصير الإنساني المشترك، وفي هذا العصر الذي تلاشت في الحدود الجغرافية ويتسارع فيه زمن الاتصال، ويتضاعف فيه التراكم المعرفي، خاصة عبر شبكات المعلومات حتى استغرقنا العالم[34] ، مما سهل إدماج ما تبقى من العالم في اقتصاد السوق، حتى تبدو الكرة الأرضية أنها تشكل كلا موحدا. ويعبر على الوضع القائم قائلا: "أصبح العالم أكثر فأكثر عبارة عن كل، فكل جزء في العالم أصبح أكثر فأكثر عبارة عن جزء لا يتجزأ من هذا العالم، كما أن العالم بما هو كل أصبح حاضرا أكثر داخل أجزاء كل جزء من أجزائه"[35].

يذهب موران إلى السياق التاريخي ويحدد القرن 16م كبداية للعصر الكوكبي، ونحن الآن في الألفية الثالثة ، وقد وصلنا إلى مرحلة العولمة منذ نهاية القرن 20م، التي تمثل العصر الكوكبي للفترة المعاصرة، وعلى رأي **فرنادسكي** الذي يقول:"لأول مرة فهم الإنسان حقا، أنه مقيم في هذا الكوكب، ولربما عليه أن يفكر أو يتصرف وفق منظور جديد، وليس انطلاقا من منظور الفرد، والعائلة، والجنس البشري، أو انطلاقا من منظور الدولة، أو من مجموعة من الدول، ولكن أيضا من منظور كوكبي"[36]. ويتطلب هذا الفهم، تفكيرا متعدد التمركزات وقادرا على تبني رؤية كونية واعية تلتقي فيها جميع الثقافات، وتتغذى من بعضها البعض، وهي غاية التربية التي يجب أن تكون في العصر الكوكبي. ويعتبر هذا التنوع والتعدد كنزا للإنسانية ومصدرا لكل الإبداعات والابتكارات، ولكي تزداد تألقا وتطورا، يجب أن تكتمل وحدتها المخصبة مثلما هو معاش اليوم. لقد أصبحنا نتداول المعلومات في حينها متدفقة من العالم كله.

[34]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص 57
[35]- عبد المقصود سالم، توظيف مفهوم تربية المستقبل عند إدغار موران في منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص67
[36]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص 57

لقد صارت بالبداهة، معرفة التطورات الحاصلة على صعيد الكوكب والاعتراف بالهوية الأرضية، من موضوعات التعليم الرئيسة[37].

5ـ مواجهة اللايقينيات:

لا شك أن العلوم قدمت لنا مجموعة من الحقائق اليقينية، لكن كشفت لنا خلال القرن العشرين عن عدد لا يحصى من اللايقينيات التي ظهرت في قلب العلوم الفيزيائية الميكروفيزياء، الدينامية الحرارية، والكوسمولوجيا، والعلوم البيولوجية. ويصير من ضرورة تعليم المبادئ الإستراتيجية التي تمكن من مواجهة المحتمل واللامتوقع واللايقيني،"حسب المعلومات المحصل عليها أثناء القيام بفعل ما، والعمل على تغيير مسار تطورها وضرورة تعلم الإبحار في محيط اللايقينيات عبر اليقين"[38].

من جهة أخرى "يجب أن يشكل التخلي عن التصورات الحتمية للتاريخ الإنساني التي تقول بإمكانية التنبؤ بالمستقبل"[39]. وكمدخل لتوقع اللامتوقع ولمواجهته بشكل أفضل، وجب على أولئك الذين جعلوا من التعليم مهمتهم في الحياة، أن يكونوا في الخطوط الأمامية لمواجهة لا يقين عصرنا"، لذلك يجب أن يتضمن التعليم في مقرراته، تدريس اللايقينيات التي ظهرت في مختلف العلوم بمثابة أمر حاسم، يحثنا على إعداد الأذهان للتحسب لما هو غير متوقع لمواجهته[40]. يعدد موران الكثير من الأحداث لم تكن متوقعة، وليس بمقدور الفكر الإنساني توقعها، فمن كان يتنبأ في سنة 1916 بأن الجيش الروسي سيتفكك، وأن حزبا ماركسيا صغيرا سيحدث ثورة شيوعية في سنة 1917 بديلا له. ومن كان يتنبأ في سنة 1980 بانهيار الاتحاد السوفياتي في سنة 1989.ومن كان يتنبأ في سنة 1989 بوقوع حرب في الخليج، ووقوع حرب تفكك يوغسلافيا[41]. إن العالم الإنساني يعيش في مواجهة اللايقينيات، لذلك الغرض ينبغي للتربية أن تعترف بهذا:

---

[37]- إدغار موران، المعارف السبع الضرورية، المجلس الأعلى للتعليم، ترجمة حماني أقفلي و عز الدين الخطابي مجلة المدرسة المغربية، العدد 01، ماي 2009، ص147

[38]- تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص48

[39]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق ، ص49

[40]- المصدر نفسه، ص48

[41]- إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، مصدر سابق، ص74

- مبدأ اللايقين الدماغ- الذهني: والذي "ينجم عن سيرورة ترجمة وإعادة مخرجات المعرفة الحسية والعقلية إلى معرفة أخرى"[42].
- مبدأ اللايقين المنطقي: لا يمكن اعتبار تناقض خطأ، ولا يمكن اعتبار اللاتناقض دليلا على الصواب.
- مبدأ اللايقين العقلي: يجب أن تمارس العقلانية "وظيفتها الجوهرية ممثلة في النقد الذاتي، وإلا سقطت في وحل التبرير العقلاني الذي تعتبر اللاعقلانية مصدرا له"[3].
- مبدأ اللايقين السيكولوجي: لا يمكننا أن نعي ما يحدث داخل آلية فكرنا، الذي يبقى محتفظا باللاوعي الذي يعيق نقدنا الذاتي، ولا نستطيع ضمان اليقين. وهذا هو اليقين، لأن حدود معرفتنا تبقى رهينة ليقيننا المنقوص.

6ـ تعليم الفهم:

إن الفهم وسيلة التواصل الإنساني وغايته.والتربية على الفهم غائبة كليا عن مختلف أنواع تعليمنا.إن كوكبنا يتطلب أنواعا من الفهم المتبادل في جميع المستويات التربوية وكل المراحل العمرية. ويقتضي تطور الفهم إصلاحا للعقليات، وهو أحد الرهانات الكبرى للتربية في المستقبل.لقد بات من الضروري في اعتقاد موران، الإقبال على دراسة جذور وأنماط ونتائج اللاتفاهم. يجب بالفعل التوجه إلى جذور العنصريات وكره الأجانب والاحتقار، وبإمكان مثل هذه الدراسة أن تشكل في نفس الوقت الأسس الأكثر ضمانة للتربية لتحقيق السلام، وإخراج العلاقات البشرية من حالتها الهمجية التي يسيطر عليها عدم التفاهم[43].وربما كان مصدر الأسباب الرئيسة للتفكك، وللحروب في العالم، هو غياب الفهم، وذلك بفعل غيابه عن المناهج في المؤسسات التربوية، ومن ثم تولد العداوة، ويغيب السلام بين بني البشر، فالفهم وسيلة لتنمية الوعي الحواري[44].

[42]- إدغار موران، المعارف السبع الضرورية، المجلس الأعلى للتعليم، ترجمة حماني أقفلي و عز الدين الخطابي مجلة المدرسة المغربية، العدد 01، ماي 2009، 1، ص78

[43]- إدغار موران، المعارف السبع الضرورية، مصدر سابق، ص87

[44]- المصدر نفسه، ص88

ولابد أن يكون الفهم إحدى الغايات الهامة في التربية المستقبل، كما لا يمكن إضفاء الطابع الرقمي عليه، فثمة فرق بين أن نربي من أجل تحصيل الفهم في الرياضيات، أو في مادة تعليمية أخرى، وبين أن نربي من أجل اكتساب الفهم الإنساني، وهنا تتجلى الرسالة الروحية المحضة للتربية في تعليم الناس الفهم، والذي هو الشرط والضامن لتحقق التضامن العقلي والأخلاقي للإنسانية[45].

يحيلنا موران إلى وجود مستويين من الفهم هما: **الفهم العقلي** أو **الموضوعي**، و**الفهم الإنساني**. **فالأول**، يعني أن نصل سويا إلى ضبط واستيعاب شيء ما، ويشترط الوضوح والتفسير.فالتفسير يعني أن موضوع المعرفة بمثابة شيء، طبق عليه كل الوسائل الموضوعية في المعرفة، وهو ضروري بالنسبة للفهم العقلي والموضوعي[46]. وأما **الثاني** فيتجاوز حدود التفسير، فلابد للفهم الموضوعي أن يحيل الفهم الإنساني على معرفة الذات للذات. وهكذا، فإذا رأيت طفلا يبكي فمن واجبي أن أفهمه، ليس اعتمادا على قياس درجة ملوحة دموعه، ولكن اعتمادا على الغوص في أعماقي واستخراج كل الأحزان التي عشتها في طفولتي. وبما أن الفهم مسألة بين ذاتية؛ فإنه يقتضي بالضرورة الانفتاح، والتعاطف، والأريحية، وأن أجعله متماهيا مع ماهيتي، وأجعل نفسي متماهيا معه[47].

أما **عوائق الفهم** فتنقسم إلى عوائق **خارجية** وأخرى **داخلية**، **فالخارجية** يمثلها: الضجيج الذي يشوش على نقل الخبر، وتعدد معاني مفهوم ما، و نقصد به معنى ما وقد يعطيه الآخر معنى مغايرا، وهناك الجهل بطقوس وعادات الغير، وعدم الفهم اتجاه القيم الإلزامية المتعلقة بثقافة مغايرة[48]، وعدم فهم اتجاه الالتزامات الأخلاقية الخاصة بثقافة ما، وهناك -في الغالب- عدم تملك رؤية معينة للعالم، وفي الأخير، استحالة فهم بنية عقلية لبنية عقلية مغايرة. وأما **الداخلية** الخاصة بنوعي الفهم؛ فهي عوائق متعددة، إنها لا تختزل فقط في اللامبالاة؛ ولكن أيضا في نزعة التمركز حول الذات، ونزعة التمركز حول العرق، ونزعة التمركز حول المجتمع. إن

[45]- المصدر نفسه، ص87
[46]- إدغار موران، المعارف السبع الضرورية، مصدر سابق، ص 88
[47]- المصدر نفسه، ص 87
[48]- إدغار موران، المعارف السبع الضرورية، مصدر سابق، ص18، ص19

القاسم المشترك بين هذه النزعات الثلاث يكمن في كونها تموقع ذاتها في مركز العالم، وتعتبر كل ما هو غريب أو بعيد شيئا ثانويا، لا معنى له، أو أنه شيء معاد لها. تؤدي نزعة التمركز حول الذات إلى عدم فهم الذات، ومن ثم عدم فهم الآخر، ونتيجة هذا الشعور سقوط في هذيان العقل، أي اللجوء إلى تبرير الذات وإلى تزكية الذات، والميل نحو جعل الغير مصدر كل الشرور، كما نعمل على انتقاء ما هو جميل في ذكرياتنا، وإقصاء أو تحويل ما هو غير مشرف فيها. ويلي ذلك تمركز الذات حول العرق، وحول المجتمع، وهاتان النزعتان تؤديان إلى كراهية الأجانب والنزعات العنصرية[49].ومن النزعات العنصرية ما يمكن أن تصل إلى حد نزع صفة الإنسان عن الأجنبي. وتتعدد مسببات عدم الفهم مثل: الأفكار المسبقة، وأنواع التبرير العقلاني المعتمدة على أوليات اعتباطية، وتبرير الذات بشكل جنوني، والعجز عن النقد الذاتي، واعتماد طريقة ذهنية في البرهنة، والكبرياء، والجحود والاحتقار،وخلق متهمين وهميين، والعمل على محاكمتهم.

والاختزال من الأسباب الرئيسة في عدم الفهم للآخر، بمعنى أن يختزل المركب في جزء من أجزائه، ومثال على ذلك اختزال شخصية متعددة بطبيعتها في إحدى خصائصها، فإذا كانت هذه الخاصية إيجابية، فمعنى ذلك أنه سيتم تجاهل الخواص السلبية لهذه الشخصية، وإن كانت سلبية، "فمعنى هذا أنه سيتم تجاهل خصائصها الإيجابية. وفي كلتا الحالتين نحن أمام عدم الفهم"[50].

إن أخلاق الفهم - تعني في جوهرها- فن العيش مع الآخر. وهذا يتطلب أن تتم التربية على معان، كالتخلي عن التمركز حول الذات والعرق والمجتمع، فلا نستبق الأحكام على الآخر، ولا نمنع أنفسنا من الاعتراف بالخطأ ونتجنب الإدانة القطعية غير القابلة لإعادة النظر. ومن الأشياء التي تعزز النظر، التفكير الجيد، فنمط التفكير هو الذي يسمح لنا بفهم الشروط الموضوعية والذاتية للسلوك الإنساني[51]. وعلى تربية المستقبل يقع تعميق الفهم الإنساني بين

[49]- المرجع نفسه، ص 19

[50]- المصدر نفسه، ص91-92

[51]- إدغار موران، المعارف السبع الضرورية، مصدر سابق، 93-94

البشر، وعلى الثقافات أن تتعلم بعضها من بعض، وعلى الثقافات الغربية المتكبرة - التي فرضت نفسها كثقافة معلمة- أن تصبح ثقافة متعلمة أيضا، أن يسمح لكل ثقافة أن تتغذى من ثقافات العالم ككل[52].

لكن يجب ألا ننسى أن الفهم كمشكلة ابستيمولوجية، توجد حتى في المجتمعات الديمقراطية المنفتحة. ولكي يكون هناك فهم على مستوى الفكر؛ يجب أن نمتلك القدرة على الانتقال بفكرنا إلى ما يسمى "ميتا- بنية" التي تفهم مسببات وعوائق الفهم الموجود بين هذه البنيات، لذلك يجب إصلاح العقليات الذي يستلزم إصلاح التربية، حتى نرتقي بالإنسان والمجتمع والنوع[53].

7- أخلاق الجنس البشري:

إن التعليم يجب أن يفضي إلى أخلاق الإنسانية المحضة، أو ما يسميه موران **"أنثروبو-أخلاقية"**، من خلال الأخذ بعين الاعتبار، الطابع الثلاثي الأبعاد للشرط الإنساني،أي كونه، في الوقت ذاته: الفرد / المجتمع / النوع[54].

بهذا المعنى، تفترض أخلاق الفرد المجتمع مراقبة متبادلة للمجتمع من قبل الفرد، وللفرد من قبل المجتمع، أي تحقيق الديمقراطية، وتحقق لنا أخلاق الفرد /النوع، التضامن الكوكبي الذي يحقق المواطنة الأرضية[55] .

يدعو موران في هذا السياق، إلى ضرورة ترسيخ الأخلاق في العقول عبر تعليم الوعي بكون الإنسان هو في الوقت ذاته فرد، وجزء من مجتمع، وجزء من نوع. "إن كل واحد منا يحمل داخله هذا الواقع الثلاثي الأبعاد. لذلك فأفضل تقدم يمكن أن يحققه البشر هو تطوير أنواع استقلالية الفرد والمساهمات الجماعية والوعي بالانتماء للنوع البشري"[56].

ويخلص موران إلى ضرورة وضوح غايتين -أخلاقية وسياسية- للألفية الجديدة: ألا وهما بناء علاقة المراقبة المتبادلة بين المجتمع والأفراد عن طريق الديمقراطية، وتحقيق البشرية كجماعة كوكبية، مما يحتم على التعليم المساهمة أيضا "بترجمة هذا الوعي في إرادة تضع

---

[52]- المصدر نفسه، ص96

[53]- المصدر نفسه، ص 79

[54]- المصدر نفسه، ص 99.

[55]- المصدر نفسه، ص99

[56]- إدغار موران، المعارف السبع الضرورية، مصدر سابق، ص99

هدفا لها تحقيق المواطنة الأرضية"[57]. وهناك أخلاقيات تتعلق بالفرد، بأقاربه وبذاته؛ وهناك أخلاقيات لتطوير الفرد؛ وهناك أخلاقيات المجتمع، حيث الديمقراطية هي المطلب، "وحيث يمكن للمواطنين أن يراقبوا مراقبيهم. وهنا نجد الدائرة المغلقة بين المواطنين والحكومة"[58].

والأخلاق التي يقصدها إدغار موران لها منابع مختلفة -أي كونية-، لا يمكن أن نتعلمها من خلال دروس، بل يجب أن تتكون في الذهن منذ بداية نشأتنا المبنية على وعينا بكون الماهية البشرية هي في نفس الوقت ، الفرد والمجتمع والنوع، "لذلك وجب على كل تنمية بشرية حقيقية أن تجمع بين تنمية الاستقلال الذاتي الفردي، وتنمية التضامن الإجتماعي، وتنمية الوعي بالانتماء إلى النوع البشري"[59].

يقودنا هذا التحليل إلى طرح السؤال: كيف نفكر في الإصلاح"؟[60].

يقول إدغار موران: "إذا أسسنا هذه الكراسي السبعة للمعارف الضرورية، مع ضرورة إعادة تدريب وتأهيل المدرسين ليكون في مقدورهم القيام بالتدريس الذي يتطلب تأهيلا متينا وقدرة على الجمع والتركيب، فإن الإصلاح يكون ممكنا ويمكن لنا التقدم ومواجهة قدرنا"[61].

[57]- المصدر نفسه، ص100

[58]- إدغار موران، الثقوب السبعة للمعرفة، للمحاضرة التي ألقاها عالم الاجتماع الفرنسي المرموق إدغار موران في الرباط، مصدر سابق

[59]- إدغار موران، تعليم الحياة بيان لتغيير التربية، من سلسلة مجال الممكن لنغير التربية، منشورات ضفاف، ترجمة الطاهر بن يحي، بيروت، سنة2016، ص142

[60]- إدغار موران، الثقوب السبع للمعرفة، مصدر سابق.

[61]- المصدر نفسه، ص101

خلاصة:

القرن العشرون هو قرن الأزمات المتعددة كما يلاحظ موران، فلقد عاشت فيه الحضارة الغربية - علاوة على نشوب حربين عالميتين، وحروبا استعمارية إمبريالية، انتشرت كالنار في الهشيم- أزمات تتعدد آثارها وأبعادها، ابتداء من أزمة الفرد، مرورا إلى أزمات التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمعرفية، وكل أزمة تحدد فكرة التقدم وانتقال الإنسانية من واقع قديم إلى آخر جديد، وبالطبع الإبقاء على التراكمات العلمية والمعرفية، إلى أن ضاعف التطور في التقنية من مأساة عالمنا، لنعترف أن كل شيء في هذا العالم يعيش أزمة. وحسب تحليلات صاحبنا، فإننا نعيش أزمة رؤية، وأزمة وجود، وأزمة إنسان، ووراء الأزمات حلول في حد ذاتها تعاني من الأزمة، فحتى الحروب باتت تعيش الأزمة، لأن الحقيقة المرة التي يجب أن نعرفها هي، أن تاريخ الإنسانية في المجال العلمي والفكري بني على الأخطاء، والتي جعلت الإنسان يتقدم، لكن نحو الموت"[1].

إن مقاربة ادغار موران لفلسفة التربية، هي دعوة لخطاب التنمية الذاتية من خلال السعي إلى بلورة رؤية منهجية تربوية متجددة، بمعنى أنها دراسة فلسفية تهتم بدراسة مكنونات العملية التعليمية والتحفيزية الذاتية.فلا مندوحة من ربط الفلسفة والتعليم والتنمية بالعملية التعليمية. فيهتم بمبادئ وبأهداف ونتائج التعليم والتعلم. وتلك هي الفلسفة التي قدمها لتفعيل الحوار العالمي الذي يجب أن تنهض به مختلف المنظمات والهيآت الدولية، كمنظمة اليونسكو وغيرها....

[1] - ... إدغار موران، الثقوب السبع للمعرفة، مصدر سابق، ص110.

الفصل الثالث: المشروع الإصلاحي عند موران: "بيان من أجل سياسة حضارية كوكبية واعية

المبحث الأول: ضرورة الإصلاح السياسي وأثره

المبحث الثاني: الحاجة إلى الإصلاح القيمي والإيتيقي

المبحث الثالث: مقاربات إدغار موران: مراجعة نقدية

المبحث الأول: ضرورة الإصلاح السياسي وأثره.

توطئة:

إن الإصلاح عملية طبيعية وحضارية تستدعيها الظروف من أجل تغيير الواقع،الذي يعاني من الأزمات بواقع أفضل، فهو الطريق الانفراج نحو مستقبل واعد، يتم عن طريق الانفتاح السياسي تسود فيه قيم العدالة والمساواة، والحرية، واحترام حقوق الإنسان، وترتفع فيه مستوى معيشة الأمة، وتنخفض نسب الفقر، والبطالة، والأمية والفساد، والاستبداد، والطغيان وبالتالي فإن الإصلاح حاجة ملحة لا مفر منها، ولا يمكن تجاهلها ولا تأجيلها.

هنا تكمن قوة أي نسق سياسي معين على رصد مكمن الخلل، والمشاكل المترتبة عليه في الحياة العامة للدولة، وإيجاد الحلول الملائمة لها،فهي إذن عملية تستهدف مواجهة الأعباء التي يتعرض لها المجتمع التي يظهر ضررها بشكل عام، ويتضمن تطور في القيم، مع زيادة في المشاركة السياسية, ومن أهم عناصر الإصلاح السياسي هو"العدل" حيث يكون عاما وحق لجميع أفراد المجتمع دون اعتبار لمواقعهم الاجتماعية، وكذلك قدرته على أداء مهامه بشكل يمكنه من الحفاظ على الاستقرار العام، بالإضافة إلى تمايز الأدوار وتحوير الوظائف داخل المجتمع[1]. ويعني مصطلح إصلاح السياسية أيضا تحول إلى الديمقراطية، أي العزوف عن الاتجاه اللاديمقراطي، كما يشير إلى ما يسمى بعملية التحديث السياسي، لتحقيق التكامل القومي من خلال إذابة الفوارق القومية، والدينية، والعرقية، وكذا الأيديولوجية في بوتقة الوطنية وفي إطار النظام السياسي الكفء، ذي الفاعلية والشرعية القادر على أداء المهمات الأساسية للحكومة وفقا لردود فعل المواطنين، والإيمان الشعبي بأن النظام السياسي القائم هو أكثر ملائمة لها[2].

ويشترط توافر عناصر أساسية، منها مجتمع يرغب في النمو تحت شرعية النظام السياسي، مبني على ديمقراطية تشاركية، يؤمن بالتعددية والمساواة والحرية. كما يتطلب تحقيق آليات

---

[1]- عبد الفتاح حلوة، دور المجتمع المدني في التنمية البشرية، رسالة دكتوراه من جامعة محمد الخامس، المغرب متاح على الموقع الإلكتروني http://universiterissala.maktoobblog.com/264267

[2]-عبد الفتاح حلوة، دور المجتمع المدني في التنمية البشرية، المرجع نفسه، نفس الموقع .http://universiterissala.maktoobblog.com/264267

نظم حكم الراشد، تقوم على أساس المسؤولية، والمحاسبة، والمشاركة، والشفافية وسيادة القانون، بحيث تسمح بضرورة مشاركة الجميع في عمليات التنمية، والاستفادة من عائدها، وتعمل على إدماج المجموعات المهمشة في المجال المشاركة السياسية.

1ـ البعد السياسي لمشروع السياسة الحضارية:

مشروع لإصلاح الذي يتقدم به الفيلسوف موران، يتصف بالجدة والتميز من حيث انه يواكب سيرورة التغيرات الكبرى لتاريخ الحضارة المعاصرة، من منطلق نظرة تشاؤمية بارزة. فالكوكب الأرضي منخرط في مسار يقود البشرية إلى كارثة متوقعة، ووحدة الجنس البشري عاجزة عن حل الأزمات الكبرى المتعددة- الإيكولوجية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية- التي تهدِد الوجود، وبالذات للحضارة السائرة في طريق التوحيد.

تبنى "السياسة الحضارية" عبر إصلاحات اقتصادية وسياسية وتربوية، وعبر تجديد الفكر السياسي الذي يحاول أن يرسم حدوده، فالنسق السياسي في المجتمع يتفاعل مع الأنساق الأخرى الاقتصادية والثقافية، لكنه يتميز بما ينطوي عليه من أولوية، فهو المسؤول عن ممارسة القوة العليا في المجتمع، وقراراته ملزمة لكافة أعضائه.كما أن له القدرة على تحريك وتعبئة الموارد البشرية لتحقيق الأهداف التي تحدد من طرف الأنساق الأخرى. هكذا يتصور إدغار موران منهجه الذي تقوده سياسة حضارية لإنقاذ الإنسان وتنميته، لا يقدمه للغرب، وإنما يقدم مشروعه إلى البشرية جميعا.

ما يدعو إليه إدغار موران هو الرؤية المتزامنة للظواهر في المجتمعات الحديثة، ولحركة التاريخ. فليس هناك خط واحد للحضارة، كما يعتقد الكثيرون، أي خط تقدم وتأخر، ذلك أن هذا الخط مرتبط بخط التاريخ أو حركته التي يتصورها البعض، أفقية متواصلة تسير من تخلف الماضي إلى حاضر متقدم، أو متحضر.

يرى موران أن التحضر والبربرية، ظواهر تتزامن، فالمجتمع الذي يعد متحضرا قد يكون كذلك في جوانب منه وبربريا الوقت نفسه، ولا شك أن هذا اللون من القراءة التي يقترحها موران لتحديد وضع المجتمعات ويستقرئ بها حركة التاريخ هو ما يفاجئ الكثير ممن لا يرون العالم إلا من زاوية أحادية أو ضيقة، التي ألفنا سماعها مثلا:إفريقيا متخلفة وأوروبا متقدمة، أو أن الماضي اتسم بالبداوة والتوحش، أما الحاضر نموذجا للتقدم، لكن الواقع أعقد من ذلك،

أو أكثر تركيبية بكثير، فبحسب موران فإن الإنسانية تواجه تحديات كثيرة، هذا ما يدعو إلى تبني إصلاح سياسي تقوده سياسة حضارية تقتضي وتفرض بدورها تغييرا للحياة.[1]ذلك أن الإصلاحات السياسية، والإصلاحات الاقتصادية، والتربوية وإصلاحات الحياة عموما التي تتكفل بها الأنظمة، كانت وما تزال وستبقى غير كافية ومحكوم عليها بالفشل.إذ ليس بإمكان أي إصلاح يقتصر على مجال معزولا أن يتطور، إلا في ظل إصلاحات أخرى متزامنة.

إن المواقيت الإصلاحية يجب أن تكون متلازمة زمنيا، ومتفاعلة ومترابطة، هي الهدف الأساس والغاية التي يبني عليها إدغار موران مشروعه الاصلاحي، وفق منهج التفكير المركب، فوحده الفكر القادر على استيعاب التركيب ليس في حياتنا ومصيرنا وفي علاقة الفرد/ المجتمع/ النوع وحسب، بل ومصيرنا الحالي، وتحديدا الإصلاحات الحيوية الضرورية لتغيير الاجتماعي، والفردي نحو الأفضل[2].

أما مهمتها، حسب موران ستكون العمل على تنمية وتطور أفضل ما في الحضارة الغربية، وإبعاد أسوأ ما فيها، وتقوم بإحداث تكامل بين الحضارات، هذا ما سيخلص الغرب من معاناة هيمنة الكم على الكيف، ويخلصها من انحطاط جودة الحياة في المدن، وينبغي على سياسة الحضارة مراقبة محركات الكوكب من علم وتقنية وصناعة واقتصاد، عن طريق سلطة الأخلاق، فالمشاكل الإنسانية تحتاج اليوم مرافقة بعدين سياسيا وأخلاقيا.

تشكل الظاهرة السياسية امتدادا طبيعيا يرتبط بالمجتمعات الإنسانية، حيث بدأت هذه الظاهرة مع بداية وجود الإنسان، وتطورت مع تطور حياته وانخراطه في المجتمعات على مر الأزمنة، فكان الاهتمام والتكفل بقضايا المجتمعات وتطورها وسبل تنظيمها وانصهارها في شكل معين من أشكال سياسة الدولة[3].

يندهش إدغار موران – وبحرقة- عندما يعبر عن حيرته بعد تفجر الثورات المعلوماتية، في حين أنها لم تقم بالكشف عن التضليل السائد، ويقر بذلك بقوله: "ألسنا في عمى أسلافنا ...بل

---

[1]- عبد الدائم السلامي، إدغار موران السبيل لأجل مستقبل البشرية ، القدس العربي،14 أفريل2019، متاح على الموقع الإلكتروني :https://www.alquds.co.uk/2019/06/04/15h30m

[2]- عبد الدائم السلامي، إدغار موران، السبيل لأجل مستقبل البشرية، المرجع نفسه.

[3]- فهمي خليفة الفهداوي، السياسة العامة منظور كلي في البنية والتحليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان،2001،ص 29

أسوأ؟ أليس هذا ما يحدث لنا: لا نعرف ما يحدث لنا ؟ ليواصل إدغار موران في تساؤلاته "إننا لا نستطيع صرف النظر عن البعد السياسي: "إذا أردنا فهم عالمنا وزماننا و التأثير في مصائرنا و قدرنا .....ولكن كيف نتصور السياسة؟"[4].

مما لا شك فيه أن السياسة أصبحت تمثل أكبر تحديا داخل المعرفة، وتتكفل بمعالجة أعقد ما تعيشه المجتمعات، وعلاقتها بالشؤون الإنسانية غدت بالغة التعقيد، إن حياة كل البشرية أصبحت تتوق على التجديد السياسي ذلك ما نعيشه في عالمنا المعاصر[5]. فمصير العالم قد يتوقف في أغلبه على المصير السياسي، الذي يتوقف بدوره على مصير العالم، فالسياسة لا يجب أن تكون صراعا بل إدارة، وفي هذا ينبهنا إدغار موران، إلى تعقيد مفهوم السياسة وشموله لكافة مناحي الحياة الحضارية. إن ممارسة السياسة، ظلت ضمن تكوين ذاكرة تاريخية وصفية للمفهوم خالي من القيم.

ومثلما ينتقد إدغار موران الحضارة الغربية بكل مفاصلها وإحداثها، ينتقد الواقع السياسي، الذي لم يتمكن من بناء استراتيجية تقود الأمم الغربية إلى بر الأمان، بل ساهم في سيرها نحو الهاوية، وما ستخلصه موران أن السياسة لا تملك وسائل الفكر الكلي اليوم، لأن ''السياسيين أصبحوا أشبه بالأميين، لأنهم لا يملكون الوقت لتكثيف خبراتهم العلمية، ولا حتى قراءة أعمالهم أو قراءة المستجدات الفكرية الاقتصادية، فهم لا يستشيرون إلا تقارير خبرائهم، فهم إذن لا يملكون سوى معرفة جزئية، يبنون عليها يوما بعد يوم، استنتاجاتهم الخرقاء، لذلك نجده يطالب بتجديد الفكر السياسي لرجال السياسة كمطلب حضاري إنساني.

أ- مقاومة البربرية مسؤولية حضارية:

اكتشف موران أن الماضي البشري في بلاد الغرب يعج بالبربرية المتعطشة للقضاء على الآخر، ذلك ما نستخلصه حين نتفحص تاريخ الحضارة الغربية، هذه الحضارة التي عانت منها الأمم الغربية مثلما عانت منها الأمم الأخرى، وليست البربرية صفة تلازم الحضارة وإنما هي جزء لا يتجزأ منها، فلا توجد علامة من علامات الحضارة أو فعل من أفعالها إلا ويساير في

[4]- إدغار موران، مقدمات للخروج من القرن العشرين، ترجمة أنطوان حمص، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1993، ص9.

[5]- المصدر نفسه، ص 10-11.

الوقت ذاته فعلا بربريا، فلا تسمو الحضارة إلا ببربريتها إلا استثناء، إذا البربرية مكون أساس للحضارة من المستحيل التخلص منه، ولكن بالإمكان أن نحترز منه ونقاومه.

ـ ابتداء من الغزوات التي كانت تنتهجها المجتمعات القديمة التي ارتبطت بسلطة الدولة، وبالغلو الذي دفعها إلى ممارسة عمليات الإبادة والتخريب، والسلب، والاغتصاب، والاسترقاق، تحت متطلبات الحيوية لضمان الحصول على الغذاء،تجاوزت كل الأعراف الإنسانية، ليربط إدغار موران تاريخ هذه المجتمعات بتاريخ الحروب التي"لم تتوقف، لكن هذا التلازم لم يمنعه من ملاحظة أن هذه مجتمعات أنتجت الفنون والثقافة وطورت المعارف،وعرفت ظهور نخبة من الفلاسفة والعلماء، بالموازاة مع البربرية، لم تخل بعدها الحضارات القديمة أو الحديثة من البربرية، حيث تجلت في عمليات الإبادة،والاسترقاق، والنهب، والتخريب الممنهج، مرورا إلى المجتمعات الكبرى، التي تطورت فيها عوامل الانحراف والجريمة، فتاريخ الأمم يبن لنا أن الإمبراطورية الرومانية كانت تمارس أعنف أشكال الغزو البربري في العصر القديم، الذي قاد إلى قيام حضارة كبرى، وبالمثل كانت البربرية الدينية، ـ ونستثني هنا الدين الإسلامي الذي يخلو من البربرية في حقيقته، حافلة بالقمع ومتعطشة للقضاء التام على من يخالفها.ولقد مثلت الديانة المسيحية النموذج الأبرز التي مارست هذيانها بالاعتماد على آلاتها الحجاجية الواهية، فقضت على كل من يخالفها، واحتكرت الحقيقة لنفسها، ومارست المطاردة وانتقلت من التطهير الإثني إلى التطهير العرقي الذي كان ضحيته المسلمون، واليهود، حيث خيرتهم بين اعتناق المسيحية أو الطرد، بيد أنها مارست عليهم التصفية في أغلب الأزمنة. وفي آخر معاقل الحضارة الإسلامية، تم اعتماد محاكم التفتيش في إبادة الموريسكيين في بلاد الأندلس، لتفرض صفاء الدم، وتطهير العرق.

لقد عبرت أوروبا عن احتكارها للفعل البربري بكيفية أكثر دمويا، وأكثر كثافة، والأكثر ارتباطا بتشكيل الأمم الأوروبية الحديثة[6]. يستدل إدغار موران بأمثلة مختلفة عن تطور النزعة البربرية الأوروبية بداية من العصر القديم مع الحضارة الرومانية واليونانية، وصولا إلى العصر الحديث مع تشكل الأمم الأوروبية الحديثة أبرزها إسبانيا، فرنسا، البرتغال، إنكلترا، ويبرهن على تلازم

[6]– إدغار موران، ثقافة أوروبا و بربريتها، ترجمة محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، المغرب، سنة2007، ص11

مستعص بين الحضارة والبربرية، جعل أوروبا تختبر وتمتهن كأشكال البربرية الخاصة بالمجتمعات التاريخية "كالتعصب الديني، والتطهير العرقي، وتصفية المجتمعات الصغيرة العتيقة، والاسترقاق، والاستعمار ونشر الأمراض.

تحولت هذه البربرية في صيغ أخرى إلى الحروب أهلية متعلقة بالدين داخل أوروبا، ثم إلى حروب بين الأمم لتزيد هذه البربرية من حدة التوجه السائد لدى كل أمة، للقيام بالتطهر الديني[7] يحصي إدغار موران كرونولوجيا خمسة قرون من البربرية الأوروبية، إلا أنها حسبه، على رغم ضراوتها، تحمل من المخرجات حضارية التي أنتجت بفعل اتصالات خلاقة بين الثقافات، وإذا كان من الصعوبة الحسم في جوهرية الخصائص الايجابية أو عرضها، فإن هذا الواقع ينبغي أن يدفع، برأي موران، نحو التأكيد على التعارض والتعقيد الملازمين لتحديد ما ينتمي لحضارة وما ينتمي للبربرية، والعمل لا على القضاء عليها، لأن هذا تلازم طبقا لأحكام الفكر المركب بين الحضارة والبربرية، وإنما العمل على جعلها كامنة وجامدة بلا روح.

ب ـ الثقافة سبيل للوقاية من البربرية:

يكشف إدغار موران عن الجانب الايجابي في الثقافة الأوروبية، التي تمثل مضادات واقية التي تكشف الوجه الآخر للحضارة الأوروبية، والترياق الكفيلة ببعث الروح في فكرة الأخوة الإنسانية،كأحد أهم المقولات "النزعة الإنسية الأوروبية،التي بدأت تتكون إبان النهضة، الموروثة من الديانة اليهودية، والمسيحية.[8] التصور الذي أدى برأيه، إلى احترام الحياة الإنسانية، لكنه قاد أيضا إلى النزعة الساذجة المتمركزة حول الإنسان" التي ستصبح مصدراً لجنون العظمة[9].

إن روح الأخوة الذي انبثق من المنبع الديني المسيحي، لتنظم إلى المنبع الثاني، المتمثل في العقلانية اليونانية، وبذلك سيرتبط العاطفي بالطابع للعقلانية، لتشكيل النزعة الإنسية الأوروبية التي يسندها رينيه ديكارت، بجعل الإنسان سيدا ومالكا للطبيعة، إلى أن أدرك الجميع في العهد المعاصر أن السيطرة على الطبيعة تقود إلى تدهور الحياة، والمجتمع الإنسانيين، وتدهور المحيط الحيوي، ثم هناك الوجه الثاني، الذي ينبغي أن تتجه إليه في النزعة الإنسانية، والذي يفرض

[7]- إدغار موران، ثقافة أوروبا و بربريتها، مصدر سابق، ص 13

[8]- المصدر نفسه، ص 24.

[9]- المصدر نفسه، ص 24.

احترام جميع الكائنات الإنسانية كيفما كان جنسها، عرقها، وثقافتها،[1]، لكن المؤسف أن الغرب الأوروبي جعل هذه النزعة الإنسية تقتصر على المنتسبين إليه، وأقصى منها الشعوب الأخرى المختلفة التي اعتبرها بدائية، وبربرية، ولم يجد فيها أبدا فرصة للاغتناء من ثقافتها الثرية والمتنوعة. ما يريده إدغار موران ويسعى إلى تحقيقه، هو تغليب جانب الترياق الواقي للحضارة على البربرية من خلال الاستثمار في الأفكار التحررية"المستلهمة من النزعة الإنسية، في السيرورة التي يسميها بالعهد الكوني فهي تحمل، برأيه، الآمال التحررية للبشرية.

وهذه النزعة التفاؤلية التي يطالب الإنسانية بتحقيقها "يقول إدغار موران :"ما يجب أن تؤدي إليه التجارب المأسوية للقرن العشرين هو المطالبة بإنسية جديدة"[2]بامتلاك القدرة على التفكير في البربرية الأوربية لتجاوزها، لأن الأسوأ ممكن دوما، ففي قلب البربرية المهددة للإنسان، لا نتواجد لحد هذه اللحظة، إلا في واحة صغيرة نحتمي بها، ولكننا نعرف أيضا أننا نوجد في ظروف تاريخية وسياسية واجتماعية تجعل من الأسوأ أمرا قابلا للتحقق، وخصوصا إبان المراحل التي يبلغ فيها التأزم حد الانفجار[3].

إن الاعتراف بالهمجية شرط على غاية من الأهمية دون أن يعني ذلك تبسيطا أو تزويرا للحقائق والأمور.فلئن كان الأوروبي يعلم أن يعلم كاعتراف مسبق،أن تاريخه مغرق بالمجازر ضد الإنسانية. لهذا وجب عليه الجمع بين الندم والاعتراف، ولا بد لهذا الاعتراف أن يمر عن طريق المعرفة والوعي،حتى يعرف الإنسان الأوروبي ما وقع فعلا، ما اقترفته الأنظمة الغربية في حق الشعوب الإفريقية، العربية الإسلامية، وفي أمريكا اللاتينية وأسيا، وأن يعي بتعقد هذه المأساة العظيمة، ولا بد أن لهذا الاعتراف أن يشمل جميع الضحايا من يهود، وغجر ومثليين جنسيين، وأرمن، والمحتلين في الجزائر، فهي من الضرورة بمكان، إذا أرد التصالح مع الانسانية وتجاوز الوحشية الأوروبية[4]. ذلك أن الأسوأ مازال ممكنا. ففي قلب الهمجية المتوعدة، نحن الآن في

[1]- إدغار موران، ثقافة أوروبا و بربريتها، ترجمة محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، المغرب، سنة2007، ص 25.
[2]- إدغار موران، ثقافة أوروبا و بربريتها، مصدر سابق، ص 57.
[3]- مزوار محمد سعيد، "عنف أوروبا و الغرب لم ينته".متاح على الموقع الالكتروني: .
https://pulpit.alwatanvoice.com content >prin بتاريخ 2019/07/18 14h25m
[4]- أحمد عطار، ثقافة أوروبا و بربريتها لإدغار موران...الطريق إلى الحياة متاح على الموقع الإلكتروني:
www.alhayat.com 2019/07/12 15h30m

حماية نسبية، بيد أننا ندرك أيضا أننا نعيش في ظروف تاريخية سياسية اجتماعية تجعل من الأسوأ مرتقبا، وبالخصوص خلال الفترات العصيبة[1].

إن البربرية التي يتحدث عنها موران خلفت مائتي ألف قتيل الذين ألقيت عليهم القنبلة النووية من جهة، ومليونين بمن فيهما خمسمائة ألف من فرق التدخل من جهة أخرى، كان يمكن أن يكون مستقبل أوروبا ثمنا لاستمرار الحرب بالوسائل الكلاسيكية.

إذن ما يجب على الأوروبيين تجنبه هو الإحساس بالرضا، وتباهي بالتفوق على الأمم الأخرى، لأنه شعور خاطئ، ولابد لعمل الذاكرة أن يحمل إلينا وحشية الهمجية المتمثلة في الاستعمار والعنصرية السوفييتية والنازية، هذه الوحشية حين تندمج ضمن الفكر الأوروبي، تجعل كل متتبع يدمج روح الهمجية في الوعي الأوروبي، انه شرط لا غنى عنه للتغلب على الأخطار الجديدة للبربرية، ولكن فما نحتاجه هو وعي مزدوج ضمن الوعي بالهمجية ،لابد أن يندمج الوعي بأن أوروبا كذلك صنعت من خلال النزعة الإنسانية، والتوجه الكوني والصعود المطرد لوعي كوني مضادات همجيتها الخاصة بها، ذاك هو الشرط الثاني لقهر المخاطر الحاضرة دائما المتمثلة في همجيات جديدة وأسوأ.

هي ظاهرة متناقضة في ظاهرها يجب الإيمان بها. فمن المعلوم أن أوروبا كانت موطن الهيمنة الهمجية على العالم، فإنها كانت كذلك موطن الأفكار التحريرية، كأفكار حقوق الإنسان والمواطنة، والحرية والديمقراطية، التي استفادة منه الأمم المستعمرة، والمستعبدة في إفريقيا حين استلهمت من الأفكار التحريرية الأوروبية وانطلاقا من حقوق الشعوب، وحقوق الإنسان، وحقوق الأمم تحققت مسارات الانعتاق[2].

هكذا ينطوي فكر إدغار موران لمعالجة ظاهرة الهمجية، التي تمثل وجه بارز للحضارة ضمن أسلوبه الذي يناهض الرؤية ذات زاوية النظر الوحيدة أو الجزئية، إنه يركز دائما على محاولة

---

[1]- إدغار موران، ثقافة أوروبا و بربريتها، مصدر سابق، ص57-58.

[2]- سليمان عز الدين، وصفات إدغار موران للانعتاق من البربرية الأوروبية 2016/08/22 : http://www.alkhaleej.ae/supplements/page/5e12b351-5d7b-424b-be1e-0114b82e757e#sthash.sxx8iojA.dpuf 2019/08/12

الجمع بين الجوانب المتناقضة من الواقع، فهو ما فتئ يذكرنا بالترابط والتركيب القائم بين العناصر التي تبدو لنا متناقضة على مستوى الظاهر، فالوحدة والاختلاف مفهومان متناقضان ظاهريا، لكنهما مترابطان ومتكاملان في العمق. وبنفس الترابط والتكامل تعيش الهمجية والحضارة، هذا هو المنطلق الفكري الأساسي الذي يؤطر رؤية موران.

ما يعتقد موران هو أننا في عصر تراجعت فيه البربرية الأوروبية بشكل كبير، ويتصور أن الترياق الثقافي كان له دورا كبيرا في هذا التراجع، ابتداء من القرن السادس عشر، عندما بعثت النهضة الإرث اليوناني واللاتيني مجددا، وقد عمل هذا الإرث على تفجير الطوق اللاهوتي، وأنتج استقلالا للفكر،وسمح بتطور العلم الذي تأسس على مرتكزات: النزعة التجريبية، والعقلانية النظرية.

2 –السياسة الحضارية والتنمية من منظور متجدد:

تندرج أطروحة إدغار موران للخروج من الأزمة التي تعرفها البشرية، ضمن سياق الفكر الكوني الذي يتبناه كطرح لإنقاذ الإنسانية،استنادا إلى قاعدة معرفية فكرية خالصة، متخذا منه بديلا لمفهوم التنمية المفخخ المغرق في الوحشية المقننة للنيوليبرالية التي تعبر عن وجهة نظر فكرية تبنتها القوى الغربية لنهب خيرات الشعوب المستعمر والمستضعفة، تحت مضلة مساعدتها للخروج من التخلف، بيد أن نهج إدغار موران بهذه الكيفية، يتقاطع مع مؤشرات عديدة مقترحة من طرف الأمم المتحدة في تعريفها وترويجها لنهج التنمية البشرية،فهو يطلق على نهجه الفكري والعلمي الجديد تسمية"سياسة الحضارة". ولأن المفاهيم تخضع للتطور الحيوي، شأنها في ذلك شأن الظاهرة الطبيعية والاجتماعية وكل مفهوم أصيل يولد بضرورة من منطلق الحاجة إليه، يسعى مفهوم السياسة الحضارية إلى تلبية متطلبات العصر، وهو كفيل بمهمة التحول الانساني إلى الأحسن والأجود.

ما استخلصه إدغار موران أن العالم الغربي المتحضر، لم يلتزم بما تعهد به من توفير السعادة للجميع انطلاقا من السعادة المادية، ومن السلام، ومن تقليص الفوارق الاجتماعية، بل على العكس من ذلك، يلاحظ بمرارة أن رغد العيش المادي، قد أنتج في النهاية حالة من "قلق العيش"عند لإنسان الغربي، الذي تؤكده سلوكياته السلبية المتمثلة في تناول المسكنات التي يستهلكها الشباب، ولجوء أفراد المجتمع المستمر إلى الهيآت الاجتماعية، والطبية والنفسية،

والروحية المختصة، لكي تتصالح مع أجسادها العليلة نفسيا. وهو ما جعلهم في حالة هستيرية للسعي والبحث الدائم عن متنفس آخر مختلف من خلال الكتب، والمنتوجات البيولوجية، والدورات التدريبية، والعطل المختلفة، وكلها تؤكد على أن ثمة قلقا في الحضارة يحتاج إلى إصلاح عميق وشامل، وإن كانت تقوده السياسة. إلا أن موران يبدأ من عالم الفكر والعقل، ومنهج التفكير وعلاقتنا مع الآخر، والمحيط الخارجي. وهذا كله مرتبط بإصلاح منظومة التعليم والعلم والإبداع التي تثري العقل، والذي يمثل"الرأسمال البشري والاجتماعي"، كجوهر للإصلاح الشامل، أو التنمية البشرية، مستدامة فرديا وجماعيا.

أ- متطلبات السياسة الحضارية:

يقول موران: "إن عبارة سياسة حضارية فرضت نفسها علينا منذ سنوات الثمانينات، وهي ترتبط بما يسميه سياسة الإنسان، عبارة تفيد سياسة متعددة الأبعاد والانشغالات"[1]، لأن كل مشاكل الإنسانية تكتسب اليوم بعدا سياسيا. فهذه السياسة أخذت على عاتقها مهمة القضاء على بربرية العلاقات الإنسانية، المتمثلة في استغلال الإنسان للإنسان، والأنانية، والتعصب العرقي، والقساوة واللاتفاهم. يؤكد إدغار موران أن هذه السياسة، تهدف إلى إزالة الحواجز التي تعيق العلاقة الفهم والتفاهم بين الفرد والمجتمع، كما تهدف إلى إزالة كل الأسباب التي تؤدي إلى التفرقة ورفض الآخر، من خلال رعاية الجميع تحت شعار واحد وهو من أجل المجتمع الإنساني.

ـ ما يمكن أن نصف به سياسة الحضارية هي أهمية الاعتناء، والاهتمام، والاعتراف بالإنسان تعتبر أهم جزء في المشروع الحضاري لإصلاح الحياة البشرية وتنميتها، وتحديدا يقصد إدغار موران في هذا المطلب تفعيل خلق التضامن داخل المجتمع، وداخل الفرد نفسه، ويعني به تحرير القوى غير المستعملة للإرادات الخيرة الموجودة في سريرة الإنسان، ويقصد بها هنا "التنمية الذاتية"، والسبيل لإظهار الوعي لدى كل فرد بمشكل التضامن الملموس[2]. يصف موران حالة المجتمع الانساني عامة،والأوروبي خاصة، قائلا " ندعي معالجة مشاكل كالبطالة انطلاقا من منطق اقتصادي مغلق، بينما من الواجب معالجتها داخل إشكال كبير للمجتمع،

[1]– إدغار موران، نحو سياسة حضارية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ترجمة أحمد العلمي، ط01، 2010، بيروت،ص38

[2]- المصدر نفسه، ص41

والانطلاق من حاجيات الحضارة التي تتطلب من تلقاء ذاتها مناصب شغل جديدة ولا يكفي الانطلاق من البعد الاجتماعي الذي قد يضع البعد الحضاري بين قوسين"[3]، ولا يعني به نشر التضامن بل ما يشعر به، لذلك يدعو إلى تفكير في التضامن سياسيا لأنه أهم المبادئ التي يتحقق بها تطور المجتمعات التي تعاني التشرذم والتجزئة، فلا يمكن لمجتمع أن يتقدم بشكل معقد، إلا إذا حقق التضامن بين أفراده، لهذا ينبغي إنشاء "دُور تضامن" على مستوى محلي تشتمل على مساعدات طارئة عند حدوث الأزمات وعلى خدمة مدنية للتضامن خاصة بالشباب، لأن إصلاح الحياة لا يستند إلى ضمائر الأفراد فحسب، بل أيضا إلى مجموعة من الإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

إن التعاطف والرفق واللطف والاهتمام بالآخر قيم موجودة فطريا في كل البشر، باعتبارها استعدادات جوهرية منبعها الغريزة والفطرة الإنسانية السليمة[4]، وتستحضر بالخصوص عند الكوارث الكبرى حيث ينبعث هذا السلوك، وينشط من جديد بصفة عفوية وزخم من السخاء، تعزيزا للعلاقات الإنسانية على كوكب الأرض، هذا الاستعداد الفطري يتطلب الرعاية، والتحفيز، والتشجيع، في مقابل التضامن المجهول الذي تتكفل الدولة به، الذي لم يعد كافيا.

تشير سياسة التضامن كذلك، إلى أن ننظر فيما وراء اهتماماتنا الشخصية[5]، حتى ندرك أن كل نوع بشري هو جزء من نفس العائلة، بغض النظر إلى الفروق الدينية، والقومية. فكل الكائنات البشرية لها حقوق متساوية في الصحة والحياة والأمان والرخاء، مما يستلزم الوعي بتضامن

---

[3]- إدغار موران، نحو سياسة حضارية، مصدر سابق، ص 37

التنمية الذاتية: على مستوى الاجتماعي: هي عملية التحول المستمرة للمجتمع المحلي، تؤدي إلى إطلاق الطاقات الكامنة فيه، والتي تنمي قدراته على التجدد الذاتي، و تمكنه بالتالي من التعبير عن هويته وقيمه الحضارية المميزة، والتنمية الذاتية قد تبدأ بعوامل مساعدة من خارج المجتمع المحلي، أو تكون نابعة بالكامل من داخله. هي دعوة لمشاركة عامة الناس في التنمية، وإطلاق طاقاتهم الخلاقة وقدراتهم على التفكير والخيال والتعاون والعمل، مما يفتح المجال للإبداع المحلي في كل المجالات الفعالية الإنسانية والنهوض الحضاري في كل مكان. هي دعوة لتخطيط يبدأ بإعطاء دور رئيسي لمشاركة عامة الناس وتوظيف طاقاتهم الخلاقة في التنمية، مما يمكن أن يفضي إلى نموذج جديد للتحديث؛ قائم على الإبداع المحلي والاعتماد على الذات. وأما على مستوى الفرد: النظر لكل إنسان باعتباره معجزة في ذاته، وأن لديه إمكانات كامنة للفعل والإبداع تميزه عن غيره من بني البشر. وتتيح التنمية الذاتية على مستوى الفرد أيضا- الفرصة للتفاعل النفسي/الاجتماعي في حدود طاقة الفرد على التواصل والتفاعل والعمل والمشاركة الإيجابية في مجتمعه المحلي، وكذلك في حدود قدرته على أن يرى ويلمس ويدرك ناتج تفاعله وعمله، فيستطيع الفرد بالتالي أن يصحح رؤيته ويعدل مسار عمله ويعيد الاختيار، فيدخل في دائرة تفاعل جديدة .

[4]- إدغار موران، نحو سياسة حضارية، مصدر سابق، ص36

[5]- إدموند ج . بون، التغير العالمي من أجل بشرية أكثر إنسانية، المركز القومي للترجمة، ترجمة سماح خالد زهران، ط1، القاهرة، 2015، ص 21

مع الأفراد الجنس البشري الذين يعانون من الفقر والمرض، أو ظروف حياة لا آدمية، بغض النظر عن من هم، أو أين يعيشون، وهذا الوعي يولد الشعور بهم والرغبة في التضامن معهم، هذا الخلق الذي ينبغي أن يقودنا إلى تفتح على بعضنا البعض، ونتجاوز حالات التشيؤ التي طغت على علاقتنا.

إن السياسة الحضارية أخذت على عاتقها مهمة القضاء على البربرية، فراهنت على دعم مشروع الثقافة الجماهيرية من خلال نبذ كل ما يمنع الاعتراف بالآخر والتعايش معه، وتنمية وتعزيز ما يجعل من الآخر أنا غيرية[6]. ما يلاحظه إدغار موران " أن سياسة الحضارة تشجع على انبعاث المزيد من التشارك، والتآخي، والحرية وتطلع أقل سذاجة، مما كان عليه بالقرن الماضي، الذي كان في أصل الحركة الاشتراكية، فهذه السياسة أصبحت المؤشرات التي تقول بأنه مشروع ناجح فقط يتطلب إلى نفس طويل"[7]. أي أن سياسة الحضارة هي مشروع إحيائي للحركة الاشتراكية، إلا أنه أكثر نضجا وأكثر توقانا إلى المستقبل مما كانت عليه، يقول إدغار موران: " إن الأمر لا يتعلق بإحلال كل سياسة داخل سياسة الحضارة، لان المشاكل الكلاسيكية ستظل قائمة، بل المطلوب هو تنمية الجوانب الإيجابية للعلوم والتقنيات والدولة والرأسمالية والفردية ، بالاستثمار مثلا في البحث وخلق طاقات متجددة، وتشجيع صناعة السيارات الكهربائية، والمراهنة على المناهج الجديدة في مجال البيو بيئية، أو البيو جينية، من أجل إصلاح الزراعات، والمراهنة على الأجيال الجديدة من الحواسيب الذكية، القادرة على تغيير برامجها، لتخفف من الهيمنة على الإنسان"[8].

ومثلما يحمل التشاؤم، فهو يتفاءل، حين يصرح "ليس من المستحيل أن يتألق قرن المستقبل، إن لم يكن قرننا هذا زاخرا بالسلم، والتوافق، والحرية ليشكل نموذج لحضارة كونية[9]. لكن فرضية حدوث كارثة هي أيضا احتمالية والدواء الوحيد بإزاء الهشاشة القصوى للتعقيد هو الشعور المعاش بالتضامن[10]، فالمشكل الذي تعاني منه الإنسانية، لن يكف في كونه في كثير

---

[6]– إدغار موران، نحو سياسة حضارية، مصدر سابق، ص37

[7]- المصدر نفسه، ص37-38

[8]- إدغار موران، نهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، دار كلمة هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث، ط01، أبو ظبي، 2009، ص267

[9]- إدغار موران، نهج إنسانية البشرية، مصدر سابق، ص260.

[10]- المصدر نفسه، ص260

من الأحيان،عبارة عن تلك الحالة من العلاقات البائسة، والوحشية بين الأفراد، والجماعات، والشعوب، كما أن السؤال الضارب في القِدم حول تحسين العلاقات بين البشر،الذي أثار الكثير من التطلعات الثورية، والكثير من البرامج السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والإيتيقية، بات السؤال المميز والحيوي للقرن الحادي والعشرين.

إن إيمان إدغار موران بإنقاذ البشرية من وحل الاندثار، الذي بدأت ملامحه تظهر من خلال ما وقف عليه شخصيا في رحلاته عبر مختلف الأقطار، جعله يطالب في كل المنابر الدولية بتعجيل مهام السياسة الحضارية، من خلال إنشاء هيئات ولجان عاجلة، تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة، تعتمد لها أموال خاصة لدعم الإنسانية المحرومة، والبائسة، والمريضة وإنشاء مكاتب عالمية في الدول التي تعاني من أزمات سوء التغذية والمتعرضين للمجاعات وللتكفل بالفقراء[11]. بالإضافة إلى دعم كل المنظمات غير الحكومية الناشطة في تحقيق التضامن. ويقترح على الدول أن تلعب دورا في توفير التعايش في ما بينها، ليتم بلوغ أرقى معاني الحياة الاجتماعية الغنية، خاصة منها الأوروبية، أن تبادر إلى تنفيذ هذه المهمة المستعجلة لخدمة المدينة الكونية، أو كما يصفها بالأرض الأم، التي يرى أنها تعاني في كثير من جهاتها، لا يلزمها بالدعم المادي فقط وإنما يرى في الدعم المعنوي دفعا قويا لتحقيق التضامن، لأن الذي يؤلم الفئات أكثر حرمانا هو شعور بالاحتقار،وبالظلم، وبالجور، كما أن الإنسانية اليوم مثلما هي بحاجة لثقافة جماهيرية، هي بحاجة كذلك إلى سياسة كونية. وعندما نقول سياسة كونية يقصد بها سياسة تحكم الحضارة الإنسانية جمعاء، فهذه السياسة من خلال احتوائها للعالم في قوانين واحدة، تهدف إلى الحفاظ على أمنه، ووحدته ككيان إنساني واحد.

لذا حسب إدغار موران ينبغي الوعي بوحدة مصير الإنسان، ووحدة مصالحه العليا في العالم، وبالتالي تدعيم أواصر التعاون والتضامن داخل المجتمع العالمي، والحد من سيطرة اقتصاد السوق عبر خلق ضوابط لتدجين الليبرالية المتوحشة، وإرساء عولمة مسؤولة ومتضامنة كفيلة بإنقاذ العالم من تطرف التقدم التقني[12] .

[11]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص77.

[12] -Eco Umberto, in Entretiens sur la fin des temps, Fayard, Paris, 1998; p. 255

إذا كان التضامن قيمة أخلاقية دافعت عنها الثورة الفرنسية فإنه يتجسد في كثير من الأنماط الواقع الاجتماعي، إلا أن أبرزها لا يقل على نمطين هامين:

أولا: في العلاقة القائمة بين الأشخاص الذين يتشاركون في الاهتمام بشيء معين ذلك أن نجاح القضية المشتركة يرتبط بتضافر جهد الجميع.

ثانيا: يتمثل في موقف شخص يهتم بأشخاص آخرين، ويبذل جهده في مهمة، أو موضوعات التي يهتم بها هؤلاء الأشخاص، ومن أمثلة ذلك الجهد الذي يقوم به أعضاء المنظمات والجمعيات دولية بلا حدود أو الغير حكومية في مساعد العالم الثالث[13].

نجد أن التضامن من حيث هو قيمة أخلاقية، ليس مقتصرا على جماعة دون غيرها، بل يشمل الجميع وهذا التضامن يتنافى مع الفردانية التي تنطوي نحو الاعتزال، بل اليوم قيم التضامن ذات أسهم صاعدة في إطار المجموعات، يتجسد في الشبان الذين يعملون في الحقول الاجتماعية، ومنظمات المجتمع المدني، والمنظمات التطوعية، فالتضامن أصبح الرغبة في العمل، وليس وجوبا وهذا الأمر الذي يهدف إلى الالتحاق بواحدة من هذه المهمات[14]. إذا سلوك التضامن من الأخلاقيات التي لا تنبع من إرادة مجردة، بل من خلال إرادة واعية وقادرة على خلق مصادر التغيير، لهذا لا يكفي أن تكون هناك إرادة فقط، بل يجب أن تتوفر الرغبة كم ذكرنا سابقا في التأهيل الفني، للقيام بتقديم المساعدة، التي لا تتسم فقط بأنها نوع من أنواع التعاطف، بل يجب أن تكون فعالة، بإخضاع العقل للإرادة وإخضاع الإرادة للعقل[15]. ومن البديهي أن نعرف هذا التضامن الذي يتطلع إليه إدغار موران هو تضامن كوكبي، يتجاوز حدود المجموعات، أو الدولة القومية، بل يمتد ليشمل البشرية جمعاء، وهنا نستنبط على أقل مجموعة من القيم كمخرجات للتضامن، منها السلام، تنمية الشعوب الفقيرة، احترام البيئة، بما في ذلك المحافظة على حقوق أجيال المستقبل.

---

[13]- عديلة كورتينا، مواطنون في العالم نحو نظرية للمواطنة، ترجمة علي المنوفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015، ص173

[14]– عديلة كورتينا، مواطنون في العالم نحو نظرية للمواطنة، مرجع سبق ذكره، ص174

[15]– المرجع نفسه، 175

ب ـ مهام منظمة الأمم المتحدة لتفعيل التضامن وفقا لسياسة الحضارة:

يقترح موران على هيئة الأمم المتحدة كجهاز دولي ضرورة إنشاء هيئة عاجلة، تتوافر على أموال خاصة، لإنقاذ وللتضامن مع الفئات المعوزة والمتألمة والبائسة كما يجب أن تتكفل هذه الهيئة بـ:

1 ـ توفير الأموال خاصة للإنسانية المحرومة، التي تعاني من الفقر وندرة الحاجة.

2 ـ توفير الأدوية بالمجان لعلاج أمراض العصر والأمراض نقص المناعة والأمراض المعدية.

3 ـ توفير المساعدات للمنظمات غير الحكومية، التي تتكفل بالقضايا الإنسانية خاصة أثناء الكوارث الطبيعية.

4 ـ توفير التعبئة لشباب المنتمي للدول الغنية، للمساهمة في خدمة الإنسانية المحرومة خاصة في العالم الفقير.

5 ـ توفير الكرامة والاحترام ورد الاعتبار، للبؤساء والفقراء، والمعوزين، والمرؤوسين والبروليتاريا، من خلال رفع الظلم والجهل عنهم.

6 ـ توفير فرعا للغذاء يقدم للسكان المحرومين الذين يعانون من المجاعة.

المبحث الثاني: الحاجة إلى الإصلاح القيمي والإيتيقي.

1- سياسة جودة الحياة:

مفهوم جودة الحياة، هو اسم جديد لفكرة قديمة، إنه المعنى الذاتي الذي يعبر به الناس عما يعرف بحسن الحال Well Being أو الوجود الأفضل، وعادة ما يعبر عن مفهوم جودة الحياة بتوفر مجموعة من الاحتياجات التي تجعل من الفرد سعيدا وراضيا، لذلك يأمل إدغار موران في أن تتجسد في رغد العيش في المعنى الوجودي، وليس فقط في المعنى المادي[16]. فقيمة الحياة ترتبط بالوجود الإنساني كتجربة وجودية تميزها المشاعر، والعلاقات الإنسانية. يصرح موران في خطبه العديدة أن ديانته هي الإنسانية التي يناضل من أجلها، يريد من نهج سياسة الحضارة أن يجسد السبل لتحسين جودة الحياة من خلال إشباع حاجياتها كيفيا، ولا يستثني الأمم غير الأوروبية بل كعادته يأمل في تأمين جودة الحياة للإنسانية كلها.

نستدل هنا بتعريفين هامين:

ـ **تعريف جودة الحياة عند Groulx**: شعور جيد وحصول على ما يلزم للتعامل مع حياتك بأفضل طريقة ممكنة"[17].

ـ **تعريف جودة الحياة عند Alfred Michael Doherty:** هي الوصول إلى تحقيق إشباع لكل الحاجات المادية والمعنوية للشخص بما يحقق به ذاته، ويحقق به رضاه المعبر عن الدرجة التي يحكم فيها هذا الشخص عن نوعية حياته باعتبارها حياة ملائمة[18].

إن أهمية جودة الحياة من أهم المفاهيم في علم النفس الايجابي وأول ما تدل عليه، هو شعور الفرد بالحب والأمن، الذي يؤدي بدوره إلى الشعور بتكامل النفسي والاجتماعي. إن جودة الحياة،هي الرضا والسعادة وقدرة الإنسان على إشباع حاجاته، من خلال ثراء ورقي الخدمات التي تقدم له في مجلات الصحية، والتعليمية، وخدمات الاجتماعية، والنفسية مع حسن إدارة الوقت والاستفادة منه لذلك يتبين لنا أن جودة الحياة مفهوم مركب متعدد الأبعاد، ونسبي يختلف من شخص إلى آخر من الناحيتين النظرية، والتطبيقية وفق المعايير التي يتم اعتمادها لتقويم

---

[16]– إدغار موران، نحو سياسة حضارية، مصدر سابق، ص37

[17]-Mar Krapley « Quality of life Research;SAGE publications;London; 2003. P50

[18]-WOLF gang Glatzer ; challenger for Quality of lif in the contemporary; World; Springer; Newyork; 2004; P 28

هذه الجودة، ومطالبها التي تتأثر غالبا بعوامل تتحكم في تحديدها، ومن أهمها العوامل الصحية، والتعليمية والنفسية والظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية (هنا نلتمس الالتقاء بين جودة الحياة ونهج التنمية البشرية). ولتحقيق جودة الحياة يقترح إدغار موران مفهوم المؤانسة كأهم مدخل لها التي يعرفها بأنها مودة تربط شخصا بشخص تتضمن المشاركة والمشاطرة – للغير وللجار والقريب ....- في أفراحه وآلامه ونضال ضد التشرذم وتلاشي الهويات، وتساهم في إثراء الحياة الاجتماعية، من خلال الانفتاح على الغير[19]، لتشكل كذلك السبيل للقضاء على جمود العلاقات الإنسانية، والأمراض النفسية، التي خلفتها الحضارة التقنية والرقمية المعاصرة.

السياسة الحضارية في تصور إدغار موران، كفيلة بإقصاء الأسباب العامة للتعاسة الإنسانية المتأتية من الكوارث، والحروب، والمجاعات. لكن من جهة أخرى لا تستطيع خلق السعادة وخلق ما يعيشه الناس، وليست بإمكانها خلق ما يشعرون به ولا خلق جودة الحياة، هي توجيهات يمهد بها إدغار موران ليدعو إلى التخلي عن استحضار السعادة من الفكر المادي البحت، الذي اكتسح العقل الغربي، بفعل السياسة الرأسمالية هي كذلك دعوة موجه إلى الفكر السياسي، الذي تبنى الفكر الاقتصادي، كفاعل وحيد موجهة لتحقيق التنمية البشرية والسعادة على حساب حقول فكرية متنوعة فاعلة، وخاصة منها الفكر الأخلاقي الذي تم إقصاؤه، خاصة، وأن الحضارة الغربية تعاني من أزمات خانقة توحي بنهاية كارثية، الأمر الذي يستدعي سياسة بديلة تتيح نقلة نوعية من كم الحياة إلى نوع الحياة[20].لا يتردد إدغار موران بربط السياسة بالأخلاق ولو كانت وضعية، فسلطات العلم وسلطات التقنية، وسلطات الصناعة، ينبغي أن تخضع لمراقبة الأخلاق، ولا يمكن مراقبتها إلا بالسياسة الإنسانية[21]. فالحاجة لم تعد مادية صرفة، وإنما متعلقة بإحياء الحياة المتكاملة وأهمها ترسيخ فكرة الأرض الوطن، طالما أن مصير مشترك، لذلك يجب إرجاع الفضيلة من منبعها السيريالي لتحقيق تغير في الحياة[22].

---

[19]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص77

[20]- جورج طرابيشي، إدغار موران يدعو إلى سياسة حضارة بديل، مجلة الحياة، العدد14409، 2002/09/01، ص19

[21]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص80

[22]- إدغار موران، نحو سياسة حضارية، مصدر سابق، ص45

لقد أفضت منظومة الحداثة إلى ولادة أزمة روحية، على المستوى الفردي والاجتماعي، وحقيقة اعتراف إدغار موران بهذه الأزمة الروحية، يعبر عنها بفقدان الحالة الشاعرية بسبب غزو الآلة لمختلف مجلات الحياة، ولأن الجانب الروحي لا يمكن إخماده في النفس البشرية،موقف نجد صداه في مشروعه الانساني، حيث ما فتئ يكرر بدعوة صريحة تؤكد السماح للحياة بالتعبير عن ميزتها الشاعرية، فالإنسان يقطن الأرض بشكل نثري وشاعري والحياة النثرية تتكون من مهام عملية ونفعية وتقنية، والشعر يشكل نمطا من الحياة يبدو ثانويا، لكنه ضروريا لنحيا حياة وجودية[1].

في سياق الفقر الروحي الناتج عن فلسفة الحداثة، يقول أحد النقاد أنه برغم من إنجازاتها السياسية والاجتماعية، تركتنا الحركة الإنسانية فقراء ثقافيا ومفلسين روحيا[2]، لذلك كانت الحالة الشاعرية للكائن الحي من أهم متطلبات سياسة الحضارة. وفي هذه النقطة بالذات التي نعتبرها بؤرة الخلل في الفكر الغربي التنموي الاصلاحي عامة بما فيهم إدغار موران، تتضح لنا أهمية العامل الروحي داخل المشروع الاصلاحي في الفكر الإسلامي، نستدعي منه نموذجين معاصرين"مالك بن نبي" و"محمد إقبال"، لنستدل بهما على تجربة متميزة ومتجددة لفكرة الإصلاح والتجديد، فلقد توصل إقبال إلى أن الإنسانية تحتاج إلى ثلاثة أمور: تأويل الكون تأويلا روحيا، وتحرير روح الفرد، ووضع مبادئ أساسية ذات أهمية عالمية توجه تطور المجتمع الإنساني على أساس روحي لأن العقل المحض ثبت أنه ليست له القدرة على إشعال جذوة الأيمان الصادق، فهي من خاصية الدين وحده، فالتفكير المجرد لم يؤثر في الناس إلا قليلا، لذلك يعتقد إقبال أن الفكر الإسلامي يختلف عن الفكر الغربي، فالمسلم ينهل أراء ومفاهيم الحياة والوجود انطلاقا من أعماق هذه الحياة، وهذا الوجود مرتبط بأعماق النفس، لذلك تقوم فكرة الإصلاح والتجديد في فلسفته على إعادة النظر إلى الذات وتغيير مفهومها وعالمها وإعادة بنائها انطلاقا من تعاليم الدين الإسلامي، أما المفكر مالك بن نبي فالتجديد

1- المصدر نفسه، ص46

2- محمد محمود سيد أحمد، أعداء الحداثة مرجعات العقل الغربي في تأزم فكر الحداثة، دار الوعي للنشر و التوزيع، ط1، الرياض، 1434هـ، ص166

والإصلاح الحضاري ـ وإن كان له امتداد لأبعاد مختلفة، إنسانية ونفسية واجتماعية وأخلاقية وجمالية ـ، إلا أن كلها ذات طابع روحي ديني أي تعود إلى البعد الروحي لتصنع التجديد الحضاري، وتضع الإنسان في التاريخ، وتمكنه من بناء الحضارة والمحافظة على استمرارها.

الحضارة في اعتقاد بن نبي ليست وليدة الجغرافيا والمناخ في صورة التحدي والاستجابة كما يدعي شبنجلرOswald Spengler(1880-1936)، ولا العامل الاقتصادي كما تدعي الماركسية بل تصنعها فكرة دينية ومبدأ أخلاقي من خلال التأليف والتوحيد بين عناصرها الثلاثة، الإنسان التراب والوقت، فمن وجهه نظره أن الحضارة الغربية وقعت في هذا الخلل وعدم التوازن، لأنها أقصت المعنى الروحي لصالح الجانب المادي، لذا وجدت نفسها علي حافة الهاوية[1].

في المقابل، الإسلام هو الدين الوحيد الذي يعد التوازن الدقيق والشامل من أهم خصائصه، فالإسلام هو دين التوازن بين مطالب الجسد والروح، بين مطالب الدنيا والآخرة، بين الفرد والمجتمع.

2- سبيل الإصلاح الأخلاقي:

هناك ملمح جوهري في الفكر المعاصر هو تجدد البحث الأخلاقي النظري، فهناك رغبة في العودة إلى الفلسفة الأخلاقية، بعد أن غابت أو تلاشت في عصر فقد فيه اليقين وتزعزعت فيه الأسس، وافتقدت القداسة في كل شيء[2]. يندرج إدغار موران ضمن كوكبة المفكرين المعاصرين ذوي النزعة الأخلاقية، وهذا ما نلاحظه من خلال جل كتابته التي تروم إلى تأسيس نظام أخلاقي بعد أن اكتشف عمق الهدر الذي يتعرض له الإنسان من قبل العلم التقني، محاولا من خلاله إضفاء القيم الأخلاقية على الواقع الانساني، فالظلم في الوضع العالمي المعاصر الأكثر خطورة ليس ماديا وإنما أخلاقيا[3].

[1]- محمد محمود سيد أحمد، أعداء الحداثة، مرجعات العقل الغربي في تأزم فكر الحداثة، دار الوعي للنشر والتوزيع، رياض، 2013

[2]–عبد الرزاق بلعقروز، تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص 202

[3]- إدغار موران ، عنف العالم، مصدر سابق، ص81

- أخلاق البيئة وجودة الحياة:

إن مهمة الأخلاق هي الأخذ بيد الإنسان المنزلق في غياهب المادية.ولكي يسترد حاسته الأخلاقية، ليعيش القيم ويدرك المعاني ويحس بالجمال، وإيقاظ إحساسه بالقيمة الإنسانية العليا، ونظرا لطابع الأخلاق المعياري التي تنشد تحديد القيم العليا الموجهة للفعل البشري، ليحقق جودة في حياته، فجودة الحياة البيئية هي استجابة ملحة لعصر الثورات التكنولوجية من خلال إعادة الانسجام بين الإنسان والبيئة، ومحاولة تعديل سلوك الإنسان، لكي يتجه للحفاظ عليها والعمل على إبراز العلاقة الديالكتيكية بين الإنسان ومحيطه، الذي يعيش فيه، فالحق في العيش في بيئة نقية والمساواة في تحمل أعباء المحافظة على البيئة أصبح ضرورة إنسانية.

جودة حياة البيئة تعني مد يد العون للطبيعة التي تتألم من ظلم الإنسان، سواء بيئة نباتية أو حيوانية أو مادية لتفادي المصير الكارثي المشترك، لذلك فالحفاظ على توازنات كوكب الأرض عبر الزمن مسؤولية الأخلاقية والسياسية اتجاه البيئة والصحة البشرية ومشكلات الواقع اليومي المعاش.

لكن ما هو ملاحظ يدعو إلى القلق بفعل فقدان التوازن بين البيئة والإنسان، بسبب التقدم التكنولوجي الرهيب الأعمى بحسب تعبير إدغار موران، خاصة في الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية التي تعمل على تحقيق أكبر قدر من الرفاهية على حساب فقدان خلل كبير في عناصر التوازن البيئي، مما سيؤثر حتما على المستقبل الأجيال القادمة، لأنه من حقها أن ترث ما ورثناه.

- الأخلاق الاقتصادية وجودة الحياة:

لقد أصبح العالمية هي ميزة التعامل الاقتصادي، لكن تنقصه لوازم المجتمع المنظم (القوانين- الحقوق- الرقابة)[1]. **هكذا** يصف إدغار موران واقع الاقتصاد المعاصر.إذا كانت حضارتنا تعاني من الأزمة، فإنها في حاجة إلى سياسة بديلة، لا تقصي إنجازات الحضارة الغربية السابقة، لكنها لا تتغافل أيضا عن معالجتها وصيانتها، وفي مقدمتها البعد الاقتصادي لأنه قضى بممارساته العنيفة على جودت الحياة ، حيث يرى إدغار موران أنه العلم الأشد

[1]- إدغار موران، في سياسة الحضارة، ترجمة و تقديم زواوي بغورة، مجلة يتفكرون، العدد9، المغرب، 2016، ص76

تخلفا من الناحية الإنسانية، والاجتماعية، والنفسية، والبيئية. فالتنمية تجهل أن النمو الاقتصادي ينتج تخلفا أخلاقيا ونفسيا، وتجهل أن تقدم الانساني الحقيقي لا يمكن أن ينطلق مما هو قائم اليوم[1]. لذلك يوصي الحكومات أن تضرب بيد من حديد كل التجاوزات التي تساهم في اغناء هذا الاقتصاد، من خلال فرض الضرائب وتشريع قوانين خضراء[2]، من أجل تصويب الاقتصاد نحو وجهة صحيحة، من شأنها أن تحقق تقدم نوعي تمثل كضوابط أخلاقية تفرض على الاقتصاد المعولم، التي لا يمكن مراقبتها إلا بسياسة جودة الحياة، وفق شعار "أقل لكن أفضل" الذي يسير ضد التيار الذي تشكله آلة الاستهلاك التي يحركها منطق الربح،وتدخل سياسة الحضارة كنهج لتحقيق جودة الحياة الاقتصادية، يكمن كذلك في الحث على تلقي وتعلم تربية ذاتية، وتقويم ذاتي، وتنظيم ذاتي، وتنمية الوعي الأخلاقي انطلاقا من السؤال ماذا ينبغي أن نختار؟. سؤال فحص ونقد للمنتوجات من وجهة نظر الجودة[3]. كما يجب على الاقتصاد ألا يكون منتظما ومراقبا فقط، ولكن يجب أن يكون متعددا بواسطة التعاونيات، والجمعيات وتبادل الخدمات[4]هنا نستطيع القول أن رؤية إدغار موران تلتقي مع المفهوم الجديد للتنمية البشرية بتجاوز البعد المادي ليصل إلى ضرورة تحسين الحياة المعيشية للأفراد، ليس ماديا فحسب، بل بما فيها الجوانب الاجتماعية والبيئية، أي ضرورة تحقيق التنمية أو ما يسمى بجودة الحياة، وبذلك تتجاوز التنمية مفهومها الضيق المنحصر في كونها تنمية اقتصادية، لتصبح أيضا تنمية اجتماعية، وتنمية ذاتية للأفراد، وتنمية للبيئة التي تحيط بالإنسان، لتتغير أيضا طرق الحكم على تقدم المجتمعات، لتقترن بتحقيق جودة الحياة للمواطنين، متجاوزة بذلك المؤشرات التقليدية المعروفة.

- **التأصل سبيل عودة إلى الفضائل الإنسانية:**

لا شك أن السبيل الأمثل للوصول إلى التفاهم والتعايش إنما يتمثل في تقبل الاختلاف، فإن الأزمة ليست في الاختلاف نفسه، وإنما في رفض تقبل الاختلاف، إن العودة إلى الأصول تتحقق حينما تكون عودة معرفية، بعدما تآكل الإحساس بالانتماء إلى الأجيال المتجذرة في

[1]- إدغار موران، في سياسة الحضارة مرجع سابق، ص 80
[2]- مصدر نفسه، ص80
[3]- إدغار موران ، نحو سياسة حضارية، مصدر سابق، ص 53-54
[4]- المصدر نفسه، ص81.

الماضي والممتدة في المستقبل[1]، فإنما تكون عودة لتأصيل الاختلاف وليس لمحوه.هذه العودة تكشف ثراء النص الأصلي الذي يتم الرجوع إليه، وهي ليست عودة لتحقيق الأمن الفكري، أو التعايش السلمي، بل عودة لتكريس قيم المعرفة وتحريض العقل على التفكير، والإبداع واكتشاف آفاق جديدة، كفيلة بتطوير الثقافة والعلوم الإنسانية، بحيث يكون مصدر إثراء للثقافة التي يرتكز تطورها على تعدد وجهات النظر وقدرتها على تمثل ما فيها من اختلافات وقدرة المنتمين لها على التفاهم والتعايش، رغم كل تلك الاختلافات، بل بسبب كل تلك الاختلافات، والأمة التي لا تستطيع أن تتقبل اختلافاتها، وتتعايش معها، لا يمكن لأصولها التي تنطلق منها، أن توحد بين أبنائها والمنتمين إليها.

3- الأنسنة في مشروع موران:

إن منطلق السياسة الحضارية في مشروع إدغار موران، أخلاقي إنساني بامتياز .الأمر الذي يستدعي الاهتمام بتقهقر البيئي، والسعي للحفاظ على الطبيعة، فالإنسان والبيئة يمثلان ثنائية تواصلية متلازمة، تقوم على التكامل، لأن كوكب الأرض منخرط في مسار جهنمي يقود البشرية إلى كارثة متوقعة، متعددة، الإيكولوجية، والاقتصادية، والاجتماعية.ضمن هذا مجال يتطلع موران إلى تأسيس مقاومة للحد من الأزمة البيئية من خلال العمل على:

ـ أنسنة البيئة:

مما لا شك فيه أن الاقتصاد الصناعي المعاصر، قد أنتج كوارث يقودها التقدم العلمي والتكنولوجي، غايته البحث عن الرفاهية. لكن كانت محصلتها وخيمة وكونية، لنأخذ على سبيل المثال لا الحصر إزالة الغابات الذي نتج عنه تأثر الغلاف الجوي ليفتح المجال امام انهيار البيئي، مثل ظاهرة التصحر والاحتباس الحراري وثقب الأزون، ليفتح المجال بدوره لظهور أمراض فتاكة عرفت بأمراض العصر كأنواع السرطانات المختلفة والأمراض المتنقلة[2]،

---

[1]- جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، ترجمة حافظ ادوخراز، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، بيروت، 2017، ص55

[2]- عبد الغني بو السكك وآخرون، الفلسفة البيئية وأخلاقيتها ضمن كتاب جماعي، الأخلاقيات التطبيقية جدل القيم و السياقات الراهنة للعلم، إشراف وتنسيق وتقديم خديجة زتيلي، منشورات الضفاف،ط1، 2015، الجزائر، ص176.

*- هناك اختلاف بين **علم البيئة Ecologie** ومفهوم البيئة المحيطة أو ما يسمى بعلم البيئة الإنساني Environnement، ذلك أن علم البيئة "الإيكولوجيا" يشمل دراسة كل الكائنات أينما تعيش، بينما يدل علم البيئة الإنساني على دراسة علاقة الإنسان بالطبيعة دون سواها، وتنادي الإيكولوجيا بضرورة الإهتمام بالعلاقات والتأثيرات المتداخلة بين الكائنات الحية وذلك

تساهم بدورها في انقراض أنواع عديدة من الحيوانات وخلخلة التوازن البيئي ولننظر إلى ما حولنا من تغيرات الطقس، ونفاد ثروة المياه، كل ذلك يهدد تنوع البيئات سواء كانت طبيعية أو ثقافية أو اجتماعية، مما أفقد الطبيعة والبيئة توازنها وأفقد الحياة طعمها.

هي نتيجة لغرور الإنسان الذي تجاوز إنسانيته، دون وعي بأنه يعتدي على نفسه، وعلى الأجيال المستقبل مما فتح المجال لكثير من المفكرين للدعوة للكف عن مثل هذه الجرائم، مما استدعى عقد مؤتمرات وندوات دولية أشهرها مؤتمر ريو دي جانيرو سنة **1991*** عرف باسم مؤتمر الأرض، الذي كان حافزا لتوجيه المزيد من الاهتمام نحو العلاقة بين البيئة والاقتصاد، ضمن هذا الإشكال البيئي تندرج أطروحة إدغار موران من خلال سياسة الحضارة، لإعادة التفكير في العلاقة بين الإنسان ومحيطه البيئي، لإعادة أنسنة البيئة، وإعادة تمركز الإنسان فوق الأرض، وإقامة حوار مع البيئة من خلال مد جسر واعي مع أخلاقيات البيئية.

وحسب إدغار موران، فإن تدهور الوسط الحيوي للإنسانية ضاعف بشكل مكثف منذ الستينات من القرن الماضي، ولم تلعب الإنذارات العديدة سوى دور ضعيف، على الرغم من أن الدول حاولت أن تتحكم في بعض أسباب التلوث، بعد الخسائر التي تسببت فيها الأمطار الحمضية، فكل المؤتمرات الدولية، مع الأسف لم تصل إلى نتيجة، ومن ثم فإن الحضارة الغربية التي انتشرت في العالم أجمع ليست مهيأة، على الإطلاق لاتخاذ إجراءات قسرية.

لقد استغرق إدراك حقيقة العلاقة بين الإنسان والطبيعة، أي ما يسمى بالوعي الإيكولوجي حسب موران العقود الأخيرة بداية من سنة **1970** والذي لا يعني الحركة السياسية بل هو علم جديد تطور حول فكر المنظومة البيئية الذي يشكل محيطنا الحيوي وقد اعتقدنا في إمكانية إخضاعه والسيطرة عليه وامتلكنا الطبيعة، لكن مع بروز هذا الوعي تبين أننا نساهم في تدهوره وبالتالي تدهور ظروف معيشتنا[1].

إن كنز الحياة الإنسانية، يكمن في تنوعها، لكنها مهددة اليوم، مما يستوجب حضور الوعي البيئي ونشره في سلوك الناس، والتحذير من الاستخدام المفرط، وغير العقلاني لتصنيع

الوسط ، كما تركز على ضرورة وجود التوازن والتلاؤم ما بين الوسط والكائنات الحية، وإذا ما تواجدت حالة لا توازن ظهر الاختلال البيئي المتمثل في ظواهر التلوث والاحتباس الحراري والجفاف والتصحر وغيره.

[1]- ادغار موران، التفكير الشامل الإنسان وكونه، مصدر سابق، ص09

الاستهلاكي الذي يقود إلى أزمات ايكولوجية تهدد حياة الإنسان، كما يستلزم هذا الأمر العمل على أخلقة البيئة، من خلال الانتقال من مجال التنظير إلى مجال التطبيق، والعمل على توفير إرادة سياسية دولية، تنتبه إلى مصير الأرض لأنه مصير كل الشعوب، وتعمل هذه السياسة على إقناع الدول العظمى للتنازل عن كبريائها، وتتوقف عن استنزاف الثروات خاصة في الدول الفقيرة، لذلك لابد لنا من أنسنة البيئة وطرد الذكاء الأعمى الذي يعجز عن تصور العصر الكوكبي ويعجز عن إدراك المشكلة البيئية. ويمكننا القول أن المأساة البيئية التي بدأت علامتها في الظهور هي أول كارثة كوكبية يسببها النقص العميق الذي يشكو منه وعينا في المعرفة والجهل[1].

إن أنسنة الطبيعة والبيئة فعل يجعل الإنسان يفرض كينونته المتحررة من سيطرة المادة، لذلك صار من الضروري مساءلة موضوع التطور التكنولوجي، الذي جعلنا نعيش نوعا من العدمية التي ارتبطت بهذا التطور العلمي ولأن الوجود الانساني يمتد نحو المستقبل الذي تحفه المخاطر، ويقترب من الهاوية وخطر الانقراض الكلي[2]. لذلك بات لزاما تأسيس أخلاقا للمستقبل، وضرورة تواصل وتحاور السياسة بالأخلاق وبالبيئة، من خلال لجان محلية، ودولية تختص بالمناقشة المواضيع المصيرية في حياة الإنسان التي صارت تأخذ بعدا كوكبيا وتجعل من موضوع الأنسنة البيئية جزءا من فن الحكم، فحتى تستمر الإنسانية، لابد أن تستمر الطبيعة، وبهذا يكون الحفاظ على الطبيعة جزء من المشروع الانساني، ويجعل من البقاء على الأرض مشروعا أخلاقيا[3].

ـ أنسنة المدن والأرياف:

ازداد الحديث والنقاش مؤخرا حول موضوع أنسنة المدن، وقد جاء الاهتمام بهذا الاتجاه بعد أن اتضح أن تصميم المدن في أغلب المجتمعات لم يكن ليخدم الإنسان في الأصل، بل صمم ليخدم الصناعة.

---

[1]– إدغار موران هل نسير إلى هاوية، مصدر سابق، ص 44.

[2]– آمال علاوشيش وآخرون، الفلسفة البيئية و أخلاقيتها ضمن كتاب جماعي، الأخلاقيات التطبيقية جدل القيم و السياقات الراهنة، مرجع سابق، ص152.

[3]- المرجع نفسه، ص 154.

أنسنة المدن مصطلح مهم وحيوي يهدف لجعل المدن أكثر ملائمة للإنسان، يشعر فيها أنه يعيش في مدينة صديقة له، وليس مجرد مكان يقيم فيه، مدينة تخدمه وتمكنه من الاستمتاع بحياته، وتطوير إمكاناته ومزاولة حياته الفكرية والعملية والاجتماعية تلك النظريات لم تستلهم مفاهيم مدننا التقليدية التي كانت حقيقة تعبر عن حميميتها للإنسان، فهذه التصميمات المعاصرة لا تمت إلى بيئتنا وعاداتنا وتقاليدنا بصلة، ولا تراعي مقومات تاريخنا وحاضرنا، والخوف الآن على المستقبل، فكم من الأمراض المزمنة والعادات الاجتماعية التي ظهرت وانتشرت نتيجة تلك التصاميم.

إن تعزيز الحس بالمكان بين الإنسان والمدينة، فالإنسان في مدننا لم يعد يرى ذاكرة مجتمعه ومعالم تراثه،(فقد تم هدم الكثير من المباني القديمة)، بل لا يرى جمالا يحاكيه أو يصادقه، ولا يستمتع براحة حتى يرافقها ولا يرى تاريخا حتى يستلهم منه، ويمكن القول إن مدننا أصبحت فاقدة للأسس الضرورية، وهي الأمان والراحة والجمال والاقتصاد.إن المدينة ليست بعدا ماديا فقط لا معنى لها، ولا روح ولا تفاعل ولا تحقق سبلا لتواصل اجتماعي للإنسان.

إذن، كيف تكون المدينة صديقة للإنسان؟

يرى **إيان جيل** Jan Ghel في كتابه "أنسنة المدن"، حيث تناول مواضيع تطبيقية لأنسنة المدن من واقع خلاصة نصف قرن من تجاربه، كأكاديمي ومستشار في التصميم العمراني للعديد من المدن، في أوروبا، وأستراليا، وأمريكا وآسيا، التي تحولت من مدن للسيارات إلى مدن للناس، وكانت البداية من كوبنهاجن في الدانمارك التي تحولت من مدينة كانت شبكة الشوارع الأولوية فيها للسيارات إلى مدينة فيها شبكة فراغات عمرانية لحركة ونشاط الإنسان[1].

وقد تم تسويق مبدأ أنسنة المدينة إلى كثير من مدن العالم ويتلخص في أن تصبح المدينة تتعاطف مع سكانها، وتحترمهم وتلبي احتياجات جميع فئات المجتمع،صغارا وكبارا ومن صحيح البدن إلى ذوي الاحتياجات الخاصة، وأكد **جيل** في تجربته أن المدينة تغذي الروح من خلال تجربة

[1]- عبد الله محمد عابد، المدن الإنسانية متاح على الموقع الإلكتروني https://www.alhadath.net 219/06/25 ،18سا 20 د

حسية، تستدعي ذاكرة المكان متناغمة، تلامس حواس الإنسان الخمسة، دون الهجوم الحسي من ضوضاء، وروائح كريهة وكل أشكال التلوث[1].

يرى إدغار موران من واجب سياسة الحضارية العمل على تشييد المدينة، تكون ذات بُعد اجتماعي، أي ذات ألفة بين كل فئات المجتمع وتعطي الإنسان مكانا للسير على الأقدام للوصول إلى حاجياته الضرورية اليومية، ليتفاعل مع أخيه الإنسان وليتغلب على أمراض العصر التي تفتك به. ولا تحيطه بمبان تقزمه وتخنقه بل مكان يشعره بقيمته، بماضيه وحاضره، وتبتكر الأساليب الإبداعية لاستدامة مستقبله، فالمدينة المستدامة صديقة للبيئة توفر مقومات العيش المستدام للجيل الحالي والأجيال القادمة، وكذلك فإن ذاكرة المكان أو مرتع الصبا والشباب الذي نتركه خلفنا كلما كبرنا، يعتبر من مقومات المدن الإنسانية[2].

لو تَبنُّى العالم بأكمله هذه المفاهيم لن تتشابه مدننا، لأن الساكنة سيكون لها دور كبير في تشكيلها بحسب خلفياتها الثقافية وبيئاتها المتنوعة، وهذا ما نحتاج أن يتعلمه طلابنا في كليات الهندسة والتخطيط قبل أن يصبحوا صناع قرار، على عاتقهم مهمة تشكيل مستقبل مدننا في القرن الحادي والعشرين وأنسنة مدن تجعل من المدينة صديقا للإنسان، وألا تكون عبارة عن هياكل إسمنتية جوفاء، بل ينبغي أن يسعى جميع المختصين في الهندسة وفن العمارة لتعزيز البعد الإنساني في جميع مشروعاتهم لتطوير المدينة، وجعلها أكثر جاذبية لحياة الإنسان.

ويعد تطبيق أنسنة المدن من الرهانات التي تتسم بالتعذر على التحقيق، خاصة في المدن القائمة، والتي صممت فعليا لتخدم وسائل النقل الحديثة، خاصة السيارات، وعدم النظر إلى وجود الإنسان كعنصر أساسي في التخطيط والعمران.

ويعد مشروع المدن الإنسانية أحد المشروعات المهمة، استجابة لسياسة الحضارية حيث تتشارك فيه 12 مدينة في الاتحاد الأوروبي، تحت مسمى (تحدي مقياس المدينة) والذي يحاول فيه المختصون أن يخططوا لتجارب حضرية لاستعادة السكان لمدنهم، وجعل الحياة فيها أكثر ملائمة لمعيشة الإنسان، ويركز المشروع على جودة الحياة في المدن، بدلا من تحديد شكل المدينة الفيزيائي.

[1]- المرجع نفسه https://www.alhadath.net

[2]- المرجع نفسه https://www.alhadath.net

وتتبنى المدينة الإنسانية عددا من القيم والمبادئ ومنها الاستدامة والألفة والتعاطف والرفاهية والعيش المشترك والجماليات والتضامن والاحترام والترفيه، فالمدينة المستدامة، توفر للإنسان مقومات الحياة المستدامة، وتمنحه الخيال لتصور ما يحدث حوله من نشاطات، أو مشاهد رائعة. لقد كانت المدن نتاج التخطيط العمراني فقط، أما الآن يجب أن تتجه لتصبح نتاج شراكة بين المعماريين والمصممين والفنانين وعلماء الاجتماع والمثقفين وغيرهم، لكي تتضافر الجهود لجعل المدينة ملائمة للإنسان بشكل يثري حياته.

4- الإصلاح الفكري في المشروع التربوي والمدرسي:

لا شك أن البنية الفكرية والمنهجية التي يقوم عليها الفكر المعاصر تختلف عن البنية التي قام عليها الفكر الكلاسيكي، التي تجد في ديكارت ممثلا لها بامتياز، وتوصف بفترة الاتجاه العقلاني الوثوقي. لقد عملت هذه النزعة العقلانية على إفراغ الإنسان من الدلالة، والمعنى لصالح تصور عقلاني حسابي واتجهت انطلاقا، من نزعة أرسطية ومنطقية ضيقة إلى البحث عن اليقين، بدءا بما يملكه الإنسان من بداهة[1]، وتغافلت عن كل تغيير وتحول الذي تفرضهما سنن الوجود، هذا الجمود كان كافيا ما نسميه بفكر ما بعد الحداثة الذي رفض هذا المنطق، الذي تتحدث به الحداثة ونددت بالعقل الرياضي الديكارتي، وفتحت المجال لقدرات الإنسان الظاهرة والباطنة، وأعطت أهمية للخيال، والاحتمال، والحقيقة المنتزعة أو المتوصل إليها، من خلال جدل ثري مع الأخطاء والنسيان والجهل، وكانت إنسانية النزعة[2] .

- **إصلاح الفكر سبيل للتنمية البشرية:**

يعتبر الفكر المركب المشروع الأساس لإدغار موران في الحقيقة يمكننا القول، دون تردد، بأن موران يركز بالأساس على نشر أسلوب هذا التفكير، أسلوب يناهض الرؤية ذات زاوية النظر الوحيدة أو الجزئية أو عديمة التمييز بين الألوان،"إنه يركز دائما على محاولة الجمع بين الجوانب المتناقضة من الواقع"[3].

---

[1]- أبو بكر فيلالي، العلم في مواجهة الفلسفة التقليدية أو موران ضد ديكارت، مؤمنون بل حدود، مؤسسة دراسات و أبحاث، قسم العلوم الإنسانية و فلسفة، الرباط المملكة المغربية، سنة 2015، ص01 متاح على الموقع الإلكتروني، www.mominoun.com تاريخ الإحالة14-02-14،2018سا 30د

[2]- أبو بكر فيلالي، العلم في مواجهة الفلسفة التقليدية أو موران ضد ديكارت مرجع سبق ذكره، ص01.

[3]- رشيد مرون، هل يمكن إنقاذ الإنسانية من سلوكيات الإنسان؟،متاح على الموقع الالكتروني17سا30د2017/01/12, archive.aawsat.com/details.asp?issueno=9532&article=274822

فهو ما فتئ يذكرنا بالترابط القائم بين العناصر التي تبدو لنا متناقضة على مستوى الظاهر، فالوحدة والاختلاف مفهومان متناقضان ظاهريا، لكنهما مترابطان ومتكاملان في العمق، المبدأ الذي يؤطر المنطلق الفكري الأساسي لرؤية موران عبر كل كتاباته، فكلمة معقد لا تعني كون المفهوم غامضا أو مركبا لدرجة عصية على الفهم، بل كون الأمر يتعلق بمفهوم يعبر عن نوع من التفكير يجمع العناصر بدلا من تفكيكها، ويربطها بدلا من تبديدها، فالثابت الذي تحقق منه إدغار موران أن العلم كما أنه ينير الظلمات فإنه يعمي الأبصار، لأنه تحت نير الاختزال والتجزيئي اللذين فرضتهما التخصصات حال دون تنفيذ مهامه في تكوين الرؤية الشاملة التي تؤسس قاعدة صلبة لتحقيق التنمية التي يأمل تحقيقها بنموذج جديد، بعد انجاز ثورته في تجاوز الاختزالية[1]. لذلك يقترح وجوب تجاوز فكر الأنوار، والبحث عن ما بعد الأنوار هذا تجاوز يعبر عنه بقوله: " نتجاوز الأنوار ليس بالمعنى الذي يريده هيجل بل إدماج ما يوجد في الأنوار من عناصر صحيحة"[2]. ليقترح وصفة علمية نابعة من تصوره ليرشدنا إلى الكيفية اللازمة للخروج من الأنوار، والدخول إلى مرحلة ما بعد الأنوار، منطلقا من فحص العقل لتجاوز العقلانية المجردة.

يثبت موران استحالة وجود العقلانية بدون شعور وبدون وجدان[3]، فهما في حوار متواصل يشكلان بهذا ازدواج عقلانية مركبة منفتحة تمارس النقد الذاتي وتقبل بالتناقضات واللايقين وتشكل بهذا التركيب ثورة معرفية ضد الذكاء الأعمى الذي عجز عن تصور العصر الكوكبي، ولعل المشكلات البيئية التي تمثل أول كارثة كوكبية أحد نتائج المعرفة المنفصلة، لذلك يجب تقويض عقلانية الأنوار التي تبنى على التقدم الخطي والحتمي، ليتسع تصورنا إلى الواقع المركب[4].

- **الفكر المعقد سبيل نحو انبثاق الانسانية الجديدة :**

من المعلوم أن الفكر المعقد هو ما يربط الأشياء بعضها ببعض وهو حضور الأجزاء في الكل، وحضور الكل في الأجزاء. ولكي نعيد إدماج الإنسان في الطبيعة بعدما نزعه منطق

[1]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص 42
[2]- المصدر نفسه، ص 43.
[3]- المصدر نفسه، ص 44
[4]- المصدر نفسه، ص 45

القطع الديكارتي، ينبغي الالتزام بتبني زاوية نظر الفكر المتعقد، الذي يعبر عن تعقد الواقع ويبحث في تعقد الطبيعة، وطبيعة التعقد.ويلزم تدخل جميع الاختصاصات العلمية انطلاقا من العلم البيولوجي لأنها المعرفة التي استدعت وسمحت بانبثاق منهج التعقيد وفقا لإدغار موران الذي يعرفه بالشيء المتكوثر المتعدد الذي لا يمكن إرجاعه إلى قانون أو اختزاله في قاعدة ولا يمكن تبسيطه بالاعتماد على مجموعة من أجزاء أولية.

ولكي يقوم الفكر المتعقد بمهمة فهم الطبيعة التعقدية التي يتكون منها الكون، فإن الشرط الوحيد هو إصلاح بنية هذا الفكر نفسه، لا يمكن إدراك التعقيد الموجود في الواقع إلا من خلال التكامل الذي ينبغي أن يوجد في الفكر[1]. وهذا الفهم ليس تنظيما لمعلومات متنوعة عن الطبيعة البشرية، بل يتجاوزه إلى فهم طبيعة هذه الطبيعة nature de la nature ، وإدراك المحرك الثقافي في هذا الطبيعي من أجل إدراك عوامل التأنسن، من خلال الأفكار الناظمة لها،الذي شهد أول ظهورا له بانبثاق اللغة والصناعة وبتبادل الرموز والمنتوجات حيث تكونت الثقافة ضمن المسار الطبيعي عندما استقل الإنسان عن دوافعه وارتفع عن غرائزه وسمح للتطور أن يأخذ مجراه لكي يتفوق نمط الإنسان العارف على نمط الإنسان المنتصب.

يفترض موران أن الإنسانية شهدت عدة ولادات منذ ظهورها على الأرض، فالولادة الأولى كانت منذ ملايين الأعوام مع التأنسن حين سكن الإنسان هذه الأرض، والولادة الثانية التي شهدتها البشرية بعد اكتشاف النار وظهور اللغة، التي ساهم وجودها في تشكل الإنسانية مغايرة ومستقلة عن الكائنات الحية الأخرى، أما الولادة الثالثة فتنسب إلى الإنسان العارف الذي طور تقنياته وقدراته وأنتج خياله المعتقدات والأساطير، ثم الولادة الرابعة التي شهدتها البشرية بين سبعة آلاف إلى عشرة آلاف، وتميزت بإفراز المجتمعات التاريخية حيث شيدت المدن وظهرت الزراعة والتجارة، وظهرت المفاهيم التي تدل على وجود نظام و سلطة وظهرت الديانات وكثير من العلوم[2].

[1]- زهير الخويلدي، تعقد الطبيعة البشرية عند إدغار موران، مرجع سابق، ص141

زهير الخويلدي، تعقد الطبيعة البشرية عند إدغار موران، مرجع سابق، ص 141.

المبحث الثالث: مقاربات إدغار موران: مراجعة نقدية.

توحي بعض الأقوال للفيلسوف موران، عمق نزعته الإنسانية التي دأب طوال حياته العملية على صونها، ولا يمكن أن نجد شعارا يضاهيها معنى وأسلوبا، منها قوله:"أشعر بأن الإنسانية التي أنا جزء منها، حاضرة في كياني، لست فقط جزءا صغيرا من الكل، بل أشعر بوجود هذا الكل بداخلي، هذا ما يعطيني ربما طاقة للمواصلة في هذا الطريق"[1].

في تحليلات موران كما رأينا، تأكيد على أن البشرية – راهنا - تعيش أزمة شاملة في الفكر السياسي، الذي تقوده الليبرالية الجديدة.إن السياسيين لا يتحدثون إلا على سبر الآراء، ومنحنيات البطالة، والناتج المحلي الخام، والنمو، والإحصائيات، وهو تفكير حسابي محض. وأما "إصلاح البشرية"، فلا مكان له في أجندة هؤلاء. ولقد دفع هذا الضعف في الفكر السياسي إدغار موران، إلى التفكير الجدي في الحاجة إلى وضع منهج ناجع، حيث يقول:"فإذا كانت السعادة الغربية تقوم على الكسب المادي الوفير، إلا أن الفرق بين أن تكون وأن تملك، يبقى هو الإشكال"[2].

هموم إدغار موران كلها، كانت تتجه في سبيل إبداع نهج لإصلاح الحياة البشرية، وفقا لذلك الأساس الإبيستيمولوجي الذي يقوم على التركيب والتعقيد. وحتى يشعر الإنسان بإنسانيته، يحدد موران سبلا لإصلاح الحياة، ويؤسسها على مبادئ إنسانية عقلانية، وعاطفية، وأخلاقية، حيث راح يقرر:" من المهم أن يعيش المرء حياته، على أن يجري وراءها"[3].

ولما كانت حقول الإصلاح كثيرة، يؤكد موران أن كل الإصلاحات متصلة ببعضها البعض، وأن السبيل هو التناسق البيني بين هذه الإصلاحات، ولابد من أن يقوم الفرد بدوره ويتحمل مسؤوليته في إصلاح حياته الشخصية وفي تغيير ذاته، وعن طريق تأملها وتصحيح رؤيته حول ذاته وحول الآخرين.

إصلاح الحياة إذن، هو مغامرة داخلية، ومشروع جماعي. إنه "تأسيس مشروع حياة" بالنسبة لـ"سياسة الحضارة"، اعتمادا على إصلاحات إيتيقية.

---

[1]– نزار الفراوي، إدغار موران فيلسوف المقاومة وداعية الإنسانية،مجلة الذوات الإلكترونية تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، العدد21، المغرب، سنة 2016، ص130 www.mominoun.com

[2]- إدغار موران، تعليم الحياة بيان لتغيير التربية، مصدر سابق ص 29

[3]- إدغار موران، نحو سياسة حضارية، مصدر سابق، ص27

إن رهان تجسيد التسامح والصفح في داخل المجتمعات، من الرهانات التي تشكل بعدا إنسانيا، يأمل إدغار موران تحقيقه في مشروعه الإصلاحي التنموي. ولذلك فإن ممارسة الصفح والعفو تتباين في الأفراد وبحسب الثقافات، هو من الرهانات الأخلاقية، لأنه فعل صعب جدا لأنه يحمل الاتصاف بالكرم والتخلي عن العقاب[1].

إن المقصود بالفهم عند موران، هو فهم لمبررات الغير، هو تعقل لفهم جنون واضطراب الجاني. يعلمنا الفهم بان خداع الذات self déception هي طبيعة عقلية منتشرة بين البشر التي يكون الكذب مخرجها، ويقودها إلى التعامي عن الشر[2]. يعتقد موران بوجود علاقة وطيدة بين الفهم وعدم الانتقام، وإلى حد ما، الصفح. ويستند على قول فكتور هوغو " إنني أحرص على الفهم حتى أتمكن من ممارسة الصفح". فالصفح رهان أخلاقي، وبعث وإحياء مرتكب الخطأ من جديد، إنه رهان حول إمكانية تغيير مقترف الشر، وتحويله إلى الخير[3].

أن الصفح عند موران فعل صعب يقع على التخوم، ولا يعني التخلي عن العقاب فحسب وإنما يحتاج كرما، فبدل الرد على الشر بالشر أقابل الشر بالخير، بينما ينحصر دور الرحمة في إيقاف الشر والامتناع عن العقاب[4].

إن إيتيقا التسامح باعتبارها موقفا إنسانيا في فلسفة إدغار موران المناهضة لاعتلال الحضارة الإنسانية المعاصرة، وهذه الأنتلجنسيا العمياء Intelligence Aveugle، بحسب تعبير مفكرنا، أدت بالإنسان المعاصر إلى محو كل الأعراف الإنسانية، وتمجيد كل أنواع الفوضى والنزاعات، وأنماط تحررية زائلة وانقلابية، ومضايقات فظيعة، وتخويف سياسي وقسوة بشرية[5].

إن معظم الناس في تقدير إدغار موران، قد غفلوا وتناسوا كونهم يقطنون عالما يتواصل فيه الكل مع الكل، عبر صيرورة معقدة من النشاطات المتبادلة، ولم يدركوا أن عقيدة العزل والتهميش والقطع، قد عانت منها الأجيال السابقة، ولم تعد محبذة إطلاقا.لأن الجزء لا يدان

[1]- إدغار موران نهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، مصدر سابق، ص 80
[2]- المصدر نفسه، ص09
[3]- إدغار موران، الصفح مقاومة لبشاعة العالم، مصدر سابق، ص10
[4]- المصدر نفسه، ص 09
[5] -Edgar Morin, La nature de la nature, Edition de seuil ،paris, 1977, p23

لأن بعزله عن الكل فإننا في حقيقة الأمر، نستأصل الإنسان من الطبيعة وهذا ما يتأسف له موران.فهذه رؤية مشوهة وأحادية تنجر عنها نتائج خطيرة، ذلك أننا وجدنا التشويه يقطع الأجساد ويسفك الدماء وينشر المعاناة، فعجزنا على تمثل التعقيد[1].

- ثمة دائما في المستقبل ما هو متوقع، وما هو غير متوقع، جملة يرددها إدغار موران، وهي من أمهات الأفكار في مشروعه الفكري، ذلك ما نلمسه دائما لديه، برغم مما يغلب على رؤيته من إحباط، يظل يقابله دائما الأمل، وفي هذا السياق، نجده يأمل في حصول ما هو غير محتمل والمراهنة عليه، مستشهدا بمرجعيته البيولوجية ومعايشته للأحداث الأوروبية في القرن العشرين.

يستند موران في مقاربته الحيوية على خلايا الإنسان الجذعية الراقدة التي تساهم في تجديد أعضاء الجسم[2]، فإذا تم تنبيهها، استطعنا الكشف عن مفهوم الأزمة من حيث تركيبته، وطابعه المعقد، والملتبس، بحيث تكون النتائج غير مؤكدة، ومبهمة. ليتوصل إلى أن الأزمة قد تشهد الانبثاق المشترك لقوى التفكيك، وإعادة توليد الموت أو الحياة، وتقوم بمهمة الإيقاظ أو التنويم، مما يمكن الأزمة من النفاذ إلى التراجع أو التقدم[3].

إن معاصرة أهم أحداث القرن العشرين، مكنت إدغار موران من التوصل إلى نتائج يمكن لا تقبل الدحض. فلقد بدا له أن نظام الأرض الحالي لم يستطيع معالجة مشاكله الجوهرية التي تتمثل في انتشار الرعب النووي، وخصخصة الأسلحة الذرية، التي تزيد في تدهور المحيط الحيوي، وافتقاد الاقتصاد العالمي لتنظيم وتعديل حقيقي، أدى إلى عودة المجاعات، والصراعات الإثنية، تتجه نحو الصدام بين الحضارات.

تبين نظرة إدغار موران حالة اليأس التي تعيشها هذه المجتمعات، من انتشار اليأس والإدمان وانعدام الرؤيا[4]. يعبر عن ذلك بـ" الوعي بأمراض الحضارة"، حيث يقول:"بدأت حضارتنا تعي خطر الاختناق الفيزيائي الذي يهددنا من جراء التقدم التقني- الصناعي، لكنه لا ينفصل

[1]- إدغار موران، الفكر و المستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص17
[2]- إدغار موران هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص،32
[3]- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق، ص73
[4]- إدغار موران، نحو سياسة حضارية، مصدر سابق، ص34

ولا بمعزل عن الاختناق النفسي الناجم عن أمراض الحضارة"[1]. وعليه فإن الحضارة إلى اليوم نكثت بوعودها فلا هي سيطرة على الطبيعة خدمة لمصلحة الإنسان، فكل ما يبدو أنه سيطرة على الطبيعة قد ينقلب ضد الإنسان وطبيعة حياته، ولا هي مكنت من العيش بسلام بين أفراد الإنسانية فكل تحكم جديد في التقنية يصاحبه تحكم جديد و فعال في الإنسان . مما يزيد من قلق الحضارة و يشي باختناقها و احتضارها. ولقد عايش موران كل هذا في ضواحي العاصمة باريس، ليقف عند كارثة نفسية حين يصف:" هو القلق الذي يتحدد عبر كل الأجيال، إنه يمس خصوصا المراهقين، وينمو من دون شك في عالم خارج العالم الذي يسمى سويا،يمثل درجة قصوى لقلق أكثر عمومية"[2].ومعالم هذا القلق ظهرت في موت المبادرة، أي انكماش دور الفرد الفاعل المبدع، و ظهر فيها فساد النخب، وتفكيك مؤسسات التضامن الاجتماعي، وتحييد القيم من الفضاء العمومي، وانحلال الأخلاق على مستوى الفضاء الخاص للأفراد. إننا أمام محاولة حثيثة لتعرية الكائن من كل مقومات الصمود، والثقة في الذات، والاستمتاع بالحياة.

في تشخيصه لحال العالم المعاصر، يلاحظ إدغار موران:" أن الهيمنة الثقافية الأمريكية بديهية، لذلك فهي تتكفل بنشر الثقافة عالميا، ويمكن اعتبار هذا سلاحا قويا لطرح حل فعال، في أن تتحكم الولايات المتحدة في المادة الثقافية لتوجيه العالم نحو نجاته"[3].

يؤكد موران أن الثقافة الجماهيرية هي رهان تحديد المستقبل البشري، ونجاح الفكر الكوكبي، وتقديم الهوية الأرضية على ما سواها. أي أن التعايش بين الدول والمجتمعات كوحدة واحدة والتفكير بهذه الطريقة الجماهيرية الموحدة، هو ما يبني الهوية الأرضية التي يدعو إليها.

يلاحظ من خلال تحليلات الفيلسوف موران، إن طرح فكرة ولادة مجتمع عالمي، قد تبدو فكرة طوباوية. لكن رؤيته - في جوهرها- لا تقوم على استبعاد إمكانية وجود هذا المجتمع ، بحكم توافر مجموعة عوامل قد تمهد الطريق لحدوث هذه الإمكانية. لقد وجدها موران من خلال مقارنة، كما أن المجتمع المحلي يتكون من إقليم ويشتمل على نظام للتواصل، مثلما يحتوي

[1]- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق، ص27

[2]- المصدر نفسه، ص 20 -21

[3]- إدغار موران، المنهج معرفة المعرفة أنثروبولوجيا المعرفة، ج3، ترجمة جمال شحيد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2012، ص14

كوكب الأرض على مجال ترابي، وأجهزة ضخمة من وسائل الاتصال لم يسبق أن عرفتها الحضارات السابقة[1]. يقول إدغار موران:"نحن ضائعون في الكون الهائل ولكن لنا بيت وحديقة نستطيع العناية بهما. والحديقة هي الإنسانية جمعاء ...إنها الأرض، لنكن إخوة ليس لأننا سننجو بل لأننا ضائعون جميعا"[2].

بعيدا على صياغة مجتمع عالمي، وبالرغم من طوباويته، يدرك موران أن كثيرا من العوائق والعراقيل مثل هيمنة القوى الكبرى، ستظل تحول دون ذلك. فالولايات المتحدة الأمريكية تعمل جاهدة على " قيام حكومة إمبراطورية مسيرة من طرفها، في نفس الوقت الذي نحن فيه على طريق نحو مجتمع عالمي"[3].

من جهة أخرى يمكن أن نتساءل عن إمكانية أن تكون الأزمة سببا في انبثاق مجتمع عالمي فحسب نظرية الأزمة لموران، يقدم من خلالها رؤية قاتمة لعالمنا، إلا أنه يؤمن بأن "الأزمات تولد القوى الخلاقة والهدامة في الآن"[4].فكلما تعمقت أزمة نظام ما، يثير ذلك بحثا عن منفذ جذري بطريقة الولادة القيصرية لعلها تنقذ وضع النظام وتصلحه، ليصبح جزءا من استراتيجيات إعادة التنظيم الخاص به. وهنا نستنتج" الوجه المزدوج للأزمة فقد تكون فرصة للتقدم وقد تكون خطرا للتراجع"[5].

يفتح إدغار موران نافذة صوب الأمل من خلالها يتمسك بتحقق مجتمع عالمي ظهرت بوادره من ثورة حقل الاتصالات، الذي يبدو أنه يوحد البشرية، ثم من عولمة الاقتصاد الذي شكلته الشركات متعددة الجنسيات، هذا الأمل يلتمسه في العودة إلى أصل البشرية، حينما تشكل مجتمعا عالميا توحده اللغة والثقافة.

---

[1]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص66

[2]- حوار مع إدغار موران، جريدة العلم، 10/24/ 1993

[3]- إدغار موران، في سياسة الحضارة، ترجمة وتقديم الزواوي بغورة، مصدر سابق، ص82

[4]- إدغار موران، المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عادتها و تنظيمها(الجزء الرابع)، ترجمة جمال شحيد، مراجعة، موريس أبو ناضر، المنظمة العربية للترجمة،ط01، بيروت، سنة2012، ص 13-14

[5]- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، مصدر سابق، ص74

إن مجتمعا عالميا في السياسة الحضارية، أصبح ضرورة حيوية للرد على الإرهاب العالمي، لكن إذا استطعنا أن نتجاوز"الإيديولوجيات الاقتصادية التي تأخذ على عاتقها تشكيل مجتمع عالمي تجعل منه، القاطرة التي تنظم السوق العالمي "[1].

إن سياسة الحضارة من خلال إستراتجيتها هي سبيل للرد على صدام الحضارات، وترى أن الاتحاد الكوكبي لن يقوم، إلا إذا أمكن كف أو تنظيم الجوانب الأشد انحرافا وهمجية وغريزية في الكائن البشري. يقول موران:"فمع أن ولادة مجتمع عالمي بعيدة الاحتمال، لكني صرفت حياتي كلها آمل في ما هو بعيد عن الاحتمال، و كان أملي يجد له تحقق أحيانا"[2].

وبنبرة متشائمة يضيف قائلا: "إن ولادة مجتمع عالمي غير منجزة وغير مكتملة بعد، ويمكن لهذه الولادة أن تجهض"[3]. وهذه التقريرات كثيرا ما تجعل في فكر موران مفارقة بارزة، تتمثل في التشخيص بين التمسك بالأمل، وتحذير البشرية من الوقوع في الكارثة، مستعرضا دائما عبارة لهرقليطس تقول:"في لحظة انقطاع الأمل، يولد الأمل"[4].

يؤكد موران في جل كتاباته عدم إمكانية قراءة المستقبل، ذلك أن لا شيء يقيني اليوم، لقد أصبحت المصائر العالمية تعتمد كليا على المصير العالمي للكرة الأرضية، فالمستقبل يتسم بالغموض مما جعل كل تنبؤاته تتسم بالاحتمالية" .لا يمكن استبعاد قيام نظام شمولي جديد يمتلك وسائل بيولوجية وكيميائية، تتحكم في الجينات والأدمغة، وتكون أكثر فعالية من تلك التي وسمت القرن العشرين. فالمصير الكوني للإنسانية قد يعرف نموا شاملا في جوانبه العلمية[5].

لقد وقفنا على فكر يؤسس إلى تنمية الفرد الغربي، لكن على حساب الآخر غير الغربي الذي تحمّل كل الكوارث التي أنتجها الغرب وهو يقيم حضارته على حساب بقية الشعوب، ولنا في الاستدمار الفرنسي للشعب الجزائري خير نموذج. لقد تحولت عصور التنوير إلى عصور استعمار وهيمنة. ووجدنا أن الحداثة الغربية ترجمت من خلال حروب كارثية عالمية وإقليمية

[1]- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، مصدر سابق، ص113
[2]- المصدر نفسه، ص 47
[3]- إدغار موران، نهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، مصدر سابق، ص 290
[4]- نزار غرباوي ، إدغار موران فيلسوف المقاومة و داعية الإنسانية، مرجع سابق، ص 133
[5]- إدغار موران، المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عادتها و تنظيمها، مصدر سابق ص289

من أجل أن يبقى الغرب يحوز السيطرة والثروة والحرية. فحتى مقولاته عن الأسنة والديمقراطية بقيت حبيسة الشعوب الغربية، بينما - في الحقيقة- كان يكرس الحقد والكراهية بين الشعوب، ويستثمر الظلم والاستبداد، يقتل صوت الحرية والأمل، بطريقة مباشرة أو من وراء الجُدر.

إن الإنسان سيد الأرض، فهو المخلوق الكريم الذي خصه الخالق بميزات نوعية تخصه دون سواه، فمن من أجله خلق الله كل شيء، واستعمره في الأرض، مكلفا إياه بمسؤولية الإعمار المادي والقيمي. هذا الدور الريادي يستوجب من الإنسان، السعي بكل ما أوتي من قوة، وقدرة، ووعي باستغلال ما في هذه الطبيعة من خيرات ومقدرات، وهو بذلك يجسد خلافة الله في الأرض في أسمى معانيها.

الإنسان إذن، هو الغاية المنشودة في كل تنمية ممكنة، ولذلك فكل الاتجاهات الفكرية والأيديولوجية في حقل الاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، وكل مجالات الحياة... ينبغي أن تتجه في الاتجاه الذي يوصل إلى هذه الغاية. لقد أفرغت المذاهب الاقتصادية الحديثة والمعاصرة، حياة الإنسان من هذا البعد الأخلاقي، وتعاملت معه كقيمة مادية تتحكم فيها قوانين اقتصادية وضعية، كما هو الحال في المذهب الرأسمالي أو نظيره الاشتراكي.

إن هذه المكانة المركزية للإنسان في الكون، مصدرها تلك الغريزة الفريدة والمتفردة التي أودعها الله تعالى فيه، وليست هذه الغريزة سوى ما يطلق عليه بـ"العقل". إن تاريخ الفكر الفلسفي يكشف لنا عن ذلك القدر الهائل من التمجيد والتقديس لهذه الملكة.وبعد قرون من الزمن، تراجعت تلك المكانة، رغم تحقيق الكثير من الانجازات والمكاسب، ليتحول الإنسان من كائن فاعل صانع، إلى كائن منفعل، مغدور في كرامته، ومهدد في إنسانيته،ُينظر إليه على أنه مجرد "شيء".

هذا "التشييء"، لا وجود له في مدونة الإسلام، وفي الحياة الحقيقية للمسلم الصادق، فالكرامة المشار إليها في المنظور الديني الإسلامي، تُجسد بالأفعال وليس بالأقوال. ولذلك ربط الإسلام حياة أتباعه بـ"الأخلاق" كجملة قواعد وسلوكيات، تنظم كل مسعى، أو كل حركة أو سكون. وفي الاقتصاد، إن السعي إلى الكسب والمعاش، وكل ما يتعلق بالحياة الدنيا يجب أن ينطلق

من منطلق قيمي، بيد أن واقع الأشياء، وتعقد الحياة، وسيادة منطق القوة، أدى إلى تقهقر منظومة القيم، وخلق تراتبية مفتعلة، وأفضى إلى ارتماء الانسانية في أحضان منطق "الغاب" فصار المالك لوسائل الضغط(العلم، التكنولوجيا، المال،.....)هو السيد، وتحول غيره إلى "عبد" تابع لسلطة سيده.هذا الواقع المعاش بين الإنسان في الغرب، والإنسان في الشرق المتخلف، أثار حفيظة المفكرين والفلاسفة المعاصرين، حيث صرخوا في وجه هذا الظلم، وهذه اللاعدالة، وحاربوا بكل ما أوتوا من قوة ووعي هذه "الحداثة" المزيفة. وقالوا بأن سفينة النجاة لن ترسو إلا في عالم جديد، تسوده قيم الخير والعدل والحق.

وكما مر بنا، فإن من بين هؤلاء، رفيقنا في هذا العمل، عالم الاجتماع والفيلسوف الفرنسي إدغار موران، الذي بحلول هذا العام الميلادي 2021، يكون قد بلغ قرنا من العيش، تجمعت له خبرة عريضة في قضايا الفكر، والتاريخ، والاجتماع....، و تمكن من الظهور فكريا ومعرفيا، مقدما أطروحة فلسفية وابستيمولوجية متميزة تتصف بكل معاني الجدة والأصالة في عصر هيمنت عليه سلطات كثيرة منه، سلطة التقنية، وسلطة الإيديولوجيا، وسلطة العقلانية الأداتية، وسلطة الإعلام، وبكلمة عامة سلطة العولمة.

ولئن كنا مقصرين في الإحاطة بفكر الرجل، وتناول جميع تفاصيل أطروحاته، وعرض مختلف مفاهيمه وعباراته اللغوية، فتلك صعوبة نقر بوجودها منذ بداية الطريق في انجاز هذه المذكرة، وربما يدرك القارئ بعض التكرار لأفكار موران ومواقفه، لأننا لم نستطيع الإفلات من قبضة تحليلاته الرصينة، الحاملة لفكر جديد(التعقيد والتركيب) يناهض فكرا تقليديا، وفلسفة عتيقة مرتمية في أحضان الاختزال والتبسيط.

نعود ونقول، إن صاحبنا لازال ـ وإلى غاية كتابة هذه السطور ـ على قيد الحياة، ومافتئ يواصل العطاء الفكري، مرافعا ومناضلا من أجل إنسانية أخرى، إنسانية تسودها سلطة الأخلاق.

ذلك هو المشروع البديل للمستقبل المشرق.ألا متى يبزغ فجر تلك الانسانية المنشودة؟

نعود ونقول في ختام هذه المذكرة: بناء على قاعدة الأطروحة الأساسية في فكر موران القائلة: **" قد يقع ما لم يكن متوقعا"**: من يدري!!؟، فليس هناك ما يمنع من أن يأتي الرجل على مواقف وأفكار غير متوقعة. ومن ثم فإن الحكم على مشروعه يظل بعيدا عن الموضوعية التي يفرضها البحث العلمي

خـــــــاتمـــــــة

خـــــاتـــمـــــة:

للفيلسوف موران قراءة نقدية بارعة، تميزت بالسخط والسخرية، وصيغت بلغة عنيفة ترصد مختلف التحولات في المجتمع الغربي، وتنطلق من تنبؤات، تؤمن بإمكانية زوال الغرب، بفعل هذه العقلانية الأدائية القاتلة، التي جعلت الانسان كائنا نفعيا خالصا، يلهث وراء مصالحه، دون أي اكتراث بغيره. هذا الحكم العام توصلنا إليه من خلا مراحل التحليل التي مررنا بها ،نقول بارعة لان فيها ملامح إبداع فكري واضحة.

لقد كشف موران أن الحضارة، تخفي في طياتها صورة أخرى للهمجية والبربرية، وإذا لم نغير من طريقتنا وأسلوبنا في الحياة، وقراءة العواقب الخاصة بالتقدم التكنولوجي، وجنوح الجانب السياسي لهيمنة العقل الاقتصادي، فإن مصير الانسانية هو الفناء المحتوم. إن القرن العشرين حسب إدغار موران، هو قرن الأزمات، التي طالت مجالات متنوعة، التربية والأسرة، السياسة والاقتصاد، والمجتمع(أزمة الدولة، أزمة الفرد والجماعة، أزمة القيم...) يعكسها ما شهده هذا القرن من أحداث كبرى، لاسيما تلك الحروب الكونية التي نالت من الحضارة، وساهمت في تقويض التعايش، بفعل انفلات الغريزة، وطغيان النزعة التدميرية في الإنسان.

إن آراء وأفكار موران تثير في القارئ الاستجابة الانفعالية، وتحفزه على التفكير من خلال تبني براديغم التعقيد كنهج جديد لتفكير لدراسة الواقع البشري قد يكون مخرجا للإنسانية. شخصية صاحبنا المعرفية والفكرية ذاتها عبارة عن موسوعة علمية متخصصة في تركيب التخصصات ومد جسور ابستيمولوجية بينها. ولقد توصلنا أنه لا يمكن إدراك التعقيد الموجود في الواقع، إلا من خلال التكامل الذي ينبغي أن يوجد في الفكر. وأن الوعي متخلف دائما عن مواكبة الواقع، وأن الواقع معقد بطبيعته والعولمة زادت في تعقيده. وأن المعرفة التجزيئية تشكل خطرا يفوق خطورة الجهل، وأن العلم الشامل والجامع والمتكامل مطلب حيوي لمستقبل الإنسانية.

معرفيا، يدشن ادغار موران خطاب التغيير من البعد الإبستيمولوجي، حينما يبادر بتفعيل إعادة النظر في الإبستيمولوجيا الكلاسيكية. أي إعادة المراجعة للإرث الفكري

الذي تحكمه قوانين الاختزال والتبسيط، ليشتغل طوال حياته الفكرية لإحياء وتجديد التفكير، وفقا لبراديغم التعقيد.

بواسطة الفكر مركب الذي يعلمنا أن نرى التعدد والتنوع داخل الوحدة الفردية، ونتجاوز النظر إلى فردانيته وأنانيته، نمتلك منظورا أكثر إنسانية، وهذا سيمكننا من النظر إلى الفرد في كليته المتناقضة؛ حتى نتفادى الاحتقار، والكراهية، ونحقق الاعتراف بالآخر، والشعور بالمشترك الإنساني، واحترام الاختلاف.

ـ وجدنا في إدغار موران مفكرا إصلاحيا، يكشف بالبرهان خطأ الاعتقاد في مسار واحد للتغيير، أو طريق تاريخي واحد للتقدم، لأن الإصلاح يجب أن يشمل كل المجالات، وأن تكون هذه الإصلاحات مترابطة وهذا ما نجده في مشروعه الإصلاحي "سياسة الحضارة".

وفي تشخيصه للواقع الأوروبي وخاصة الحالي منه، وقف على المشاكل التي تعاني منها الأمة الغربية والإنسانية عموما، ووجد وراء ذلك تأثير عاملين مختلفين أولها البربرية الجماعية"barbarie de masse "، وهي وليدة البيئة الأوروبية أساسا.وأما الثاني، فهو هيمنة ثقافة الحساب والأرقام" calcul et chiffre "، فكل القيم البشرية أصبحت خاضعة لمبدأ الرقم والقيمة، مهملة الإنسان بجوانبه الروحية، والسيكولوجية.

ولأن مفهوم التنمية مفهوم مركب، يرفض موران التنمية مصطلحا ومشروعا، لأنها بنيت على البعد الاقتصادي الذي لم يحد من التخلف الإنساني والفكري في المجتمعات التي تدعي التقدم، وكل الحلول التي تقترحها الحضارة الغربية تواجه تحديات كبرى وتطرح علامات استفهام على المستقبل برمته وعلى مصير الكون، لذلك يطرح إدغار موران مشروعه الاصلاحي بديلا عن مشروع التنمية، كمخرج للأزمة التي تعاني منها البشرية، بغية الارتقاء بالإنسان لحياة أفضل. لقد اكتشف موران الإشكالات المتعلقة بمفهوم التنمية ووجد أن اشتغال الإيديولوجي والأكاديمي أثبت فشله، لأنه حصر هذا المفهوم في مجالات تقنية المادية، مما ساهم في تعميق الفوارق الطبقية، مؤكدا على ضرورة إعادة النظر في طريقة التعاطي مع هذا المفهوم، التي أوصلت الحضارة إلى النفق المسدود.توصل موران إلى أن مفهوم التنمية ذا حمولة مفاهيمية "غير بريئة"، لأنه

ساهم في تعميق الهوة بين البلدان المتقدمة وبين تلك السائرة في طريق التنمية والمتخلفة التي لم تلحق بركب التنمية بعد، مضيفا أن العالم قد شهد إفلاس سياسات التنمية تترجمها الخسائر الكبيرة التي جرتها على البشرية بدءا بإنتاج فوارق عميقة بين المجتمعات والأفراد وانتهاء بالحروب والكوارث البيئية. ويبني موران مقاربته المركبة على الرؤية الإنسانية، وعلى نظر أخلاقية تنطلق من الإنسان باعتباره المحور المركزي الأساسي والفاعل الرئيسي في سياسة الحضارية.

ـ تقوم التربية في مشروعه على رؤية للإنسان، وعلى تعليم فن العيش وتعليم مفهوم للحياة.وهي التي يجب أن تقود التنمية في ظل السياسة الحضارية التي تنطلق من إصلاح الفكر. لأن رحى المعركة يقوم على الفكر حتى تساهم في صنع الانسان المواطن الكريم والتكوين الفردي للشخص بتحمله مسؤولية الشرط الإنساني، أي تعلم العيش والمواطنة؛ والتضامن والمسؤولية والتسامح، بغض النظر عن انتماءات هذا المواطن.

وإجمالا نقول: في جل كتابات وأعمال إدغار موران وحواراته، مسحة تشاؤمية ظاهرة ـ وإن يظل الأمل قائما ـ فمستقبل البشرية في مفترق طرق لم يشهده التاريخ من قبل، فأما الطريق الأول هو ما تشعر به هذه البشرية من اليأس والعجز التام، أما الطريق الثاني يقودنا إلى الهاوية ولم نعد نملك الحكمة اللازمة للاختيار الصحيح، لكن قد يحث ما لم يكن متوقعا.

المصادر:

أ - باللغة الأجنبية:

1- Edgar Morin, La méthode 4, Ethique, Seuil, Paris, 2004

[2] -Edgar Morin, La nature de la nature, Edition de seuil ،paris, 1977,

. 3- Edgar Morin– Dépasser la nation de développement.
l'actualité Poitou -Charentes n°63 , janvier 2004

4-Edgar Morin ; Les Nuit son Enceintes ; article paru ; dans l'édition du 09-01-2011

ب - باللغة العربية:

1- كتب مترجمة

1- إدغار موران – جون بودريار، عنف العالم، ترجمة عزيز توما دار الحوار للنشر، سوريا، 2005.

2- ادغار موران ضمن كتاب جماعي، إشراف جان فرانسوا دورتي، ترجمة ابر هيم صحراوي، منشورات دار الاختلاف ط01، الجزائر، 2009..

3- إدغار موران نحو سياسة حضارية، ت: أحمد علمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 01، بيروت، 2010.

4- ادغار موران، التفكير الشامل الإنسان وكونه، ترجمة المنتصر الحملي، (ب-ط) (ب-ن)،201

5- إدغار موران، الصفح مقاومة لبشاعة العالم، jترجمة عبد السلام بن عبد العالي، مجلة يتفكرون العدد الثاني 29- 10 -2013

6- إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، دار توبقال للنشر، ترجمة أحمد القصوار ومنير الحجوجي، المغرب، .2004

7- إدغار موران، المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عادتها و تنظيمها(الجزء الرابع)، ترجمة جمال شحيد، مراجعة، موريس أبو ناضر، المنظمة العربية للترجمة،ط01، بيروت، سنة.2012

8- إدغار موران، المنهج، معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة، ج3، ترجمة جمال شحيد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2012.

9- إدغار موران، إلى أين يسير العالم؟، الدار العربية للعلوم ناشرون، ترجمة أحمد العلمي، ط 01، 2009، بيروت.

10- إدغار موران، تحديات القرن الحادي و العشرين تواصل المعارف العلمية، ترجمة حسين الشريف، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 2016.
11- إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق و منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب 2002.
12- إدغار موران، ثقافة أوروبا و بربريتها، ترجمة محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، المغرب، سنة2007.
13- إدغار موران، مقدمات للخروج من القرن العشرين، ترجمة أنطوان حمص، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1993.
14- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، .2012
15- إدغار موران، تعليم الحياة: بيان لتغيير التربيّة، تر: الطاهر بن يحي، بيروت: منشورات ضفاف، ط1، 2016.
16- إدغار موران، إنسانية البشرية الهوية البشرية، ترجمة: هنا صبحي، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة، الإمارات العربية المتحدة، 2009م
17- إدغار موران، في مفهوم الأزمة، ترجمة بديعة بوليلة، دار الساقي،ط 01، 2018

1- كتب مترجمة (مقالات) رقمية:

1- إدغار موران تنمية أزمة التنمية، ترجمة مصطفى ناجي متاح على الموقع الإلكتروني: www.elmawja.com
2 - إدغار موران، الثقافة و الهمجية الأوروبيتان المضادات الثقافية الأوروبية، ترجمة منتصر الحملي، متاح على الموقع الالكتروني: com.www.alawan
09-01-2011

2- المراجع:

أ- باللغة العربية:

1- حيدر إبراهيم علي، إستراتيجية التنمية الريفية في دول الخليج العربي، حالة دولة الأمارات العربية المتحدة، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 44 ،جامعة الكويت،1985،.

2- كمال التابعي، تغريب العالم الثالث دراسة نقدية في علم اجتماع التنمية،(د.ط،)، (د.ت).

3- طلعت مصطفى السروجي، التنمية الاجتماعية المثال والواقع، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي، جامعة حلوان، 2001.

4- عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، مكتبة وهبة، ط02، القاهرة، 1988.

5- إبراهيم أحمد عمر، فلسفة التنمية، رؤية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي،ط02، هيرندن فيرجينيا، 1996

6- روبرت. ل . ماتيز ، جون. هن. جاكسون : إدارة الموارد البشرية ، ترجمة محمود فتوح ، شعاع للنشر والعلوم ، سورية ، ط1 ، 2009.

7- باسل البستاني، جدلية نهج التنمية البشرية منابع التكوين و موانع التمكين، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2009.

8- إصدارات العوادي، إعداد إيهاب كمال، إيمانويل كانط سيرته وفلسفته،الحرية للنشر والتوزيع، د ب ن، د س ن، ص112

9- أمال علاوشيش وآخرون، مقال ضمن كتاب جماعي سؤال الحداثة والتنوير – بين الفكر الغربي والفكر العربي، إشراف وتقديم خديجة زتيلي، منشورات الاختلاف،ط 1 ،الجزائر ،2013.

10- آلان تورين، براديغما الجديدة لفهم عالم اليوم ، ترجمة جورج سليمان، المنظمة العربية للنشر، بيروت، .2011

11- ألان تورين، نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، (د.ط)،.1997

12- ريتشارد هيجوت، نظرية التنمية السياسية، ترجمة حمدي عبد الرحمان ومحمد عبد الحميد، المركز العربي للدراسات السياسية، ط01، الأردن 2001

13- سامي محمد نصار، قضايا التربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة ،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007.

14- روجي جارودي، نظرات حول الإنسان، ترجمة يحي هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، .1983

15- كريستوفر باتلر، ما بعد الحداثة، ترجمة نفين رؤوف، مراجعة،عبد المولى أحمد، مؤسسة هنداوي للتعليم، ط1، مصر، 2016.

16- ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت،1990.

17- عبد الرزاق بلعقروز، تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط2009،1.

18- ستفن اريك برونر، النظرية النقدية، ترجمة سارة عادل، مراجعة مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، ط1، القاهرة،.2016

19- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، إفريقيا الشرق، بيروت، ط2، 1998.

20- عصام عبد الله، رهان الحداثة وما بعد الحداثة، الدار السعودية المصرية، ط1، القاهرة، 2008.

21- كتاب جماعي دليل ما بعد الحداثة، ما بعد الحداثة تاريخها وسياقها الثقافي، تحرير ستيوارت سيم، ترجمة وجيه سمعان عبد المسيح، ج1 ،المركز القومي للترجمة ، القاهرة ،2011.

22- مراد دياني، حرية- مساواة- اندماج اجتماعي نظرية العدالة في النموذج الليبرالي المستدام، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط01، بيروت،2014.

23- ألان تورين، ما هي الديمقراطية حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية، ترجمة حسن قبيسي، دار الساقي، 2016، بيروت.

24- فيديريكو مايور ثاراجوثا، نظرة في مستقبل البشرية، قضايا لا تتحمل الإنتظار، دار العالم العربي للطباعة،ط1، القاهرة.

25- محمد إبراهيم منصور، توطين الدراسات المستقبلية الأهمية والصعوبات والشروط، الإسكندرية للدراسات المستقبلية، الإسكندرية، 2016.

26- سيغموند باومن، الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر،ط1، بيروت، 2016.

27- محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، الحداثة وانتقاداتها نقد الحداثة من منظور غربي 2 دفاتر فلسفية نصوص مختارة، دار توبقال للنشر، المغرب .2016

28- قاسم جمعة، النظرية النقدية عند إريك فروم، منتدى المعارف، ط1، بيروت،.2011

29- ميشال فوكو، الكلمات والأشياء،ترجمة مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت،1990.

30- عبد الوهاب جعفر، مقالات في الفكر الفلسفي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988

31- يمنى الطريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول- الحصاد- الآفاق المستقبلية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014، القاهرة.

32- يمنى طرف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر،2012

33- عبد العزيز بوالشعير، مقالات في الدرس الفلسفي – مساءلات فلسفية في العالمين الصغرى والكبرى، منشورات الاختلاف، ط01، الجزائر،.2016

34- علاء طاهر، نهايات الفضاء الفلسفي الفلسفة الغربية بين اللحظة الآنية و المستقبل، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005

35 شريف طوطاو وآخرون، الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء،

36- يوسف تيبس وآخرون، الماركسية الغربية وما بعدها التأسيس والانعطاف والاستعادة، إشراف وتحرير على عبود المحمداوي، تقديم أم الزين بن شيخة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، .2014

37- ماركس وانجلز، البيان الشيوعي، طبعة موسكو، سنة .1968

38- كمال التابعي، التنمية البشرية دراسة حالة مصر ب. د. ن، ب. س. ن/ جمهورية مصر العربية.

ديفدهارفي، الليبرالية الجديدة (موجز تاريخي)، ترجمة .مجاب الإمام، مكتبة العبيكان.، ط1، الرياض، 2008.

39- مايكل جورج ساندل، الليبرالية وحدود العدالة، ترجمة محمد هناد، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2009.

40- هاني رمضان طالب، مفهوم الحكومة العالمية في النظرية الليبيرالية للعلاقات الدولية، مركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية والاقتصادية، برلين، سنة2020

41- جيلالي بوبكر، العقيد وفلسفة النهايات، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

42ــ علاء طاهر، نهايات الفضاء الفلسفي الفلسفة الغربية بين اللحظة الآنية و المستقبل، مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة .2005

43- مصطفى النشار، العلاج بالفلسفة بحوث ومقالات في الفلسفة التطبيقية وفلسفة العمل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، ط 01، القاهرة، سنة 2010

45- فهمي خليفة الفهداوي، السياسة العامة منظور كلي في البنية والتحليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان،.2001

46- عديلة كورتينا، مواطنون في العالم نحو نظرية للمواطنة، ترجمة علي المنوفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015

47- جورج طرابيشي، إدغار موران يدعو إلى سياسة حضارة بديل، مجلة الحياة، العدد 09، 2002/09/01.

48- محمد محمود سيد أحمد، أعداء الحداثة مرجعات العقل الغربي في تأزم فكر الحداثة، دار الوعي للنشر و التوزيع، ط1، الرياض، 1434هـ.

49- محمد محمود سيد أحمد، أعداء الحداثة، مرجعات العقل الغربي في تأزم فكر الحداثة، دار الوعي للنشر والتوزيع، رياض، 2013

50- عبد الغني بوالسكك وآخرون، الفلسفة البيئية وأخلاقيتها ضمن كتاب جماعي، الأخلاقيات التطبيقية جدل القيم و السياقات الراهنة للعلم، إشراف وتنسيق وتقديم خديجة زتيلي، منشورات الضفاف،ط1، 2015، الجزائر.

51- زهير الخويلدي: تعقد الطبيعة البشرية عند إدغار موران، ضمن موسوعة الفلسفة الغربية المعاصرة، أشراف علي عبود المحمداوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، . منشورات ضفاف، بيروت، 2013

52- الفراوي نزار، إدغار موران فيلسوف المقاومة وداعية الإنسانية ،مجلة الذوات الإلكترونية تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، العدد21، المغرب، سنة 2016،

أ- باللغة الأجنبية:

1- Jean-Francois Lyotard ;LipidinalEconomy;Cotinuum.Great Britain;2004

2- Russel- Ma Conception du monde, traduit de l'Anglais par Louis Evrard- Edition Gallimard, Paris,

3- Eco Umberto, in Entretiens sur la fin des temps, Fayard, Paris, 1998.

4- Mar Krapley « Quality of life Research;SAGE publications;London; 2003.

5- WOLF gang Glatzer ; challenger for Quality of lif in the contemporary; World; Springer; Newyork; 2004.

2- معاجم وموسوعات:

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 15، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1985

2- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان، ط2، سنة 1997.

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، الجزء الأول، بيروت لبنان، سنة 1982.

4- أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، تعريب خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، المجلد الأول A–G ط2، بيروت، 2001.

5- معجم مفاهيم التنمية، لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا – الأسكوا، مؤسسات الإمام الصدر، بيروت، لبنان،2004.

6- صباح الحاج مفتن وآخرون، معجم الفلاسفة الأمريكان، من البراغماتيين إلى ما بعد الحداثيين، تقديم محمد الشيخ، إشراف وتحرير علي عبود المحمداوي، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، منشورات الاختلاف، ط1، 2015، الجزائر.

أطروحات جامعية:

- داود خليفة، إبستيمولوجيا التعقيد، دراسة لبراديغم التعقيد والفكر المركب لدى إدغار موران، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، جامعة وهران، سنة 2016.

7- مجلات ودوريات:

1. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 44 ،جامعة الكويت،1985،.
2. مجلة كلية الآداب، العدد 102، المجلد ، بغداد 15 سنة 1995..
3. مجلة الجديد، العدد2017،34، العدد34، نوفمبر/تشرين الثاني، سنة 2017
4. مجلة دراسات عربية، العدد 6، دار الطليعة للطباعة، بيروت،1981
5. مجلة جامعة التنمية البشرية،، المجلد 03، العدد4، بغداد، سنة 2017
6. مجلة تبين، العدد25، المجلد 07، سنة 2018.
7. جريدة الشرق الأوسط، العدد، 31 سنة 2017
8. مجلة جامعة دمشق،المجلد التاسع عشر، العدد الأول، سنة 2003.
9. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمة لخضر، الوادي ـ الجزائر، العدد26، سبتمبر2016.
10. مجلة الاستغراب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2016.العدد01، المنظمة العربية للترجمة، بيروت2016.
11. مجلة رؤى تربوية، العدد،29 ،سنة2015
12. مجلة التجديد، المجلد السادس عشر، العدد31، سنة2012.
13. مجلة طنجة الأدبية، العدد45، المغرب، سنة2013
14. مجلة يتفكرون، العدد 09، المغرب، سنة 2016
15. مجلة الذوات الإلكترونية تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، العدد21، المغرب، سنة 2016،

8- روابط و مواقع الكترونية:

1- http// www. Alhewar. Orq

2- www.mominoun.com

3- www.iasj.net/iasj?Func

4- http://www.mozn.net/act

5- http://www.addustour.com/articles/

6- http://mo.michelonfray.fr

7- www.alhayat.com/article/

8- archive.aawsat.com/details.asp?issueno

9- https://www.alquds.co.uk

10- http/www.alawan/§p=11934-blank

11- www.elmawja.com

12- .www.odabasham.net

13- https://ar.islamway.net-

14- http://universiterissala.maktoobblog.com-

15- https://pulpit.alwatanvoice.com

16- http://www.alkhaleej.ae

17- couuahttps://couua.com -

فهرس المحتويات

مقدمة	أ- ط
مدخل تمهيدي: تحديدات مفاهيمية	1 -34
الفصل الأول: أزمة الحضارة الغربية في تحليلات إدغار موران	34-83
المبحث الأول: سيتوبلازما الثقافة الغربية المعاصرة نقد الأسس والآليات.....	34-60
المبحث الثاني: الخطاب الابستيمولوجي:المعالم والخصوصيات.....	61-83
الفصل الثاني: إبسيمية التعقيد والفكر المركب في مدونة ادغار موران الفكرية التنمية والتنمية البشرية أنموذجان	84-129
المبحث الأول: إشكالية التنمية في الرأسمالية والاشتراكية:مسار إخفاق محتوم.	84-97
المبحث الثاني: إشكالية التنمية في ضوء الفكر المركب: من أزمة المفهوم إلى إخفاق المشروع.....	98-110
المبحث الثالث: منظومة التربية والتعليم: البديل الواعد.....	111-129
الفصل الثالث: المشروع الاصلاحي للحياة البشرية عند ادغار موران: بيان من أجل سياسة حضارية كوكبية واعية	130-167
المبحث الأول: ضرورة الإصلاح السياسي وأثره.....	130-144
المبحث الثاني: الحاجة إلى الإصلاح القيمي والإيتيقي.....	145-158
المبحث الثالث: مقاربات إدغار موران: مراجعة نقدية.....	159-167
خاتمة	168-169
قائمة المصادر و المراجع	170-179
فهرس المحتويات	180

ملخص:

أ –باللغة العربية:

يندرج موضوع التنمية ضمن أهم إشكاليات الفكر المعاصر بالنظر إلى طبيعته المعقدة والشائكة،فما حقيقتها في المشروع الفكري الابيستيمولوجي الغربي المعاصر هذا ما تسعى إليه هذه الأطروحة الموسومة بـ"التنمية البشرية في ضوء الفكر الغربي المعاصر، إدغار موران نموذجا"، التي نسعى من خلالها قراءة إسهامات هذا الفيلسوف المهموم بقضايا التنمية الإنسانية، على مستوى كافة مناحي الحياة، قراءة تحليلية ونقدية. ففي أعماله وكتاباته، تشريح دقيق لمظاهر أزمة المجتمع الغربي المعاصر، حيث خاض ـ ولا يزال معركة نقدية صارمة، لتلك "الاختزالية" التي انتجها الفكر الحداثي، والتي تسعى إلى إذابة الإنسانية، بحيث يتم الفصل بين الذات والموضوع، وبين الانسان ومكوناته. مقترحا بديلا يراه ناجعا، هو بمثابة مشروع فكري إصلاحي مبني على رؤية ابيستمولوجية ترتكز على قاعدة أساسية هي "التعقيد" بدل التبسيط، و"المركب" بدل البسيط، بهدف انقاذ الانسان والإنسانية من السقوط في مستنقع "الواقع المزيف" أو الارتماء في أحضان "الهاوية".

الكلمات المفتاحية:–التنمية البشرية – الفكر المركب– ابستمولوجيا التعقيد –الانسانية- الاصلاح البشري

ب –باللغة الإنجليزية:

.

Abstract

The topic of development is one of the most important problems of contemporary thought given its complex and thorny nature. So what is its reality in the Western Contemporary Epistemological Intellectual Project? This is what this thesis entitled “Human Development in the Light of Contemporary Western Thought, Edgar Moran as a model” seeks to address. We aim through this thesis to read analytically and critically the contributions of this philosopher who was concerned with human development issues in all aspects of life. He carefully dissected the manifestations of modern Western society’s crisis in his work and writings, where he fought and continues to fight a fierce battle of criticism of that “reductionism” produced by modernist thought, which seeks to dissolve humanity. Hence, the separation between self and subject, human beings and their components is achieved. Edgar Moran proposed an alternative that he sees as effective, a reform project based on an epistemological vision based on the basic rule of “complexity” rather than simplicity, and “compound” rather than simple in order to save man and humanity from falling into the swamp of “fake reality” or falling into the arms of “abyss.”

Keywords: human development, compound thought, epistemology of complexity, humanity, human reform

ج – باللغة الفرنسية

Résumé

Le développement est un sujet épineux dans la pensée contemporaine étant donné sa nature complexe. Quelle est sa réalité dans le projet intellectuel épistémologique occidental contemporain? Cette thèse intitulée «Le développement humain dans la pensée occidentale contemporaine, Edgar Moran comme modèle», vise à étudier les contributions de ce philosophe qui s'est préoccupé des questions de développement humain, au niveau de tous les aspects de la vie; une lecture analytique et critique. Dans ses études, une dissection précise des manifestations de la crise de la société occidentale contemporaine, où il a mené un combat critique strict, pour ce "réductionnisme". Ce dernier est produit par la pensée moderniste, qui cherche à dissoudre l'humanité, en séparant entre le sujet et l'objet, et entre l'homme et ses composants. Une proposition alternative qu'il juge efficace, est un projet intellectuel réformiste basé sur une vision épistémologique fondée sur une règle de base de «complexité» au lieu de «simplification», et de «complexe» au lieu de «simple». Cela vise à éviter à l'homme et à l'humanité de tomber dans le bourbier de la «fausse réalité» ou de tomber dans «l'abîme».

Mots-clés : développement humain, pensée complexe, épistémologie de la complexité, humanité, réforme humaine.